السيف

في نهج الرسول القائد (صلى الله عليه وسلم) وتطبيقاته

أ. مازن مجيد مصطفى
نينوى- العراق

لقد كان السيف العربي الإسلامي، ولا يزال، رمز عز العرب وعنوان مجدهم، فقد حمله العرب المسلمون بجدارة، وتفننوا في استعماله، وأشادوا بذكره بشكل لم يسبق له نظير... فقد كان السيف رفيق المقاتل العربي في حلّه وترحاله، ولصيق فؤاده، الذي لا يفارقه إلا في القليل النادر، فهو الحارس الأمين وقت السلم، والرفيق المعين على الشدائد وقت الحرب، لذا كان لزاماً على شعراء العرب - المقاتلين منهم خاصة - أن يذكروا هذا الجميل في قصائدهم، فأصبح (ديوان العرب) غاصاً بالقصائد التي تكاد لا تخلو إحداها من التغني بالسيف والإشادة بفضله..... وقد تفرَّدَ عصر الرسالة بذكر السيف وإطرائه، والتفنن في استعماله بشكل له طابعه الخاص. حيث جاءت سيرة الرسول القائد (ﷺ) أولاً، ثم سيرة أصحابه بعد ذلك، كي تعطي هذا السلاح الحيوي طابعه المميز، وتجعله بندقية العرب الموجهة إلى صدور أعداء الدين دون منازع طيلة العصور الوسطى...

السيف في نهج الرسول القائد (ﷺ)

عند استعراضنا مكانة السيف في نهج الرسول القائد (ﷺ) لا بد لنا من الرجوع إلى القرآن الكريم أولاً، حيث نتلمس في ربوع رياضه آيات كثيرة تشير من قريب أو بعيد، وبشكل مباشر أو غير مباشر، إلى ذكر السيف. وأول الآيات القرآنية التي تصادفنا في هذا المجال سورة آل عمران: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ...﴾[1]، فقد نزلت هذه الآية بحق أهل أحد من المسلمين، فقوله تعالى ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ﴾ - المشركين - أي تقتلونهم بإذني، وتسليط أيديكم عليهم، وكفّ أيديهم عنكم، فالحس هنا معناه الاستئصال بالسيف كما يرى بعض الباحثين[2]. وهذه الآيات تشرَّب بها ذهن الرسول القائد (ﷺ)، وأصبحت قاعدة عقلية وعمليَّة، تدل دلالة واضحة على أنّ الله (عز وجل) لا يخلف وعده في أن يكون العامل

الأول وراء انتصار المسلمين على غير المسلمين بحد السيف، إذا تمسّك المسلمون بمبادئ دينه، ومبادئ شريعته، والعكس هو الصحيح، يدل عليه تكملة الآية نفسها: ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ...﴾، حيث إنّ المقصود هنا (رماة السهام)، الذين لم يلتزموا بأمر الرسول (ﷺ)، وتركوا أماكنهم، الأمر الذي أدّى إلى التفاف المشركين عليهم، وعكس نتيجة القتال يوم أُحد[٣] - كما هو معروف -.

وعبر استعراضنا لآيات القرآن الكريم، تأتينا آية بينة أخرى، يكون للسيف أثر كبير فيها لرسم مبدأ مهم من مبادئ القتال في عصر النبوة، ثم في التاريخ الإسلامي بأسره، تقول هذه الآية: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً﴾[٤]، إنّ هذه الآية تقرر مبدأً مهمًّا من مبادئ القتال، هو وضع الأسلحة - أي خلعها - عند الضرورة القصوى: أي عند أداء الصلاة، بأن تصلي طائفة منهم مع الرسول (ﷺ) في حين تقف الطائفة الأخرى بأسلحتها من ورائهم، فإذا أتمّت الطائفة الأولى الركعة الأولى، رجعت فقامت بالحراسة، وجاءت الطائفة التي كانت بالحراسة، ولم تصلِّ، كي تصلي مع الرسول (ﷺ) ركعة واحدة أيضا. (وهنا يسلّم الإمام، إذ يكون قد أتم صلاته ركعتين). وبعد ذلك تأتي الطائفة الأولى فتصلي الركعة الثانية، التي فاتتها مع الإمام وتسلم، بينما تحرسها الطائفة الثانية، ثم تجيء الطائفة الثانية فتقضي الركعة الثانية التي فاتتها، وتسلم، بينما تحرسها الطائفة الأولى..[٥]، وعلى الرغم من أنَّ هذه الآية تدعو المسلمين إلى وضع السلاح بشكل عام، إلا أنَّ السيوف هي الأسلحة التي توضع بالدرجة الأولى[٦]. كما تقرر هذه الآية مبدأ آخر من مبادئ القتال المهمّة، وهو وضع السلاح في حالة الأذى الذي قد يتعرض له المسلمون كالمطر، أو المرض؛ لأن حمل السلاح في مثل هذه الحالة سيكون أمرًا شاقًّا، وتقل أهميته وفائدته، لذا يكتفي المسلمون في مثل هذه الحالة بأخذ الحذر... وتوقع عون الله ونصره...[٧].

إنَّ مثل هذه الأسس المبدئية، التي لعب السلاح عامة، والسيف خاصة، دورًا مهمًا في تثبيتها، والتي تلقاها عقل الرسول القائد (ﷺ) وقلبه، أصبحت طرقًا منهجية وعملية بعد نزولها، وطيلة العصر الإسلامي...

وخلال تفحصنا لآيات الكتاب الكريم تستوقفنا الآية القرآنية: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً﴾[٨]، وهذه الآية الواردة على لسان ذي القرنين تشير - بدلالة الآيات التي سبقتها - إلى أنه عندما بلغ ما بين السدين - وهي منطقة غير معروفة على وجه التحديد، وربما يمكن الاستنتاج من الوصف بأنها تقع أقصى الشرق، والتي يؤخذ من السياق القرآني أنها منطقة تقع

السيف في نهج الرسول القائد (ﷺ) وتطبيقاته

بين حاجزين طبيعيين، يفصل بينهما فجوة أو ممر- وجد (الاسكندر) هناك قومًا متخلفين لا يفقهون قولا، فعرضوا عليه أن يقيم لهم سدًّا في وجه (يأجوج ومأجوج) التي هي على الأرجح قبائل مغولية، كانت تهاجم من وراء الحاجزين - مقابل خراج من المال يؤدونه إليه، فرفض المال... وقد رأى (ذو القرنين) أنّ من الواجب ردم الممر بين الحاجزين، فجمع له أولئك القوم الحديد الذي وضعه بين هذين الحاجزين، حتى أصبحا كأنهما صدفان يغلفان ذلك الكوم من الحديد (حتى إذا ساوى بين الصدفين) وأصبح الركام بمساواة القمتين (قال انفخوا) على النار لتسخين الحديد، حتى أصبح الحديد كالنار من شدة وهجه، ثم قال (أتوني أفرغ عليه قطرًا) أي نحاسًا مذابًا، وبذلك صنع ذو القرنين سدًّا من الحديد الصلب القوي أغلق الطريق في وجه يأجوج ومأجوج. وبما أن هذه الطريقة تُستخدم حديثًا في تقوية الحديد كان ذلك سبقًا للعلم البشري الحديث...[9].

ومما لا شك فيه أنّ هذه الآيات التي أوحاها الله(عز وجل) إلى ذهن نبيه الأكرم وروحه، والتي استلهمتها بصيرته، كانت ذات أثر فعال في نهجه (ﷺ) أولاً، ثم في حياته العملية بعد ذلك، فقد أفاد المسلمون من الحديد في صناعة السيوف - كما سنرى - سواء أكان ذلك من الحديد الخالص، أم عن طريق الحديد المخلوط بالنحاس....

ونقرأ في القرآن الكريم أيضًا: **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾**[10]... فقد امتن الله تعالى على نبيّه داود (عليه السلام) بفضائل شتّى، وجعل الجبال تسبح معه، كما سخّر له الطير، ولكن النعمة الكبرى أن الله ألان له الحديد - أي علّمه كيف يلين الحديد، أو سخر إليه إلانة الحديد...[11]، وقد أفاد نبي الله داود (عليه السلام) من هذه الخاصية في عمل الدروع - كما تقرر الآية القرآنية بعد ذلك - ولا نشك في أنه استفاد منها في عمل الأسلحة الأخرى، التي قد تكون السيوف من ضمنها. إلا أنّ استلهام الرسول القائد لهذه الآيات الربانية يؤكد حقيقة تأثره بها منهجًا وتطبيقًا، ويؤكد إمكان اتباع الرسول (ﷺ) والمسلمين طريقة النبي داود في صناعة الأسلحة، والسيوف حتمًا من ضمنها، سواء اتبع الرسول (ﷺ) والمسلمون طريقة النبي داوود جميعها أو جزءًا منها...، ثم تأتينا أخيرًا الآية القرآنية: **﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾**[12]، تشير هذه الآية بوضوح إلى أنَّ الله تعالى جعل الحديد رادعًا لمن يأبى الحق، لهذا أقام (ﷺ) في مكة ثلاث عشرة سنة، كانت توحى إليه خلالها السور المكية كلها في جدال المشركين، حتى إذا قامت الحجة عليهم، شرع الله الهجرة، وأمر المسلمين بالقتال بالسيوف، وضرب الرقاب... فعن ابن عمر: أن الرسول (ﷺ) قال: (بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم). لهذا قال الله تعالى: ﴿فيه بأس شديد﴾ يعني السلاح كالسيف، وغيره ﴿ومنافع للناس﴾ في معاشهم، كالسكة والفأس والمنشار...إلخ[13].

ومما لا شك فيه أنَّ هذا النصّ القرآني، الذي يجعل لحديدة السيف بأسًا شديدًا في معالجة المارقين عن مبادئ الدين الإسلامي، ممن يحول

دون نشر المبادئ السمحة لهذا الدين، أصبح تقليدًا عمليًا مهمًّا في عصر النبوة، وبعدها...

وإذا ما انتقلنا من القرآن الكريم إلى السيرة النبوية الشريفة فسنجد أن السيف يحتل موقعًا متميزًا في نهج الرسول القائد (ﷺ)، وأول حديث معتمد له(ﷺ) في هذا المجال (الجنة تحت ظلال السُّيوف) كناية عن سرعة دخول الشهيد الجنَّة[١٤]. وقد ورد هذا الحديث عند الأئمة الرواد بصور عدة. فقد ورد، كما ذكرنا أعلاه، أن الرسول (ﷺ) قال في بعض أيامه التي لقي فيها العدو: (أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدوِّ، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أنَّ الجنَّة تحت ظلال السيوف)[١٥]. وعن أبي بكر بن أبي موسى الاشعري عن أبيه قال: سمعت أبي وهو بحضرة العدو يقول: قال (ﷺ):

(إنَّ الجنة تحت ظلال السيُّوف)، فقام رجل رث الهيئة، فقال : يا أبا موسى، أنت سمعت رسول الله (ﷺ) يقول هذا؟ قال : نعم. قال: فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام. ثم كسر غمد سيفه، فرماه، ثم تقدم بسيفه نحو العدو، فضرب به حتى استشهد[١٦].

وهناك حديث آخر يتعلق بذكر السيف في نهج الرسول القائد(ﷺ)، ويكاد يرتبط بالحديث الأول، وقد أوردناه آنفًا، فقد ورد عن الرسول القائد(ﷺ) أنه قال: (بعثت بالسيف حتى يعبد الله لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي من الغنيمة، وجعل الذلة والصغار على مَنْ خالف أمري، ومَنْ تشبه بقوم فهو منهم)[١٧]، فلما كان ظل الرمح أسبغ، كان نسبة الرزق إليه أليق- كما أنَّ الرماح تعلق في أطرافها الرايات - فنسب الرزق إلى ظل الرمح؛ لأن المقصود بذكر الرمح الراية، بينما نسبت الجنَّة إلى ظل السيف في الحديث السابق؛ لأن الشهادة تقع في السيف غالبًا، ولأنّ ظل السيف يكثر ظهوره في ميدان المعركة بكثرة حركة السيف في يد المقاتل، ولأنّ ظل السيف لا يظهر إلا بعد الضرب به؛ لأنه قبل ذلك يكون مُغمدًا ومعلقًا[١٨].

وهناك أحاديث أخرى أوردت في نهج الرسول القائد(ﷺ) تبين مكانة السيف وحامله عند الله سبحانه وتعالى (السيوف مفاتيح الجنَّة)، (السيوف أردية المجاهدين)، (من يأخذ هذا السيف بحقه؟ قيل وما حقه؟ قال لا يقتل به مسلمًا ولا يفرمن كافر)[١٩]. (من سل سيفه في سبيل الله فقد بايع الله). (من تقلد سيفًا في سبيل الله قلده الله يوم القيامة وشاحين في الجنة، لا تقوم بهما الدنيا وما فيها من يوم خلقها إلى يوم يفنيها، وصلّت عليه الملائكة حتى يضعه عنه، وإنَّ الله ليباهي ملائكته بسيف الغازي ورمحه وسلاحه، وإذا باهى الله ملائكته بعبد من عِباده لم يعذبه بعد ذلك)[٢٠].

إنَّ هذه الأحاديث النبوية جميعها تبين لنا ما أعدَّهُ الله عز وجل للسيف وللمجاهدين به من مكانة مرموقة في الحياة الدنيا، ومن منزلة رفيعة في الحياة السرمدية.

كما تشير بوضوح إلى الزاوية التي احتلها هذا السلاح في نهج الرسول القائد(ﷺ)....، وتظهر شدة حب الرسول (ﷺ) لهذا السلاح الحيوي، وحرصه على تكريمه، بتكريم حامله والمشيد بذكره. فعندما أنشده (كعب بن زهير) قصيدته

السيف في نهج الرسول القائد (ﷺ) وتطبيقاته

(بانت سعاد) المشهورة، وعندما وصل - كعب- إلى قوله:

إن الرسول لنورٌ يستضاء به

مهند من سيوف الله مسلول

ألقى(ﷺ) بردته عليه، الأمر الذي يمثل منتهى كرم الرسول(ﷺ)، وتكريمه لكعب؛ لأنه(ﷺ)كان قد أباح دمه قبل ذلك[٢١]..كما بلغ من شدة ولعه(ﷺ) بالسيف أنه لقب خالد بن الوليد بـ(سيف الله).

فقد ورد عن النبي(ﷺ)أنه قال: (نِعْمَ عبد الله خالد بن الوليد، وأخو العشيرة،سيْفٌ من سيوف الله، سلَّه على الكفار والمنافقين)[٢٢]. وحري بالنبي (ﷺ) أن يلقب خالد بن الوليد بهذا اللقب، بعد معركة(مؤتة)، التي يذكر خالد أنّ تسعة أسياف انكسرت بيده يومها، ولم يبق في يده الاصفيحة يمانية[٢٣]، فلا عجب أن يقول(ﷺ)عن خالد أيضًا : (اللهم إنه سيف من سيوفك، أنت تنصره)، ومن يومها سمي خالد سيف الله[٢٤].

وبلغ من حرصه (ﷺ) على تزويد المقاتلين المسلمين بالسلاح أنه قضى بالسلب للقاتل، كما أنه لم يخمس السلب[٢٥]. وقد أصبحت هذه الطريقة متبعة في عهده. كما جعل(ﷺ) قصاص القاتل غير جائز إلا بالسيف في قوله: (لا قَوَدَ إلاّ بالسَّيف)[٢٦]. أو(عقوبة هذه الأمة السيف...)[٢٧]، وهناك العديد من المبادئ الأساسية الخاصة بفن استعمال السيف أو التعامل معه، وردت في نهج الرسول القائد(ﷺ)هي:

١- فيما يتعلق بالاستشهاد في سبيل الله جعل الرسول القائد(ﷺ) للمقاتل الذي يرتد إليه سيفه فيقتله- دون غمد- في ساحة الوغى أجر الشهيد. فقد روى (سلمة بن الأكوع): أن أخاه قاتل مع الرسول(ﷺ) يوم خيبر قتالاً شديدًا، فارتد إليه سيفه فقتله، فشك أصحاب رسول الله (ﷺ)في أمره، فذكر(سلمة) ذلك للرسول قائلاً: إنّ بعض الناس يهابون الصلاة عليه، ويقولون، رجلٌ مات بسلاحه، فقال(ﷺ): (كذبوا. مات جاهدًا مجاهدًا، فله أجره مرتين، وأشار بإصبعيه)[٢٨]. وبالمعنى نفسه ترد رواية أخرى يرويها رجل من أصحاب النبي(ﷺ) عن رجل من المسلمين بارز رجلاً من (جهينة) فضربه فأخطأه، وأصاب نفسه بالسيف. فقال رسول الله(ﷺ): (أخوكم يا معشر المسلمين)، فلما وصل إليه المسلمون، وجدوه قد أسلم الروح، فلفَّه الرسول(ﷺ) بثيابه ودمائه، وصلى عليه، ودفنه، فقال الصحابة: يا رسول الله، أشهيد هو؟ قال: (نعم، وأنا له شهيد)[٢٩].

كما تظهر لنا مكانة السيف مقرونة بمكانة الشهيد عند الله ونبيه الكريم في قوله (ﷺ): (إن الشهداء ليأتون يوم القيامة بأسيافهم على عواتقهم... فيفسح لهم جميع الأنبياء المجال حتى يجلسوا على سناء من نور. فيقول الناس: هؤلاء الذين أراقوا دماءهم لرب العالمين، فيكون الأمر كذلك حتى يقضي الله بين عباده)[٣٠].

٢- من القواعد القتالية الأساسية التي انتهجها الرسول القائد(ﷺ) في فن استعمال السيف، ما ورد عنه (ﷺ)في معركة بدر، فقد أمر المسلمين بألاّ يلتحموا مع المشركين بالسيوف حتى يأذن لهم، حيث قال: (إذا كثبوكم فارموهم بالنبل، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم)[٣١].

وبهذا يكون الرسول القائد (ﷺ) قد استعمل كل سلاح في محلّه، فاستعمل رمي السهام أولاً؛ لإضعاف قوة العدو من بعيد، ثم الإجهاز على ما تبقى من قوته بأسلحة الالتحام المباشر (السيوف). وبهذا يكون الرسول القائد (ﷺ) قد طبّق مبدأ التعاون بين الصفوف في معركة بدر هذه، فقد نضح الرماة المشركين بنبالهم حتى أوقعوا بهم خسارة بالغة سهلت على السّيّافة مهمة الهجوم للقضاء نهائيًّا على مقاومة العدو[٣٢]. إلا أن السير (وليم ميور Muir) يرى أن النبي (ﷺ) منع أتباعه من التقدم والالتحام المباشر مع المشركين في معركة بدر هذه؛ لأنّه لم يكن له فرسان يقومون بتغطية عملية التقدم، كما أمرهم بأن يرشقوا النبال على خيالة قريش، إذا ما تعرضت مجنباتهم لهجماتها[٣٣]، وعلى الرغم من أن قول (ميور) هذا لا يتفق مع النص الذي أوردناه أعلاه، ذلك النص الذي يدل دلالة واضحة على توجيه الرسول (ﷺ) للمسلمين باستعمال السهام أولاً، ثم السيوف في الآخر، إلا أنّ فيه دليلاً آخر على عبقرية الرسول القيادية، حيث كان مع المشركين في معركة بدر(١٠٠) فرس، ولم يكن معه إلا فرسان فقط، فإذا ما منع(ﷺ) المسلمين من الاشتباك المباشر مع العدو؛ لعدم وجود خيالة تحمي تقدم رجاله، وإذا ما استعاض عن ذلك برمي السهام في وجه العدو، أو للقضاء على فرسانه، فهو إجراء عسكري ذكي، يدل على أصالة رأي، وعلى تصرف حكيم في الوقت المناسب...

ويشير المسعودي إلى قريب من المعنى الوارد أعلاه عند ذكره لقول الرسول (ﷺ): (الحرب خدعة)، فيقول: إنه (ﷺ) علم بهذا اللفظ اليسير والكلام الوجيز أن آخر مكايد الحرب هي القتال بالسيف؛ إذا كان بدؤها خدعة، وهذا يعرفه أصحاب الرأي السديد، وذوي الرياسة والسياسة[٣٤].

٣- ومن المبادئ الأساسية التي انتهجها الرسول القائد (ﷺ) مبدأ الكشف عن هوية المدعي بقتل بعض الشخصيات المعادية المرموقة باستعمال السيف كوسيلة للوصول إلى صحة الادعاء. فقد روى (عبد الرحمن بن عوف): أنه كان واقفًا في الصف يوم بدر، فوجد غلامين من الأنصار صغيري السن، تقدم أحدهما إليه دون علم الآخر، وسأله عن أبي جهل... يقول عبد الرحمن: فلما سألته عن السبب، قال الفتى: سمعت أنه سبّ رسول الله (ﷺ)، فإن رأيته فسوف أنقضّ عليه، وأقاتله حتى يموت أحدنا. وقد فعل الفتى الآخر مثلما فعل الأول، فلما أشار عبد الرحمن إلى أبي جهل انقضّ عليه الاثنان وضرباه بسيفيهما حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله (ﷺ) فقال (ﷺ): أيكما قتله؟ فقال كل واحد منهما: أنا. فسألهما (ﷺ) هل مسحا سيفيهما، فلما أجابا بالنفي، نظر إلى السيفين، فقال كلاكما قتله[٣٥].

وفي سرية إلى خيبر قادها (عبد الله بن عتيك) لقتل (أبي رافع سلام بن الحُقيق النَضري اليهودي (سنة ٦هـ)[٣٦]- ذلك اليهودي الذي كان قد جمع غطفان، ومن حوله من قبائل العرب، ودعاهم لقتال المسلمين- أرسل (ﷺ) (عبد الله ابن عتيك، وعبد الله بن أنيس، وأبا عُبادة، والأسود بن خزاعي، ومسعود بن سنان) وأمرهم بقتله... وبعد قتله وعودتهم إلى المدينة، اختلفوا فيمن قتله منهم، فأخذ (ﷺ) أسيافهم فنظر إليها، فإذا أثر الطعام في سيف عبد الله بن أنيس. فقال (ﷺ) هذا الذي قتله[٣٧].

السيف في نهج الرسول القائد (ﷺ) وتطبيقاته

٤- ومن المبادئ الأخرى الواردة في نهجه(ﷺ)، الخاصة بالسلاح عامة والسيف خاصة، استعماله السلاح في توجيه حرب نفسية للعدو عند الحاجة، فقد رفض(ﷺ) أن يحمل السلاح في عمرة الحديبية - ذي القعدة ٦هـ - على الرغم من إلحاح أصحابه عليه بأن يحمل السلاح تحسباً، حيث قال: (لا أحمل السلاح، إنما خرجت معتمراً). ولم يكن معه إلا السيوف في القُرب[٣٨].

أما في غزوة القضية أو عمرة القضية - ذي القعدة٧هـ- فقد حمل الرسول (ﷺ) كل أنواع السلاح... علماً بأن قريشاً كانت قد اشترطت عليه ألاّ يدخل المسلمون مكة إلا بسلاح المسافر - السيوف في القُرب - فقال (ﷺ) سوف لا أدخلها بسلاح، ولكن السلاح سيكون قريباً منا، فدخلها (ﷺ) وأصحابه متوشحي السيوف فقط. ويبدو أنه (ﷺ) أراد هنا أن يظهر قوته لقريش؛ كي يجعلها بعد ذلك تتقبل فكرة فتح مكة[٣٩].

وهكذا نلاحظ أن الرسول (ﷺ) قد رسم بعمله هذا مبدأ مهمًّا من مبادئ الحرب، هو استعمال السلاح في توجيه حرب نفسية ضد العدو في الوقت المناسب، أو الإيحاء له بما يرى المسلمون أنه في صالحهم، والسيف يأتي في مقدمة السلاح الذي استعمله الرسول(ﷺ) لتحقيق هذه الأغراض... ففي عمرة الحديبية أوحت السيوف التي حملها المسلمون - دون غيرها من السلاح - للمشركين بأنّ المسلمين لا ينوون القتال، وأنهم ملتزمون بشروط الصلح، وهو الأمر الذي كان يراه الرسول(ﷺ) في مصلحة المسلمين في حينها. بينما نرى أن كثرة الأسلحة وتنوعها، التي تركها الرسول (ﷺ) خارج مكة، ثم دخول أصحابه مكة متوشحين سيوفهم في عمرة القضية، كان إجراءً عسكريًّا، الغاية منه توجيه حرب نفسية لقريش تجعلها تتقبل فكرة فتح مكة، التي نفذها الرسول القائد(ﷺ) في السنة التالية.

٥- ومن المبادئ الأساسية في تعامل الرسول القائد(ﷺ) مع السلاح بشكل عام، ومع السيف بشكل خاص، نهيه(ﷺ) عن ترويع المسلم بأخذ سلاحه على سبيل الهزل. ففي غزوة الخندق - ذي القعدة ٥ هـ - كان (زيد بن ثابت) ممن ينقلون التراب، وقد تركه المسلمون في أحد الأيام نائمًا على شفير الخندق، وذهبوا يطوفون بالخندق لحراسته، فجاءه (عُمارة بن حَزم) فأخذ سلاحه (ترسه - قوسه - سيفه)، فلما استيقظ - زيد - فزع لفقدان سلاحه، فلما بلغ الأمر رسول الله (عاتبه على ذلك، ثم سأل عن سلاحه، فأتى به (عُمارة ابن حَزم) فأمره (ﷺ) برده إليه، ونهى(ﷺ) من أن يردع المسلم أو يؤخذ متاعه لاعباً جاداً[٤٠]؛ أي نهى من أن يأخذ المسلم سلاح أخيه على سبيل الهزل، ثم يحتفظ به فيصير ذلك جدا[٤١].

٦- ومبدأ أساسي آخر في التعامل مع السيف ورد في نهج الرسول القائد(ﷺ): (فقد نهى (ﷺ) أن يُتعاطى السَّيفُ مسلولاً)[٤٢] حيث مر النبي (ﷺ)على جماعة في المسجد، أو مجلس، يسلّون سيفًا يتعاطونه بينهم، غير مغمود، فقال: (لعن الله من يفعل ذلك، أولم أزجركم عن هذا، فإذا سللتم السيف فليغمده الرجل، ثم ليغطه كذلك)[٤٣].

وتأكيداً على احتياطات الأمن هذه نقل (أبو هريرة) عن الرسول ﷺ قوله: (لا يُشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح)، أو (لا يشهرن أحدكم على أخيه

السيف؛ فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزغ في يده فيقع في حفرةٍ من النار)[٤٤].أو (من سل السيف علينا فليس منا)[٤٥]. يتضح من هذه الأحاديث النبوية أن الرسول القائد(ﷺ) نهى عن استعمال السيف خارج غمده بين المسلمين أنفسهم، سواء كان ذلك بصورة جديَّة أم على سبيل المزاح....، وتأكيدًا مني أنّ ما يرد في نهج الرسول القائد (ﷺ)، في مثل تلك الحقبه المتقدمة من التاريخ الإسلامي، فيه الدليل الواضح على نضج سياسة الرسول القتالية، وعمق تجربته الوقائية، فكم من قتيل ذهب ضحية الاستخفاف بالسلاح، والتعامل غير الجدّي معه، أو استعماله في غير موضعه، أو في غير وقت استعماله...

٧- ومبدأ أساسي آخر من مبادئ الإسلام يرسمه الرسول القائد(ﷺ) في نهجه بوساطة السيف في قوله: (السيف محّاء للخطايا)، (والسيف لا يمحو النفاق). ويفسر(ﷺ) هذا المبدأ بقوله: (القتل ثلاثة: رجل مؤمن قاتل بنفسه وماله...فإذا قتل فهو شهيد... ورجل مؤمن قرف على نفسه من الذنوب والخطايا جاهد بنفسه وماله، فإذا قتل محيت ذنوبه وخطاياه- السيف محّاء للخطايا- وأدخل الجنة... ورجل منافق جاهد بنفسه وماله.. فإذا قتل دخل النار - السيف لا يمحو النفاق)[٤٦].

٨- ومن المبادئ الأساسية الأخرى التي وضعها الرسول القائد(ﷺ)، بوساطة السيف، تجنب الفتنة والابتعاد عنها...فقد أهدي إليه(ﷺ) سيف من نجران، فأعطاه لمحمد بن مسلمة قائلاً له: (جاهد بهذا في سبيل الله، فإذا اختلفت أعناق الناس فاضرب به الحجر، ثم ادخل بيتك، وكن حلسًا[٤٧] ملقًى حتى تقتلك يد خاطئة أو تأتيك منية قاضية)[٤٨].

٩- ومبدأ آخر يجيز الصلاة بالسلاح في غير مكة يرسمه السيف. فعن ابن جريج قال: «قلت لعطاء: السيوف المحلاّة أصلي فيها؟ قال: أكرهها بمكة، وأما بغيرها فلا أكره أن يصلى فيها، قلت: وإن لم يكن في مخافة؟ قال: نعم»[٤٩].

١٠- وأخيرًا نهى(ﷺ) عن قتل المرأة بالسيف، كمبدأ آخر من المبادئ الواردة في نهجه في هذا المجال. فقد روى ابن عباس: «أن رجلاً أخذ امرأة أو سباها فنازعته قائم سيفه فقتلها، فمر عليها النبي (ﷺ) فأخبر بأمرها، فنهى عن قتل النساء»[٥٠]... لكن هذه الرواية التي ترد عند ابن حنبل يوردها الطبراني عن ابن عباس أيضًا، ولكن بشكل آخر، حيث يشير إلى أن النبي (ﷺ) مر يوم الخندق بامرأة مقتولة. فقال: من قتل هذه؟ قال رجل: أنا يا رسول الله. قال ولِمَ. قال: نازعتني سيفي. فسكت.[٥١]... وعلى الرغم من أن صاحب مجمع الزوائد يُضعف هذا الحديث[٥٢] إلا أنَّ من الممكن قبوله، خصوصًا أنّ الرجل باستطاعته تجنب قتل المرأة بالسيف في مثل الحالة المروية بتخليص نفسه من منازعتها له سيفه بيديه؛ لأنه أصلب عودًا منها. فإذا كانت الحالة لا تستدعي القتل، أو فيها مخرج منه، فحبذا التخلص من القتل، أما إذا كانت غير ذلك فلكل حادث حديث....

السيف في تطبيقات الرسول القائد

على الرغم من حصول العرب على معدن الحديد، وبعض الأسلحة المصنوعة منه من الهند وبعض البلدان المجاورة الأخرى، إلا أنَّ ازدهار

الحدادة عند العرب في حقبة مبكرة من تاريخهم القديم. يدل على ذلك وفرة السلاح في خزائن ملوك الحيرة... كما كانت في بُصرى من أرض حوران مصانع للسلاح[٥٣].

وقد عُرفت صناعة الحديد عند عرب الجزيرة في العصر الجاهلي. وكان يطلق على الحداد «قينًا»... وفي حديث خباب (ﷺ): «كنت قينًا في الجاهلية»...، وكان بنو أسد يقال لهم القيون؛ لأنّ أول من عمل الحديد بالبادية الهالك بن أسد بن خزيمة. وقيل لكل حداد هالكي[٥٤]. ويذكر البخاري أن خبابًا كان يعمل حدادًا، وأنه عمل للعاص بن وائل سيفًا[٥٥]، كما يذكر الصحابي عبد الله بن مسلم الحضرمي أنه كان له صبيّان عبدان يصقلان السيوف، ويقرآن التوراة، هما يسار وخير.[٥٦]...، ويبدو أنَّ بني أسد استفادوا من معدن الحديد الموجود في جبل لهم يدعى(قساس) في صناعة نوع من السيوف، سميت بالقساسية نسبة إليه[٥٧]. كما اشتهر عندهم أيضاً نوع من السيوف عرفت بالسيوف السريجية، نسبة إلى سريج أحد بني معرض بن عمرو بن أسد بن خزيمة...[٥٨].

ومن أحسن سيوف العرب المشرفية، نسبة إلى مشارف من تخوم البلقاء في بلاد الشام، أو موقع في اليمن كما يرى بعضهم، أو نسبة إلى مشارف الروم أو الهند... أو أنها منسوبة إلى مشرف، وهو رجل من ثقيف[٥٩].

كان سلاّح القبيلة، وهو حدادها أيضًا، من أجلّ رجالها... وكان عليه صقل السلاح والفؤوس، وصنع المسامير والعجلات والرماح... وكان يكلف أعوانه بصنع الفحم من الخشب بحرقه وحثو التراب عليه... كما كان يبحث مع جماعة أخرى من أعوانه عن حجر الحديد، ثم يعمد إلى طحنه وتمييز طيبه من خبيثه، ثم يمزج طحينه بشيء من الدهن الساخن. هذا إذا لم يحصل على حديد الهند..ثم يأتي دور الطباع[٦٠]، الذي يستخرج الحديد، يساعده في تشغيل المنافخ أحد أولاده...، وكان بعض الطباعين خاصًّا بقبيلة معينة، وبعضهم يتنقل بين القبائل...[٦١].

يتضح مما أوردناه أنَّ صناعة الحديد بعامة وصناعة السيوف بخاصة كانت معروفة عند عرب ما قبل الإسلام داخل الجزيرة العربية وخارجها... وإنَّ هذه الخبرة ستنتقل إلى عرب ما بعد الإسلام بالاحتكاك أو بدخول العديد من روادها فيه. فخباب بن الأرت المذكور أعلاه مثلاً كان من نصارى بني تميم، فسبي من موطنه في الجاهلية، وبيع في مكة، فاشتغل في صناعة السيوف، ثم كان من المسلمين الأوائل، وتوفي في عام ٣٧هـ[٦٢].

وعلى الرغم من عدم وجود روايات صريحة تشير إلى أنّه اشتغل في صناعة السيوف للمسلمين سوى رواية واحدة حديثة[٦٣]، إلا أنَّ المنطق التاريخي يؤكد ذلك. فالمسلمون الأوائل كانوا بأشد الحاجة إلى السلاح. والإسلام يأمر بإعداد المُستطاع من القوة... وعلى هذا يمكن القول إنّ خبابًا ومن أسلم من أمثاله من القيون كان لهم يد في صناعة السيوف للمسلمين.

فإذا أضفنا إلى ما ذكرناه من أنَّ الكثير مما ورد معنا في نهج الرسول القائد(ﷺ) من أمور تتعلق بالسيف، وجد له تفسير في سيرته الذاتية، اتضح لنا صحة ما ذهبنا إليه. فقد سبق أن ذكرنا مثلاً ما قام به (ذو القرنين) من مزج للنحاس مع

الحديد؛ كي يصنع حديدًا صلبًا، أقام به سدًّا بين الحاجزين، كي يمنع يأجوج ومأجوج من العبور إلى الأقوام التي تسكن وراء هذين الحاجزين... ويبدو أنَّ هذا الإيحاء الرباني العظيم وجد له تنفيذًا عمليًّا منذ عهد الرسالة. فقد كان المسلمون يصنعون سيوفهم، إما من الحديد (سيف أنيث) وإما من الصلب (سيف فولاذ)[٦٤]....

ومما لا شك فيه أنَّ ما ورد في نهجه (ﷺ) بصورة آيات قرآنية أو أحاديث نبوية يجعلنا نؤكد تشجيع الرسول (ﷺ) صانعي السيوف الداخلين في الإسلام حديثًا على صناعتها، وتحسين نوعية المادة المصنوعة منها... ولم تقتصر عنايته (ﷺ) في تطبيق ما ورد في نهجه على صناعة السيف فحسب، بل اشتملت كذلك على تطبيق ما ورد في نهجه في هذا المجال من مبادئ أساسية بصورة تطبيقيّة وعملية؛ فعن معاذ بن جبل: أنَّ النبي (ﷺ) كان يحثّ أصحابه على المبارزة[٦٥]. ومن أمثلة ذلك أيضًا توزيعه لأدوار المقاتلين في معركة بدر - كما سبق أن ذكرنا- فقد طبق المبدأ المنهجي القائل بضرورة إضعاف العدو باستعمال وسائل الرمي البعيد، السهام أولاً، ثم الاجهاز على ما تبقى من قوته بأسلحة الالتحام المباشر، السيوف ثانيًا. وبذا يكون الرسول (ﷺ) قد سبق قادة العصر الحديث بوضعه وتطبيقه مبدأ التعاون بين الصفوف...

كان السيف العربي الإسلامي منذ أول عهده - في عهد الرسالة - مستقيم النصل، لا يعرف الانحناء، وبقي كذلك حتى القرن الثالث عشر تقريبًا[٦٦]. كما كانت سيوف المسلمين في عهد الرسالة غير محلاة، امتثالاً لنهي الرسول (ﷺ) عن التصوير والتمثيل، لكن المسلمين كانوا يحلون سيوفهم- في هذه الحقبة- بالرصاص والحديد، وغيرها، لا يزيدون عليها، وإن رخَّص لهم الإسلام في تحليتها بغير الصور[٦٧].

ويبدو أن أحد سيوف الرسول (ﷺ) أصبح نموذجًا صنع على نمطه بعض من الصحابة سيوفهم. ففي حديث عثمان بن سعد عن أبيه عن ابن سيرين قال: صنعت سيفي على سيف سَمُرة[٦٨]. وزعم سمرة أنه صنع سيفه على سيف رسول الله (ﷺ)، وكان حنفيًّا...[٦٩].

لقد أولع الرسول القائد (ﷺ) باقتناء السيوف. فقد كان له (ﷺ) ستة أسياف[٧٠] أو تسعة أسياف[٧١] هي:

أولاً: مأثور[٧٢]: وهو سيف ورثه (ﷺ) عن أبيه، وقدم به إلى المدينة عند الهجرة، ويبدو أنَّ بعض المؤرخين أطلق على هذا السيف اسم (مأثور) نسبة إلى والد الرسول (ﷺ) الذي كان يُكنى بأبي مأثور، أو كان يسمّى مأثورًا[٧٣]، لكن الثعالبي يرى أن السيف «إذا كان في متنه أثرٌ فهو مأثور»[٧٤]. ونحن نميل إلى هذا الرأي الأخير؛ لأن الثعالبي متخصص في فقه اللغة، ولأنه الأقدم، ولأنّ المؤرخين الرواد لم يطلقوا على السيف نفسه اسم مأثور، بل نسبوا ملكيته إلى والد الرسول (ﷺ) الذي كان يكنى بأبي مأثور، أو كان سمي مأثورًا.

ثانيا: القلعي[٧٥].

ثالثًا: بتّار: القاطع.

رابعًا: الحتف[٧٦]: الموت.

والأسياف الثلاثة الأخيرة حصل عليها النبي (ﷺ) من سلاح بني قينقاع بعد إجلائهم عن المدينة[٧٧].

خامسًا: رَسوب[٧٨]

سادسًا: المخذَم[٧٩].

سابعًا: اليمانيّ.

وهذه الأسياف الثلاثة الأخيرة وجدها (علي بن أبي طالب) (رضي الله عنه) في سرية أرسلها الرسول القائد (ﷺ) لهدم (الفُلْس) - صنم لطيّئ - في سنة ٩هـ - فبعد أن هدم علي الفلس، وجد في بيته أو خزانته هذه الأسياف الثلاثة. وبعد أن قسمت الغنائم، اصطفى الرسول (ﷺ) رسوبًا والمخذم. ثم حصل على السيف الآخر بعد ذلك[٨٠]...

ثامنًا: ذو الفقار[٨١] تنفَّل، غنم الرسول (ﷺ) يوم بدر سيفه ذا الفقار، وكان هذا السيف في الأصل (للعاص بن منبه بن الحجاج السهمي) أو لوالده (منبه بن الحجاج السهمي، أو لعمه (نبيه ابن الحجاج السهمي). لكن البلاذري يرى أن السيف كان (للعاص بن منبه بن الحجاج السهمي)[٨٢]. إلا أن أحد كتاب السيرة المتأخرين، بعد أن يذكر أنَّ هذا السيف كان في الأصل لأحد الأشخاص الذين ذكرناهم، بل يجعله (للعاص بن وائل) في مكان آخر[٨٣]، يضيف معتمدًا على ما أورده ابن تيمية دون ذكر لمصدره - أنَّ هذا السيف ربما كان في الأصل لأبي جهل، ثم أعطاه (لمنبه بن الحجاج) أو لغيره؛ لأن سيف أبي جهل أخذه ابن مسعود[٨٤].

ويروي الواقدي عن صالح بن كيسان أنّ الرسول (ﷺ) خرج يوم بدر وليس معه سيف، وأنّ أول سيف تقلده سيف (منبه بن الحجاج) الذي غنمه يوم بدر[٨٥]. كما أن الواقدي نفسه ينقل بعد ذلك عن (عامر بن سعد) عن أبيه، أنه سأل رسول الله (ﷺ) سيف (العاص بن منبه)، عندما كان (ﷺ) يوزع أسلاب قتلى بدر بين أصحابه، فأعطاه (ﷺ) إياه. فنزلت في هذه المناسبة ﴿**يسئلونك عن الأنفال......**﴾[٨٦].

فلمن يعود هذا السيف في الأصل (للعاص بن منبه، أم للعاص بن وائل، أم لمنبه بن الحجاج، أم لنبيه بن الحجاج، أم لأبي جهل...)، ومن الذي تنفله بعد معركة بدر الرسول (ﷺ)، سعد أم أبو عامر؟... ولأنّ مؤرخ السيرة المتأخر الذي أشرنا إليه، يقول: «وربما كان هذا السيف لأبي جهل، ثم أعطاه لمنبه بن الحجاج أو لغيره...» تعدّ روايته ضعيفة؛ لأنها بدأت بكلمة (ربما)، وانتهت بكلمة (أو لغيره)، الأمر الذي يدل على أن راويها لم يكن واثقًا من صحتها، تمام الثقة. إضافة إلى أن مثل هذه الرواية لم ترد في المصادر الأصلية الأولى. كما أن سيف أبي جهل كان قد تنفله أحد الصحابة - كما سنرى - فإذا ما أسقطنا هذه الرواية من حسابنا، وأخذنا بوجهة النظر العلمية، واعتمدنا على الأصول الأولى، فسيكون السيف لواحد من ثلاثة (العاص بن منبه، أو منبه بن الحجاج، أو نبيه بن الحجاج)، وبما أن البلاذري يؤكد بثقة تامة أن السيف يعود في الأصل إلى (العاص بن منبه بن الحجاج السهمي) بقوله «وهو الثبت»، وبما أن روايته تعدّ من أقدم الروايات، نقول الأرجح أن يعود هذا السيف في الأصل إلى (العاص بن منبه بن الحجاج السهمي). ولا حاجة لنا إلى مناقشة من تنفل هذا السيف يوم بدر؛ لأنَّ القسم الأغلب من الروايات الواردة عند المؤرخين الرواد تكاد تجمع على أن الرسول (ﷺ) هو الذي تنفله...

ويبدو أن قبيعة[٨٧]، سيف رسول الله (ﷺ) هذا وقائمه كانا من الفضة وحلقته، التي تكون فيها الحمائل، من الفضة أيضًا[٨٨].... ويروي مرزوق الصيقل أنّه صقل سيف رسول الله (ﷺ) ذا الفقار، وكانت قبيعته من فضة وحلق في قيده، وبكرة في وسطه من فضة[٨٩]... ويصف جعفر بن محمد عن أبيه سيف رسول الله (ﷺ) - الذي تكاد تنطبق أوصافه مع أوصاف ذي الفقار الواردة أعلاه- بقوله: «رأيت سيف رسول الله (ﷺ)، قائمته[٩٠]، ونعله[٩١] من فضة، وبين ذلك حلق من فضة. قال: هو عند هؤلاء، يعني بني العباس.»[٩٢]... وينقل ابن سعد عن جابر عن عامر: «قرأت في جفن- غمد- سيف رسول الله (ﷺ) ذي الفقار: العقل-الدية - على المؤمنين، ولا يترك مُفرح[٩٣] في الإسلام، والمفرح في القوم لايعلم له مولى، ولا يقتل مسلم بكافر»[٩٤].

وقد سُمّي سيف الرسول القائد (ﷺ) هذا بذي الفقار لحزوز في وسطه، تشبه فقرات الظهر... وكانت العرب إذا أصابت سيفًا قاطعًا حافظت عليه، وتناقلت خبره، وأطرته، كسيف ذي الفقار هذا، حيث انتقل إلى علي (رضي الله عنه)، ثم إلى بنيه. والأرجح أنه السيف الذي يذكر المحدثون الرواد أنه كان مع الحسين بن علي (رضي الله عنه) عندما قتل بكربلاء عند الطفّ، فأخذه علي بن الحسين ابن زيد العابدين، فقدم به دمشق حين دخل على يزيد بن معاوية، ثم رجع به إلى المدينة... وقد ثبت أن المسور بن مخرمة تلقاه في الطريق، فقال له: «هل لك إليَّ حاجة تأمرني بها؟ قال: لا. فقال: هل أنت مُعطيَّ سيف رسول الله (ﷺ) فإني أخشى أن يغلبك عليه القوم، وأيم الله إن اعطيتنيه لا يخلص إليه أحد حتى يبلغ نفسي...»[٩٥].. وبعد أن أيقن (محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي) بالموت، بعد إصابته برمية سهم عند خروجه على المنصور، ناول هذا السيف إلى تاجر كان عليه (٤٠٠) دينار، قائلاً له: «خذه، فإنك لا تلقى أحدًا من آل أبي طالب إلا أخذه، وأعطاك حقك»، فاشتراه منه (جعفر بن سليمان العباسي) عندما ولي المدينة، ثم انتقل بعد ذلك إلى خلفاء بني العباس كالمهدي والهادي، حتى وصل إلى الرشيد، وقد رآه الأصمعي لديه، وكان فيه ثماني عشرة فقرة. ثم انتقل إلى المعتز. ويقال إنه عثر عليه في خزانة الفواطم. ولكن هذا الأمر مشكوك فيه[٩٦].

تاسعًا: العضب[٩٧]: وهو سيف وهبه (سعد بن عبادة) مع درع يقال لها (ذات الفضول) للرسول (ﷺ) حين خروجه إلى بدر، فشهد (ﷺ) بهما معركة بدر[٩٨]، وقد يلاحظ هنا أنّ هذه الرواية تتناقض مع الرواية السابقة، التي أوردها الواقدي، والتي تجعل ذا الفقار أول سيف تقلده الرسول (ﷺ)... ولكن الظاهر أن الرسول (ﷺ) كان قد خرج إلى بدر من دون سيف، الأمر الذي دفع (سعد ابن عبادة) إلى أن يهديه (العضب) ودرعه (ذات الفضول)، فشهد (ﷺ) بهما المعركة. ثم غنم (ﷺ) بعد ذلك سيفه ذا الفقار - والغنيمة توزع عادة بعد انتهاء المعركة- الذي تقلده بعد انتهاء المعركة، واستمر في تقلده، فأصبح ذو الفقار بذلك أول سيف تقلده الرسول (ﷺ) على أنه حمل العضب، بشكل مؤقت- في أثناء معركة بدر فقط. كما أن احتمال حصول الرسول (ﷺ) على سيفه ذي الفقار خلال المعركة، وتقلده إياه عوضًا عن العضب، أمرٌ واردٌ ومقبول أيضًا...

هذه هي الأسياف التسعة المعروفة التي اقتناها

الرسول (ﷺ) كما وردت عند المؤرخين والمحدثين الرواد، ومن سار على نهجهم بعد ذلك... إلا أن هناك أسيافًا أخرى وردت عند بعض المؤرخين المتأخرين والمحدثين مثل:

أولاً: المغصوب[99].

ثانيًا: العرضب[100]، لعل المقصود به العضب.

ثالثًا: الحنف، ينفرد ابن جماعة الحموي بذكر هذا السيف. ويقول إنه سُمي بذلك لأنه كان معوجًا. بينما يشير في الهامش - معتمدًا على لسان العرب- إلى أن الحنفية ضرب من السيوف، منسوبة إلى (أحنف)؛ لأنه أول من عملها، أو منسوبة (للأحنف بن قيس)، لأنّه أول من أمر باتخاذها[101].

رابعًا: الصمصامة، وهو سيف مشهور عند العرب، كان (لعمرو بن معد يكرب)[102].

خامسًا: القضيب، من قضب الشيء قطعه[103].

وهذه الأسياف الأخيرة جميعها يشك في صحتها. فالعرضب الذي انفرد بذكره ابن جماعة الحموي، ونسبه إلى والد النبي (ﷺ)، يبدو أنه قد خلط بينه وبين (مأثور). و(الحنف) قد يكون المقصود به (الحتف). كما أن تسويغ ابن جماعة تسميته بالحنف ما بين كونه معوجًّا ونسبته إلى (الأحنف) الذي صنعه أو الذي أمر باتخاذه أول مرة. يضعف من إمكان وجود مثل هذا السيف عند الرسول (ﷺ). واعتماد ابن جماعة في هذا التسويغ على ما ورد في (لسان العرب) لا يؤدي بالضرورة إلى وجود مثل ذلك السيف عند النبي (ﷺ)؛ لأنَّ ما ورد في (لسان العرب) توضيح لمعنى السيف الأحنف، أو لسبب تسميته بهذا الاسم بشكل عام، وليس إشارة إلى وجود مثل ذلك السيف عند النبي (ﷺ). إضافة إلى أن القول إنّ هذا السيف كان معوجًا أمر مشكوك فيه؛ لأنَّ الأرجح أنَّ السيف كان أول عهده مستقيم النصل، وبقي كذلك حتى القرن الثالث عشر - كما سبق أن أشرنا- وليس من المقبول احتفاظ الرسول (ﷺ) بسيف أعوج، على افتراض أنَّه انحنى في القتال، مع وجود أسياف مستقيمة صالحة...

أما الاحتجاج بما أورده (الأصبهاني) بقوله: «كان سيف رسول الله (ﷺ) حنيفيًّا قائمه من قرن - أي جلد-» فهو احتجاج ضعيف. فأي سيف من سيوفه (ﷺ)، كان حنيفيًّا - نسبة إلى بني حنيفة المشهورين بصناعة السيوف - كما يرد في هامش كتاب الأصبهاني - وهي نسبة تختلف عن النسبة التي أوردها ابن جماعة الحموي باعتماده على (لسان العرب) في تفسيره لتسمية السيف الأحنف، وحتى لو افترضنا أنَّ هناك سيفًا من أسياف رسول الله (ﷺ) اسمه (الحنيفي)، فمحقق كتاب الأصبهاني يُضعف هذه الرواية بقوله عن النص الوارد أعلاه: «وهذا حديث ضعيف مرسل»[104]، إضافة إلى أنَّ ابن سعد يورد النص كما يأتي : «وكان سيف رسول الله (ﷺ) حنيفيًّا له قرن»[105]. وتحريف الكلمة في هذه المواضع جميعها أمر واضح، فالأرجح أنّ المقصود بهذا السيف هو (الحتف)- كما سبق أن ذكرناها.

أما الصمصامة و(القضيب)، فقد انفرد بذكرها مؤرخ متأخر، ولم يرد ذكر لهما عند المؤرخين أو المحدثين الرواد الأوائل، الأمر الذي يضعف من أمر نسبتهما إلى رسول الله (ﷺ).

وربما يكون المقصود ب(المعصوب)

و(العرضب) و(القضيب) سيفًا واحدًا هو (العضب)، وأنَّ الاسم خضع للتحريف مع مرور الزمن...

لقد مارس الرسول القائد (ﷺ) حمل السيف عن طريق تقلده في عنقه، وليس بشدّه في وسطه كما هو معروف[١٠٦]. ويؤيد هذا خروج الرسول (ﷺ) قبل بقية الناس، نحو مصدر صوت مرعب استيقظ على أثره أهل المدينة في إحدى الليالي، ثم عودته على فرس لأبي طلحة والسيف في عنقه، وتطمينه الناس بقوله لن تراعوا، كما سبق أن ذكرنا في موضوع الخيل.

وقد وردت عنه (ﷺ) أحاديث تؤيد ذلك - إضافة إلى ما تحمله من معانٍ أخرى- سبق أن ذكرنا حديث «السيوف أردية المجاهدين»، كما نقل الحسن عن النبي (ﷺ) أنَّه قال «أردية الغزاة السيوف»[١٠٧] تشبيهًا بالرداء من الملابس، فقد كني بالارتداء عن تقلد السيف والتعمم وحمل البيضة والمغفر[١٠٨]... كما كان (ﷺ) يتأهب للقتال في بداية كل معركة، ويستعد له أتم الاستعداد، فيرتدي من لباس الحرب ما يقي جسمه، ويحمل من السلاح ما يحتاج إليه (ويتقلد السيف بيده)، فقد فعل ذلك مثلا عند التهيُّؤ لخوض معركة بدر[١٠٩]. وكذلك عند التهيُّؤ لخوض معركة أُحد[١١٠]. كما فعل ذلك عند التهيُّؤ لخوض معركة بني قريظة[١١١]. كما كان (ﷺ) يشارك في مصاولة العدو بسيفه، ويتحمل ضربات سيف العدو في ساحة الوغى بشكل فعلي - فقد رؤي (ﷺ) في أثر المشركين يوم بدر - رمضان٢هـ - مُصلتًا السيف، يتلو الآية: ﴿**سيهزمُ الجمْعُ ويُولون الدُّبُرَ**﴾[١١٢]. وفي يوم أُحد - شوال ٣هـ- كسرت رباعيته (ﷺ) وشجت وجنتاه، ثم سقط في حفرة من الحفر التي حفرها (أبو عامر الفاسق) للمسلمين، فأغمي عليه وخدشَت ركبتاه فساعده (علي وطلحة)، حتى استوى قائمًا. وكان سبب وقوعه في الحفرة أنّ المشرك (ابن قميئة)[١١٣] أعلاه بالسيف، لكن سيف ابن قميئة لم يؤذ الرسول(ﷺ)، إلا أنَّه أثّر في عاتقه فشكا منه شهرًا أو أكثر...»[١١٤]. كما ساهم الرسول القائد (ﷺ) بسيفه في معركة حنين - شوال ٨هـ - حيث تروي (أم عمارة): «ورسول الله (ﷺ) مُصلت السيف بيده، قد طرح غمده ينادي: يا أصحاب سورة البقرة...»[١١٥]، وهناك رواية أخرى تؤيد مشاركة الرسول (ﷺ) بسيفه في معركة حنين هذه، تشير إلى أن الرسول (ﷺ) اقتحم ميدان المعركة بدابته، حتى رأى المسلمين يولون مدبرين، فثبت قائمًا، وجرد سيفهُ، طارحًا غمده، وجعل يتقدم في نحر العدو، وهو يصيح بأعلى صوته: «يا أصحاب الشجرة يوم الحديبية! الله، الله، الكرة على نبيكم..»، وهكذا تجمع الأنصار والمهاجرون عليه حتى هزموا العدو[١١٦]. كما أن هناك رواية ثالثة تشير إلى المغزى نفسه تقول: إنَّ الرسول القائد(ﷺ) تقدم نحو العدو في غزوة حنين هذه راكبًا بغلته مجردًا سيفه، و(أبو سفيان بن الحارث) و(العباس) يتشبثان بالبغلة خوفًا عليه...[١١٧].

ومن الممارسات الرائعة للرسول القائد(ﷺ) في هذا المجال استعماله(ﷺ) السيف وسيلة لتشجيع الاكفاء من المقاتلين، وتكريمهم، ممن برز منهم في فن استعمال السيف وحثهم على القتال، كما حصل في معركة أُحد، حيث رفع (ﷺ) سيفه أمام المقاتلين المسلمين قائلاً: (من يأخذ هذا السيف بحقه؟) قالوا: وما حقه؟ (قال: يضرب به

العدو. أو تشرب به العدو حتى ينحني). فتقدم كل من(عمر) و(الزبير) (ﷺ) فأعرض (ﷺ) عنهما. ثم عرض السيف مرة ثالثة فتقدم (أبو دجانة سماك بن خرشة) فقال: «أنا آخذه بحقه» فدفعه الرسول إليه. وقد أدى ذلك إلى تأثر أحد الرجلين - عمر أو الزبير- بشكل كبير، الأمر الذي دفعه إلى تتبع أبي دجانة في أثناء القتال، فوجده يقاتل على أفضل حال، حتى إذا كلّ سيفه عمد إلى حجارة يشحذه بها، ثم يعود فيضرب به العدو حتى رده، وكأنه المنجل.. وكان أبو دجانة من أشجع الناس يختال بين الصفوف المتحاربة متميزاً بعمامة الحمراء، الأمر الذي دفع الرسول القائد (ﷺ) إلى القول: (إنَّ هذه لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن).

وقد استمر أبو دجانة في اختراقه صفوف المشركين، وقتله العديد منهم، حتى انتهى إلى نسوة في سفح جبل معهن دفوف، وفيهن امرأة تقول:

نحن بنات طارق — إن تقبلوا نعانق

أو تدبروا نفارق — ونبسط النمارق

فراق غير وامق

فرفع سيفه ليضربها به، ثم أحجم، فلما سُئل عن ذلك قال: «أكرمت سيف رسول الله (ﷺ) أن اقتل به امرأة»[118]، وهناك من يروي هذه الرواية الأخيرة بشكل آخر، فيقول إنّ (أبا دجانة) رأى إنساناً يضرب الناس بسيفه، فحمل عليه بالسيف، فإذا هو (عمرة بنت الحارث) أو(هند بنت عتبة)، فارتد عنها مكرماً سيف رسول الله (ﷺ) أن يضرب به امرأة[119].

وظهر تشجيع الرسول القائد (ﷺ) للمقاتلين بهذه الطريقة أيضاً في غزوة الخندق - ذو القعدة ٥ هـ- عندما أراد (علي بن أبي طالب) (رضي الله عنه) أن يبارز (عمرو بن عبدود)، حيث أعطاه(ﷺ) سيفه، وألبسه درعه الحديد، وعممه بعمامته، قائلاً: (اللهم أعنه عليه...)[120]. كما أن هناك رواية تشير إلى أن الرسول القائد(ﷺ) ألبس علياً(ﷺ) درعه الحديد،وشد سيفه ذا الفقار في وسطه، وأعطاه الراية، ووجهه إلى الحصن في غزوة خيبر- صفر ٧هـ[121].

وعمل الرسول القائد (ﷺ) هذا في إعطائه السيف لأبي دجانة وعلي دون غيرهما من الصحابة يحمل ثلاثة معانٍ:

الأول: تشجيع المقاتلين وحثهم على القتال.

الثاني: أنَّ الرسول (ﷺ) كان خبيراً، ومطلعاً أدق الاطلاع على النموذج الذي برع فيه كل فرد من الصحابة في فنون القتال، بدليل أنه فضل إعطاء السيف لأبي دجانة، وعلي دون غيرهما من الصحابة. وهذه لعمري سمة رائعة من سمات القيادة الناجحة.

الثالث:- تكريم السيف والاعتزاز به بصفته رمزاً للشجاعة والإباء والوفاء بوضعه في يد خيرة المقاتلين.

ولم يكرم الرسول القائد(ﷺ) السيف في ميدان القتال فحسب، بل كان يكرمه، ويعتز به، بعد انتهاء المعركة أيضاً؛ فبعد معركة أُحد، وبعد وصوله (ﷺ) إلى بيته، ناول سيفه إلى ابنته فاطمة قائلاً: (اغسلي هذا من دمه يا بنيّة، فو الله لقد صدقني في هذا اليوم...)[122]، وربما يحمل هذا النص الأخير دليلاً آخر على استعمال الرسول

القائد (ﷺ) سيفه في مقارعة الأعداء بنفسه في معركة أُحد.

ويبدو أن الرسول (ﷺ) كان قد سمح للنساء بمباشرة الحرب واستعمال السلاح بعامة والسيف بخاصة، إذا ما اقتضت الضرورة. حيث تروي (أم عمارة المازنية) أنها دخلت معركة أُحد، وهي تحمل سقاء فيه ماء لإرواء المقاتلين المسلمين، لكنها اضطرت إلى مقاتلة المشركين بعد هزيمة المسلمين، حيث انحازت إلى جانب الرسول (ﷺ)، وأخذت تذب عنه بالسيف، وترمي بالسهم، مكونة بذلك غطاءً يساعد جرحى المسلمين على الانسحاب نحوها، حتى أصيبت بالجراح التي كان أخطرَها وأعمقها جرحٌ في عاتقها أصابها به (ابن قميئة) عند محاولته قتل الرسول(ﷺ)، حيث تصدّت له (أم عمارة) و(مصعب بن عمير) وغيره، إلا أنّ أم عمارة سددت إلى ابن قميئة على أثر جرحها الكثير من الضربات، لكنه سلم منها؛ لأنّه كان عليه درعان[١٢٣]. وهكذا ذبّت أم عمارة عن رسول الله (ﷺ)، وعن المسلمين يوم أُحد بالسيف والسهم، حتى أُصيبت باثني عشر، أو ثلاثة عشر جرحًا بين طعنة رمح وضربة سيف[١٢٤].

وفي معركة حُنين-شوال ٨هـ-دليل آخر على سماح رسول الله (ﷺ) باستعمال السلاح بعامة، والسيف بخاصةٍ من قبل النساء، إذا اقتضت الضرورة، حيث تروي (أم عمارة) أنها شاركت مع بعض النساء في معركة حنين، وأنها كانت تحمل في يدها سيفًا صارمًا، بينما كان مع (أم سليم) خنجر قد حزمته في وسطها...، وتقول (أم عمارة) إنها سلّت سيفها عندما وجدت المسلمين يهزمون في كل اتجاه، وأخذت تشجع الأنصار على الثبات. ثم تضيف أنها شاهدت رجلاً من هوازن على جمل، ومعه لواء، يسير في أثر المسلمين، فاعترضته، وضربت عرقوب الجمل، فوقع على عجزه، ثم استمرت في ضربه، وقتلت الرجل، وجردته من سيفه، تاركة الجمل يتقلب..[١٢٥].

لقد كان للرسول القائد (ﷺ) سيّافه الخاص الذي يقوم على رأسه متوشحًا بالسيف مثل (الضحاك بن سفيان الكلابي)[١٢٦]. كما وقف (المغيرة بن شعبة الثقفي) على رأسه بالسيف يوم الحديبية[١٢٧]، وعندما بنى الرسول القائد (ﷺ) عريشًا من جريد - لما نزل على القليب في معركة بدر - قام (سعد بن مُعاذ) على بابه متوشحًا السيف[١٢٨]، وإضافة إلى ممارسة الرسول القائد (ﷺ) للسيف في منازلة الأعداء خلال المعارك الإسلامية في ساحة الوغى، كان (ﷺ) يستعمل السيف في مهماته الخاصة... فقد تقلد (ﷺ) سيفه، وامتطى فرسًا عاريًا - بلا سرج- لأبي طلحة، متجهًا نحو مصدر صوت مفزع سمعه أهل المدينة في إحدى الليالي، فانطلقوا نحو مصدره، لكن الرسول الأعظم سبقهم إلى مصدر الصوت، ثم عاد قائلاً لأهل المدينة : لا تُراعوا- مرتين- ثم امتدح فرس أبي طلحة بقوله: إنه وجده كالبحر، مشبهاً هذا الفرس الذي لا ينقطع جريه بالبحر الذي لا ينقطع ماؤه[١٢٩].

كما مارس الرسول القائد (ﷺ) استعماله سيفه وسيلة لحل بعض المعضلات العسكرية. فمثلاً عندما حاول (زيد بن حارثة) مقاتلة (رفاعة بن زيد) من جذام دون أن يعلم - زيد بن حارثة- أنّ رفاعة كان قد أتاه كتاب من رسول الله (ﷺ) قرأه على قومه، الأمر الذي أدى إلى استجابة قسم

منهم لدعوة الإسلام، قام رفاعة بالتوجه إلى الرسول (ﷺ) بالمدينة موضحًا القضية، فبعث الرسول (ﷺ) معه عليًا (ؑ)، وأعطاه سيفه دليلاً على صحة ما سينقلانه عن الرسول (ﷺ) لزيد بن حارثة، فلقوا زيدًا بفيفاء الفحلتين...[١٣٠][١٣١]

لقد كانت السيوف تشكل حصة كبيرة من الغنائم، التي كان الرسول القائد (ﷺ) يحصل عليها من الأعداء- اليهود خاصة - ففي غزوة بني النضير - ربيع الأول أو جمادى الأولى ٤هـ- حصل الرسول القائد (ﷺ) على (٣٤٠) سيف، وأسلحة أخرى، وفي غزوة بني قريظة، التي وقعت بعد غزوة الخندق مباشرة، في- ذي القعدة ٥هـ - جمع (ﷺ) من حصون اليهود(١٥٠٠) سيف، وأسلحة أخرى، وحيوانات وماشية... ولم يخمس الرسول (ﷺ) هذه الغنائم، ولم يسهم منها لأحد، بل عدّت فيئًا له، رده (ﷺ) على المسلمين لاستعماله عند الحاجة[١٣٢]... وفي غزوة خيبر - صفر ٧ هـ- قبض الرسول (ﷺ) أسلحة اليهود بعد سقوط حصن الكتيبة، وكان بينها من السيوف (٤٠٠) سيف، وأسلحة أخرى متنوعة[١٣٣]، ولا يخفى ما لهذه الغنائم من أهمية في تزويد المسلمين بما كانوا يحتاجون إليه من السلاح والعتاد. فعند فتح حصون خيبر مثلاً، كان باستطاعة الشخص الذي يحتاج إلى سلاح يقاتل به أن يأخذه من صاحب المغنم، وعندما فتح الله على المسلمين هذه الحصون أُعيدت الأسلحة إلى المغنم[١٣٤].

واضافة إلى ممارسة الرسول (ﷺ) توزيع غنائم الأسلحة - ومنها السيوف - وبقدر ما يتعلق الأمر بغنائم السيوف، تعددت الروايات وتعقدت حول شخصية الصحابي الذي قتل أبا جهل، وحول من تنفل سيفه، علمًا بأنّ الذي تنفل سيف أبي جهل الذي قتله على الأرجح، بدليل ما أعلنه الرسول (ﷺ) في معركة بدر: (من قتل قتيلاً فله سلبه)[١٣٥]... فمن الروايات ما يرى أن (معاذ بن عمرو بن الجموح)، و(معاذ - أو معوذ - بن عفراء) هما اللذان قتلاه. وأنَّ الرسول (ﷺ) قضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح[١٣٦]، أو أنَّ ابن الجموح هذا تنفل سيف أبي جهل[١٣٧]، أو أن الرسول (ﷺ) أعطى السلب لمعوذ بن عفراء[١٣٨]، أو أن ابني عفراء - عوف ومعوذ - أو ابني الحارث هما اللذان قتلاه، وهو الذي قتلهما[١٣٩]...

وهناك روايات عديدة تشير إلى أن الذي قتل أبا جهل أو تنفل سيفه هو (عبد الله بن مسعود). وهذه الروايات تختلف فيما بينها...فبعضها يشير إلى مقتل أبي جهل على يد ابن مسعود دون الإشارة إلى تنفله لسيفه. وبعضها يشير إلى تنفله لسيف أبي جهل أو لسلاحه بشكل عام[١٤٠]... كما يشير بعض المتحدثين والمؤرخين الرواد إلى أن ابن مسعود أتى أبا جهل وبه رمق، بعد أن ضربه (معاذ ابن عمرو بن الجموح) فقطع رجله من الساق. ثم ثنّى عليه معوذ بن عفراء) وتركه وبه رمق. أو أن ابن مسعود مر به بعد أن ضربه ابنا عفراء، على أثر طلب الرسول (ﷺ) منه - من ابن مسعود - أن يُلتمس في القتلى... فاحتزَّ رأسه وألقى به بين يدي الرسول(ﷺ)[١٤١].

وللتوفيق بين اختلاف الروايات التي تشير إلى المستحق لسيف أبي جهل أو سلاحه يرى الشيباني أنّ الذي جرح أبا جهل ربما لم يقض عليه، فيكون قاتله من قطع رأسه، وإن كان الصحيح أنه (ﷺ)

أعطى سلبه لغير ابن مسعود، فهذا يحمل على الاعتقاد بأن الذي ضربه أولاً أوصله إلى حالة الموت، فيكون السلب له[١٤٢].

وهكذا نرى أن هذا التحليل الأخير لا يبت لنا في قضية من تنفل سيف أبي جهل. فهل هو ابن الجموح، أم ابن عفراء، أم ابن مسعود؟... المهم أن الرسول (ﷺ) أعطى سيف أبي جهل لأحد قتلته من الصحابة تشجيعًا له وتكريمًا لمن قتل «فرعون هذه الأمة»...، ويذكر سعد بن أبي وقاص أنّه قتل يوم بدر (سعيد بن العاص) وأخذ سيفه (ذا الكتيفة)، بعد أن اعترض الرسول (ﷺ) على أخذه له. فنزلت سورة الأنفال، التي جعلته (ﷺ) يعطيه إياه[١٤٣].

إنَّ هذه الرواية الأخيرة التي لم تأت إلا عند ابن حنبل رواية واهمة؛ لأن (سعيد بن العاص)، لم يكن قد ولد بعد عند قيام معركة بدر، أو ربما كان مولودًا جديدًا عند قيامها؛ لأن عمره عندما قبض الرسول (ﷺ) كان تسع سنين أو نحوها. والمعروف أنَّ معركة بدر وقعت سنة ٢هـ، وأنَّ النبي (ﷺ) انتقل إلى جوار ربه سنة ١١هـ. فالذي قُتل في معركة بدر هو أبوه (العاص بن سعيد)، حيث قتل كافرًا، وإنَّ الذي قتله علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)[١٤٤]...، وربما يجوز القول إنّ الرسول (ﷺ) نفل سعد بن أبي وقاص سيف (العاص بن سعيد) من الخمس؛ لأنه كان محتاجًا، أو أنَّ غنائم بدر كانت مفوضة إليه، كما قال تعالى: ﴿**قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ (ﷺ)، فاصطفى ذلك لنفسه، ثم أعطاه سعدًا[١٤٥]...ولكن الرواية الأكثر وضوحًا تأتي عند الترمذي، وعند ابن حنبل نفسه في مكان آخر، وعلى لسان (مصعب بن سعد ابن أبي وقاص)، وهي لا تشير إلى تنفل سعد لسيف العاص بن سعيد بالذات؛ إذ يقول سعد: جئت يوم بدر بسيف فقلت: يا رسول الله، إنَّ هذا السيف قد شفى صدري من المشركين. فقال (ﷺ): هذا ليس لي ولا لك. فقلت: عسى أن يعطى لمن لا يبلي بلائي... فجاءني الرسول (ﷺ) - بعد ذلك- فقال: إنك سألتني، وهو ليس لي، والآن صار لي، فهو لك. فنزلت ﴿**يسألونك عن الأنفَال**﴾[١٤٦].

يتضح من النص الأخير أنَّ صاحب السيف غير معروف، وعلى الأكثر أن السيف ليس سيف العاص أيضًا؛ لأنه لوكان كذلك لأشار سعد إليه.

كما يروي أبو أسيد الساعدي أنه أصاب يوم بدر سيف أبي عابد المرزبان[١٤٧]، ثم ألقاه في النفل... فعرفه الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، فسأله الرسول (ﷺ) فأعطاه إياه[١٤٨].

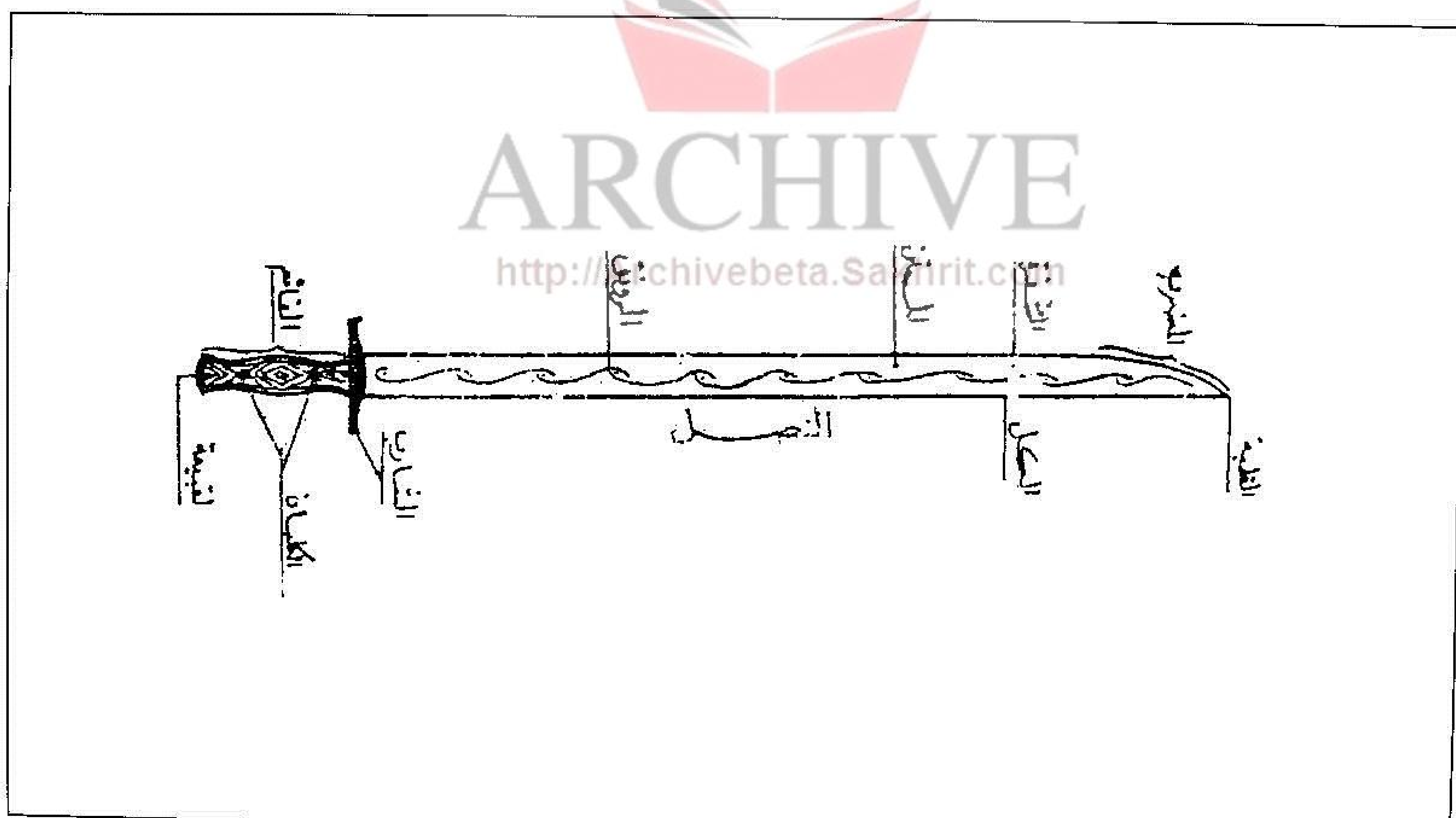
وبعد غزوة بني النضير أعطى الرسول القائد (ﷺ) (سعد بن معاذ) سيف (أبي الحقيق- أو ابن أبي الحقيق- «وكان سيفًا له ذكر عندهم»[١٤٩]... وبعد غزوة خيبر، أعطى (ﷺ) (محمد بن مسلمة) سيفًا ورمحًا ومغفرًا وبيضة (مرحَب) صاحب حصن خيبر، بعد أن اختصم محمد وعلي (رضي الله عنه) إلى النبي (ﷺ) في سلب مرحب، حيث اشترك كلاهما في قتله[١٥٠]...

وإضافة إلى حصول الرسول القائد (ﷺ) على السيوف من الغنائم بغية تزويد أفراد جيشه بها كان (ﷺ) يستعير الحيوان والسلاح بكل أصنافه عند الحاجة.

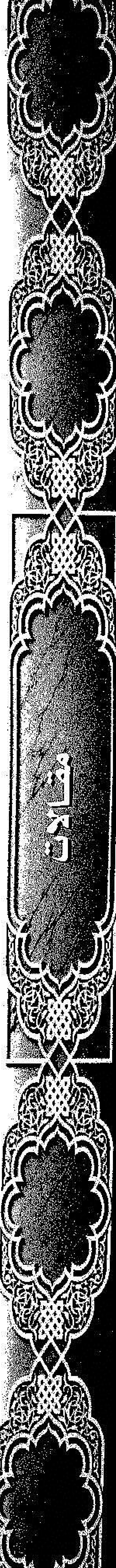
فقد صالح الرسول القائد (ﷺ) أهل نجران على أموال يؤدونها للمسلمين وعارية من الحيوان

والسلاح بكل أصنافه - السيوف حتمًا تأتي في مقدمتها - على أن يضمن المسلمون هذه الإعارة، ويردوها لأهل نجران، إن حصل في اليمن فتنة تهددهم[١٥١].. إن الرسول القائد (ﷺ) كان حريصًا على إدامة تزويد المقاتلين المسلمين بالسلاح وتكريمه وإيثاره للبارعين منهم في فن استعمال السيف بإعطائهم سيوف خيرة مقاتلي العدو من المقتولين، وإصراره على الحصول على السلاح بأي وسيلة، ومن أي مصدر - حتى عن طريق الاستعارة - بغية تزويد المقاتلين المسلمين به، وتشجيعه للمقاتلين المسلمين في ساحة الوغى بالطلب إليهم أن يقاتلوا بسيف معين يقدمه (ﷺ) لهم... هذه الممارسات جميعها وغيرها عوامل مهمة تدل على براعة الرسول القائد (ﷺ)، ودقته ومرونته في التعامل مع المقاتل والسلاح بشكل عام، أو مع المقاتل والسيف بشكل خاص... فإذا أضفنا إلى هذه الممارسات البارعة الأمور المنهجية الواردة في سيرته (ﷺ) من مبادئ تتعلق بالسلاح بشكل عام، والسيف بشكل خاص، حُقَّ لنا أن نطلق صنعة القيادة على الرسول القائد (ﷺ) بكل ما تعنيه هذه الكلمة من أصالة رأي، وحسن تصرف، وجودة وتقدير.... ■

●●●



صورة مأخوذة عن كتاب الفن الحربي في صدر الإسلام، لعبد الرؤوف عون.
وينظر كتاب معارك خالد بن الوليد للمقدم ياسين سويد.



الحواشي

١- آل عمران:١٥٢.
٢- السيرة النبوية:(٣-٤/١١٣-١١٤).
٣- المصدر نفسه:(٣-٤/١١٣-١١٤).
٤- النساء:١٠٢.
٥- في ظلال القرآن:(٥/٥٠٧)، للحصول على المزيد من المعلومات عن صلاة الخوف، راجع تفسير القرآن العظيم:١/(٥٤٦-٥٤٧).
٦- النظم الإسلامية - نشأتها وتطورها:٤٠٠.
٧- في ظلال القرآن:(٥/٥٠٨).
٨- الكهف:٩٦.
٩- حول قصة ذي القرنين، راجع تفسير القرآن العظيم: (٣/١٠٠-١٠٤)، و في ظلال القرآن:(١٦/٤٠٨-٤١٢).
١٠- سبأ:١٠.
١١- تفسير القرآن العظيم: (٣/٥٢٧).
١٢- الحديد: ٢٥.
١٣- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: (٣/٣١٤-٣١٥).
١٤- صحيح البخاري: (٣/٢٠٨)، التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول: (٤/٣٢٩).
١٥- صحيح مسلم بشرح النووي: (٥/١٤٣)، رياض الصالحين: ٤٨٦.
١٦- صحيح مسلم: (٦/٤٥)،صحيح الترمذي:(١/٣١٢) رياض الصالحين: ٤٨٠.
١٧- مسند الإمام أحمد:(٢/٥٠)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:(٥/٢٦٧)، التاج الجامع: (٤/٣٦٠).
١٨- بلوغ الأرب في أحوال العرب :(٢/٧٥).
١٩- المستدرك على الصحيحين :(٢/٢٣٠, ٤٩٤)، الفردوس بمأثور الخطاب:(٢/٣٤٣, ٣٤٤)، مستند الاجناد في آلات الجهاد، :٨٥، منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال:(٢/٢٩٠).
٢٠- انظر الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير:(٣/١٩٩)، منتخب كنز العمال:(٢/٢٩٠)، فيض القدير شرح الجامع الصغير:(٦/ ١٥٤) نقلاً عن ابن مردويه، وعن الشيخ والمخلص في فوائده.
٢١- إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون:(٣/٣٤٠)، الآثار النبوية:١٦.
٢٢- كتاب المغازي:(٣/٤٦٥).
٢٣- صحيح البخاري:(٥/٢٩٩)، السيرة النبوية:(٣/٤٦٥).
٢٤- المسند: (٥/٢٩٩)، السيرة النبوية، (٣/٤٦٦).
٢٥- سنن أبي داود:(٣/٧٢).
٢٦- سنن ابن ماجه:(٢/٨٨٩)، المعجم الكبير :(١٠/٨٩).
٢٧- المعجم الكبير:١٦٦/٢٠، الفردوس:٥٤/٣، كنز العمال:٢/٢٩٠.
٢٨- صحيح مسلم:١٨٧/٥.
٢٩- سنن أبي داود:٣/٢١.
٣٠- كتاب المغازي:٣/١٠٢٠.
٣١- كتاب المغازي:١/٦٧، سنن أبي داود:٣/٥٢، السنن الكبرى:(٩/١٥٥).
٣٢- الرسول القائد:٣٢.
٣٣- The Life of Mohammad: P 224.
٣٤- المسند:٣/٢٢٤، صحيح الترمذي، (١/٣١٤)، مروج الذهب ومعادن الجوهر:(٢/١٤٦).
٣٥- المسند:١/١٩٣, ١٤٩/٥.
٣٦- الكامل في التاريخ:(٢/١٤٦).
٣٧- الطبقات الكبير:(ج٢/ق١/٦٦). انظر كذلك، مسند أبي يعلى:(٢/٢٠٤-٢٠٦)، الكامل في التاريخ:(٢/١٤٦-١٤٧).
٣٨- انظر صحيح مسلم: (٥/١٧٤, ١٧٥)، إمتاع الأسماع:(١/٢٧٤-٢٧٥)، إنسان العيون:٢/٦٨٩.
٣٩- كتاب المغازي:٢/٧٣٣-٧٣٤، الطبقات الكبير: (ج٢/ق١/٨٧-٨٨)، صحيح البخاري:٥/٨٥، السيرة النبوية:(٣/٤٣٦)إمتاع الاسماع:١/٢٣٧-٢٣٨.
٤٠- كتاب المغازي:٢/٤٤٨، المسند:٥/٣٦٢، صحيح الترمذي: ١/٢/٢٤.
٤١- النهاية في غريب الحديث والأثر:(١/١٤٧).
٤٢- المسند:٣/٣٠٠، سنن أبي داود : ٣/٣١، صحيح الترمذي:٢/٣٤.
٤٣- المسند:٣/١٤٧
٤٤- صحيح البخاري:٨/٩٠، المعجم الكبير:٦/١٠٩، رياض الصالحين:٦٤١، المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية:٢٢٧.
٤٥- المسند:٤/٤٦-٥٤، المعجم الكبير :٧/١٩.
٤٦- المسند :٤/١٨٥-١٨٦، مجمع الزوائد:٥/٢٩١، مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: ١٢٢.
٤٧- الحلس: الذي لا يبرح بيته أو مكانه، انظر تاج العروس:(٥/٤٥٧).
٤٨- المعجم الكبير:٦/٣٣.
٤٩- المصنف:(١/٣٩١).
٥٠- المسند:١/٢٥٦
٥١- المعجم الكبير:١١/٣٠٧.
٥٢- مجمع الزوائد:٥/٣١٦.
٥٣- السيف في العالم الإسلامي:٣٦.

السيف في نهج الرسول القائد ﷺ وتطبيقاته

٥٤- المسند: (٥/١١، ١١١)، انظر كذلك لسان العرب: (١٧/ ٢٣٠)، تاج العروس:٩/٣١٦، بلوغ الأرب:٢/٦، السيف في العالم الإسلامي:٣٥.

٥٥- صحيح البخاري:٥/٢٣٧، السيرة النبوية الصحيحة:(١/ ١٥٧).

٥٦- تاريخ واسط: ١٠و ٥٥، السيرة النبوية الصحيحة:١/ ١٦٥.

٥٧- معجم البلدان:(٧/ ٨٣).

٥٨- لسان العرب:٣/ ١٢٢،تاج العروس:٢/ ٥٨، بلوغ الأرب: ٢/ ٧٠.

٥٩- بلوغ الأرب :٢/ ٦٩-٧٠.

٦٠- الطبّاع: الذي يأخذ الحديدة المستطيلة فيقطع منها سيفًا أو سكينًا أو سنانًا، ونحو ذلك. ويطلق على السياف وغيره.تاج العروس:٥/ ٤٣٩.

٦١- السيف في العالم الإسلامي :٣٦-٣٨.

٦٢- انظر ترجمته في الإصابة في تمييز الصحابة:(٢/ ١٠١)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب:(٢/ ٤٣٥-٤٣٦)، أسد الغابة في معرفة الصحابة : (٢/ ٩٨-١٠٠).

٦٣- السيف في العالم الإسلامي:٣٥.

٦٤- السلاح في الإسلام:٣٤.

٦٥- المعجم الكبير:٢٠/ ٥٩.

٦٦- السلاح في الإسلام:٣٤.

٦٧- صحيح البخاري:٣/ ٢٢٨-٢٢٩، راجع كذلك الفن الحربي في صدر الإسلام:١٥٢-١٥٣.

٦٨- هو سمرة بن جندب بن هلال بن جريج بن مرة الفزاري، له حلف في الأنصار، وصحب النبي(ﷺ) وروى عنه... وقد استعمله زياد بن أبي سفيان على البصرة والكوفة....توفي سنة ٥٩هـ في البصرة، راجع ترجمته في الطبقات الكبير :٦/ ٢٢، أسد الغابة:٢/ ٣٥٤-٣٥٥.

٦٩- المسند:٥/ ٢٠، صحيح الترمذي :١/ ٣١٥، السيرة النبوية: ٤/ ٧٠٧-٧٠٨.

٧٠- مستند الأخبار:٦٣.

٧١- إنسان العيون:٣/ ٤٢٧، نظام الحكومة النبوية، المسمى التراتيب الإدارية:١/ ٣٤٣.

٧٢- يسميه الحموي العرضب، ولا يذكر سبب هذه التسمية، علمًا بأنه يقول (وسمي بذلك) لكنه يسكت، ولا أدري سبب ذلك، فلربما سقط الكلام قبل الطبع. مستند الأخبار:٦٢. وأعتقد أن الحموي خلط بين مأثور والعضب، الذي سيرد ذكره. أما المكي فيطلق عليه اسم (مأبور). سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي:١/ ٤٦٠. كما يسميه زكي (العور). السيف في العالم الإسلامي:٤٠، واهمًا أنه نقل الاسم عن ابن هذيل. وعندما رجعنا إلى (حلية الفرسان) لابن هذيل، وجدنا أنّ كل ما فعله هذا المؤرخ أنّه عدد أسماء أسياف رسول الله (ﷺ) قائلاً في الأخير «وله سيف آخر ورثه عن أبيه» دون أن يذكر اسم هذا السيف، حلية الفرسان، وشعار الشجعان :٦٠.

ويبدو أن زكي أخذ أسياف رسول الله (ﷺ) عن ابن هذيل، لكنه أضاف اسم (المعور) في الأخير بدلاً من عبارة «وله سيف آخر ورثه عن أبيه» قاصدًا بذلك (مأثورًا) لهذا السبب، ولأن رسول الله (ﷺ) ورث هذا السيف عن والده الذي كان يُسمى(مأثورًا). أو يكنى (بأبي مأثور)، كما ورد عند المؤرخين الرواد. أو لأن السيف إذا كان في متنه أثر سُمي (مأثورًا)، كما يرد عند الثعالبي، وهو الأرجح فقه اللغة: ٢٤٩.

٧٣- الطبقات: ق٢/ ١٧١، أنساب الأشراف، :(١/ ٥٢١)، سمط النجوم :١/ ٤٦٠،إنسان العيون:٣/ ٤٢٧.

٧٤- فقه اللغة:٢٤٩.

٧٥- القلعة: بفتح القاف واللام، موضع بالبادية، ينسب إليه السيف القلعي.لسان العرب:١٠/ ١٦٧. والقلعة أيضًا اسم معدن، ينسب إليه الرصاص الجيد.....، وقيل جبل بالشام...، وقيل إن السيوف القلعية والرصاص القلعي ينسب إلى قلعة (ملة)، وتقع في أول بلاد الهند من جهة الصين... غرب جزيرة الملايو، أو بنغالة الشرقية، وفي الأندلس أيضًا يوجد اقليم القلعة الذي يظن أن الرصاص القلعي ينسب إليه...، أو هو موضع باليمن... راجع معجم البلدان:٧/ ١٤٨.

٧٦- حرفت كلمة الحتف إلى التخيف ثم إلى الحيف، الكامل في التاريخ:٢/ ٣١٦، إنسان العيون:٣/ ٤٢٧.

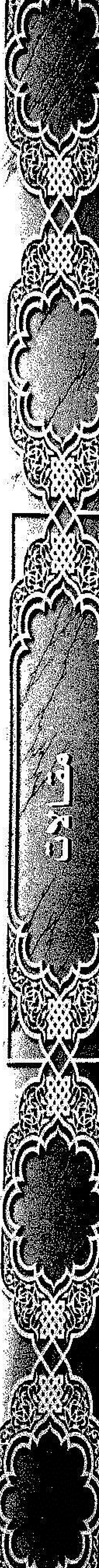
٧٧- كتاب المغازي:١/ ١٧٨، ١٧٩، الطبقات: (ج٢/ق١/ ١٧٢)، تاريخ الأمم والملوك: ٣/ ١٨٤، الكامل في التاريخ:٢/ ٣١٦،إنسان العيون:٢/ ٤٧٨.

٧٨- الرسوب: من رسب في الماء، إذا غاص فيه؛ لأن ضربته تغوص في المضروب به، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: (٢/ ٤٠٠).

٧٩- المخذم: القاطع. عيون الأثر:٢/ ٤٠٠.

٨٠- كتاب المغازي:٣/ ٩٨٨، الطبقات: (ج٢/ق١/ ١١٨)، إنسان العيون : ٣/ ٢٢٣، ٤٢٧، ٤٢٨

٨١- إذا كان في السيف «حزوز مطمئنة عن متنه فهو مفقر(ومنه سُمي ذا الفقار)» {فقه اللغة:٢٤٩}. وقد سموا سيف النبي ﷺ بذي الفقار تشبيهًا لتلك الحزوز بفقرات الظهر.قال أبو العباس: «سمي سيف النبي ذا الفقار، لأنه كانت فيه حُفر صغار حسان، ويقال للحفرة فقرة جمعها فقرٌ..» لسان العرب: ٦/ ٣٧٠. ويبدو أن هذه الحزوز كانت على شكل حُفر منخفضة أو مقعّرة في ظهر السيف، لأن كلمة مطمئنة تعني منخفضة، والمتن يعني الظهر، المنجد :٤٩٠،٨٠٠.



٨٢- كتاب المغازي:١/١٠٣، الطبقات: (ج١/ق٢/١٧٢)، المسند:٥/٢٧١، أنساب الأشراف: ١/٢٩٤، تاريخ الطبري:٣/١٨٤، الكامل في التاريخ:٢/٢١٦

٨٣- إنسان العيون:٣/٤٤٠.

٨٤- المصدر نفسه:٢/٤٤٠.

٨٥- المصدر السابق:١/١٠٣

٨٦- المصدر السابق:١/١٠٤.

٨٧- قبيعة السيف : قبيعة كسفينة ما على طرف مقبضه من فضة أو حديد، وقيل هي التي في رأس قائم السيف، وهي التي يدخل القائم فيها، وربما اتخذت من فضة على رأس السكين، وقيل ما تحت شاربي السيف مما يكون فوق الغمد، فيجيء مع قائم السيف، والشاربان أنفان طويلان أسفل القائم أحدهما من هذا الجانب والآخر من هذا الجانب، وقبيعة السيف رأسه الذي فيه منتهى اليد إليها، تاج العروس :٥/٤٥٧.

٨٨- الطبقات:(ج/ق٢/١٧١, ١٧٢)، المعجم الكبير: ١١/٩٢، مجمع الزوائد: ٥/٢٧١، ٢٧٢، إنسان العيون: ٣/٤٢٧.

٨٩- المعجم الكبير:٢٠/٢٩٧،، مجمع الزوائد: ٥/٢٧١.

٩٠- قائم السيف وقائمته، قبضته.

٩١- نعل السيف ما يكون في أسفل غمد السيف من حديد أو فضة، وفي النهاية الحديدة التي تكون أسفل القراب. (المصنف: ٥/٢٩٦).

٩٢- المصدر نفسه: ٥/٢٩٦.

٩٣- المفرَحُ: بفتح الراء المثل بالدين، أو المحتاج المغلوب...وقيل هو الفقير، الذي لا مال له... أو الذي لا يعرف له نسب ولا ولاء، أو القتيل يوجد بين القريتين... وروي بالجيم أيضاً {راجع تاج العروس:٢/١٨٦}.

٩٤ الطبقات: ق٢/١٧٢.

٩٥- المسند:٤/ ٣٢٦، صحيح مسلم،:٧/١٤١، السيرة النبوية: ٤/٧٠٨

٩٦- السيف في العالم الإسلامي :٤٠.

٩٧- العضب: بعين مهملة وضاد معجمة معناه، القاطع، سمط النجوم العوالي :١/ ٤٦٠.

٩٨- كتاب المغازي:١/١٠٣،أنساب الأشراف:١/٥٢١.

٩٩- السيف في العالم الإسلامي:٤٠.

١٠٠- مستند الأخبار :٦٣

١٠١- انظرلسان العرب: ١٠/٤٠٥، مستند الأخبار :٦٣.

١٠٢- إنسان العيون :٣/٤٢٧.

١٠٣- المصدر نفسه:٣/٤٢٨.

١٠٤- أخلاق النبي:١٤٠، ١٤١.

١٠٥- الطبقات: ٢/١٧٢.

١٠٦- صحيح البخاري : ٣ /٢٢٨، نظام الحكومة النبوية: ١/٣٤٤.

١٠٧- مصنف عبد الرزاق: ٥/٣٠٦

١٠٨- لسان العرب: ١٩/٣١، تاج العروس:١٠/١٤٨

١٠٩- كتاب المغازي: ٢/٢١٤، الطبقات:(ج٢/ق١/٢٦، ٢٧).

١١٠- الطبقات: (ج٢/ق١/٣٦)، إنسان العيون: ٢/٣٨٢.

١١١- كتاب المغازي: ٢/٤٩٧، إنسان العيون :٢/٦٥٩.

١١٢- الطبقات : (ج٢/ق١/١١)، تاريخ الطبري : ٢/٢٩٦.

١١٣- ورد الاسم عند بعض المؤرخين الرواد (ابن قميئة) كتاب المغازي :١/٢٦٩، الطبقات: (ج٢/ق١/٢٩)، أنساب الأشراف :١/٣١٩، كما ورد عند القسم الآخر من المؤرخين (ابن قمئة)، السيرة: ٣/٨٢، انسان العيون: ٢/٥١٣.

١١٤- كتاب المغازي:١/٢٤٤، السيرة: ٣-٤/٨٠، صحيح مسلم: ٥/١٧٨، ١٧٩، إنسان العيون: ٢/٥١٢-٥١٣.

١١٥- كتاب المغازي: ٢/٩٠٢-٩٠٣، إمتاع الأسماع:١/٤٠٨.

١١٦- السيرة الحلبية:(١/١١٨).

١١٧- كتاب المغازي: ٢/٨٠٩، إمتاع الأسماع:١/٤٠٧.

١١٨- كتاب المغازي: ١/٢٥٩، السيرة: ٣/٦٦، المسند:٣/١٢٣، تاريخ الطبري: ٣/ ١٥ كالطبقات: (ج٢/ق٢/٧٦٣).

١١٩- كتاب المغازي: ١/٢٥٩، السيرة: ٣/٦٩، السيرة النبوية:٣/٣٣، حياة محمد:٢٩٤.

١٢٠- كتاب المغازي:٢/٤٧١، الطبقات: (ج٢/ق١/٤٩)، إنسان العيون: ٢/٦٤١.

١٢١- إنسان العيون: ٢/٧٣٧، وقد انفرد الحلبي بهذه الرواية التي لم يشر إلى مصدرها، والتي لم ترد عند المؤرخين والمتحدثين والرواد الأوائل.

١٢٢- السيرة: ٣-٤/١٠٠، السيرة النبوية:٣/٩٤، تاريخ الطبري:٣/٢٧، إنسان العيون: ٢/٥٤٧.

١٢٣- كتاب المغازي: ١/٢٦٨- ٢٦٩، السيرة: ٣-٤/٨٢.

١٢٤- كتاب المغازي: ٢/٢٦٩، إنسان العيون: ٢/٥٠٩.

١٢٥- كتاب المغازي: ٣/٩٠٢-٩٠٣، السيرة: ٣-٤/٤٤٦.

١٢٦- الضحّاك بن سفيان الكلابي: (٠٠-١١هـ/٠٠-٦٣٢م). هو الضحاك بن سفيان بن عوف بن كعب الكلابي، أبو سعيد. صحابي من أهل نجد امتاز بالشجاعة، وقد ولاه الرسول (ﷺ) على من أسلم من قومه، ثم اتخذه سيافًا، فكان يقوم على رأس النبي (ﷺ) متوشحًا بسيفه، وكانوا يعدونه بمئة فارس، وهو شاعر مجيد، استشهد عند قتال المرتدين من بني سليم، الاستيعاب: ٢/٧٤٢ - ٧٤٣، الإصابة:٣/٢٦٧، الأعلام:(٣/٢٠٨- ٣٠٩).

١٢٧- كتاب المغازي: ٢/٥٩٥، جوامع السيرة:٢٦-٢٧.

١٢٨ كتاب المغازي: ١/٥٥، الطبقات: (ج٢/ق١/٩)، إمتاع الأسماع:١/٧٨.

١٢٩- المسند: ٣/١٤٧، صحيح الترمذي:١/٣١٦، تاريخ

الطبري: ٣/ ١٨٦، ١٨٧، فقه اللغة:١٥٣.

١٣٠- الفيف والفيفا، والفيفاء:الأرض الواسعة المستوية التي لا ماء فيها، والصحراء الملساء، وقد أضيف هذا اللفظ إلى عدة مواضع منها (فيفاء الخيار) و(فيفاء رشاد) و(فيفاء خُريم)... إلا أن أصحاب المعاجم لم يذكروا شيئًا عن موقع (فيفاء الفحلتين) عدا إشارة عند الحموي إلى غزوة (زيد بن حارثة) المذكورة «راجع معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع:١٠٣٦/٣، ١٠٣٨، كذلك معجم البلدان :٢١٣/٦، ٤١٢،٣٤١.

١٣١- السيرة: ٣-٤/٦١٥-٦١٦، السيرة النبوية:٤٣٣/٤.

١٣٢- حول توزيع غنائم بني النضير ينظر :كتاب المغازي:٣٧٧/١، الطبقات: (ج٢/ق٤١/١)، إمتاع الأسماع: ١٨١/١.

Muhammd Prophet and State mam - : 151.

وحول توزيع غنائم بني قريظة انظر كتاب المغازي: ٥١٠/٥، الطبقات: (ح٢/ق٥٤/١)، إنسان العيون: ٦٦٦/٢.

١٣٣- كتاب المغازي:٦٧١/٢، إمتاع الأسماع :٣٢٠/١.

١٣٤- كتاب المغازي: ٦٨٠/٢، إمتاع الأسماع : ٣٢٢/١-٣٢٣.

١٣٥- كتاب المغازي: ٩٩/١، المسند: ٣٩٦/١، صحيح الترمذي: ٢٥٦/١، إمتاع الأسماع: ٩٣/١، إنسان العيون:٤١٣/٢.

١٣٦- كتاب المغازي : ٨٨/١، المسند: ١٩٣/١، صحيح مسلم: ١٤٨/٥-١٤٩.

١٣٧ كتاب المغازي: ٨٧/١-٨٨.

١٣٨- شرح كتاب السير : ٥٩٩/٢.

١٣٩- كتاب المغازي: ٨٨/١-٨٩.

١٤٠- كتاب المغازي: ٩٠/١-٩١، السيرة: ١-٦٣٤/٢-٦٣٦، المسند: ١/ ٤٤٤-٤٠٣، ٤٢٢، مسند أبي يعلى: ١٧٢/٩، شرح كتاب السير: ٦٠٠/٢-٦٠١.

١٤١ كتاب المغازي: ٩١/١، السيرة: ١-٦٣٤/٢-٦٣٦، صحيح البخاري، :٦/٥.

١٤٢- شرح كتاب السير: ٦٠١/٢

١٤٣- المسند:١٨٠/١

١٤٤- الطبقات:١٩/٥-٢٠، كتاب نسب قريش:١٧٤، أسد الغابة: ٢١٠/٢.

١٤٥- شرح كتاب السير:٦١٢/٢.

١٤٦- المسند:١٧٨/١، صحيح الترمذي:١٨١/٢.

١٤٧- عند الشيباني: ابن عائذ المخزومي.

١٤٨- المسند:٤٩٧/٣، شرح كتاب السير:٦١٢/٢.

١٤٩- كتاب المغازي :٣٧٩/١، شرح كتاب السير:٦١٠/٢، إمتاع الأسماع :٥٦٩/٢.

١٥٠- كتاب المغازي :٦٥٦/٢، الكامل في التاريخ:٢١٩/٢، السيرة النبوية :٣٥٨/٢.

١٥١- سنن أبي داود:١٦٧/٢-١٦٨.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية :

١- القرآن الكريم.

٢- **الآثار النبوية**، لأحمد تيمور، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٢.

٣- **أخلاق النبي**، للأصبهاني، عبد الله بن محمد، تح. أحمد محمد مرسي،ط٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٢.

٤- **الاستيعاب في معرفة الاصحاب**، لابن عبد البر، تح.علي محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، د.ت.

٥- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، لابن الأثير، المكتبة الإسلامية، طهران،١٣٧٧هـ.

٦- **الإصابة في تمييز الصحابة**، لابن حجر، أحمد بن علي، المطبعة المشرفية، مصر ١٩٠٧.

٧- **الأعلام**، لخير الدين الزركلي، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٩م.

٨- **إمتاع الأسماع**، للمقريزي، تح. محمود محمد شاكر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،١٩٤١.

٩- **أنساب الأشراف**،للبلاذري، أحمد بن يحيى، تح.محمد حميد الله، دار المعارف، مصر،١٩٥٩.

١٠- **إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون**، السيرة الحلبية، للحلبي، علي برهان الدين، ط١، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٩٦٤.

١١- **بلوغ الأرب في أحوال العرب**، لمحمود شكري الألوسي، ط١ ،مطبعة دار السلام، بغداد،١٣١٤هـ.

١٢- **تاريخ ابن خلدون**، لابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت،١٩٥٧م.

١٣- **التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول**، لمنصور علي ناصف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٢م.
١٤- **تاج العروس**، للزبيدي، ط١، المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٦هـ.
١٥- **تاريخ الطبري**،، لمحمد بن جرير، المطبعة الحسينية، القاهرة، ١٣٢٦هـ.
١٦- **تاريخ واسط**، لبحشل الواسطي، تح. كوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٧م.
١٧- **التراتيب الإدارية**، نظام الحكومة النبوية، لعبد الحي الكتاني الإدريسي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٣٤٧هـ.
١٨- **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير، ط٤ المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٥٦،.
١٩- **الجامع الصحيح**، صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، دار الطباعة العامرة- دار الخلافة العلية، ١٣١٥هـ.
٢٠- **الجامع الصحيح**، للإمام مسلم بن الحجاج، مؤسسة دار التحرير، القاهرة، ١٣٨٤هـ.
٢١- **جوامع السيرة**، لابن حزم، دار المعارف، مصر، د.ت.
٢٢- **حياة محمد**، لمحمد حسين هيكل، ط١٣، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٨.
٢٣- **حلية الفرسان وشعار الشجعان**، لابن هذيل، بعناية لوي مرسي، المطبعة المشرقية، باريس، ١٩٢٢م.
٢٤- **الرسول القائد**، لمحمود شيت خطاب، ط٢، مكتبة الحياة ومكتبة النهضة، بغداد، لبنان، ١٩٦٠هـ.
٢٥- **رياض الصالحين**، للنووي، مكتبة الغزالي، دمشق، بيروت،/١٩٥٥م.
٢٦- **السلاح في الإسلام**، للدكتور عبد الرحمن زكي، دار المعارف، مصر، ١٩٥١م.
٢٧- **سمط النجوم العوالي في ابناء الأوائل التوالي**، لعبد الملك بن حسين المكي، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٣٨٠هـ.
٢٨- **سنن أبي داود**، لسليمان بن الأشعث، تح. محيي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى محمد، القاهرة، ١٩٣٥م.
٢٩- **السنن الكبرى**، للبيهقي، أحمد بن الحسين، ط١، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٣٥٦ه.
٣٠- **سنن ابن ماجه**، لمحمد بن يزيد، تح. محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العربية، ١٩٥٢م.
٣١- **السيرة النبوية**، لابن كثير، تح. مصطفى عبد الواحد، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٤م.
٣٢- **السيرة النبوية**، لابن هشام، تح. مصطفى السقا وآخرين، ط٢ مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٥م.
٣٣- **السيرة النبوية الصحيحة**، للدكتور أكرم ضياء العمري، ط٤، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٩٩٣م.
٣٤- **السيف في العالم الإسلامي**، للدكتور عبد الرحمن زكي، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٥٧م.
٣٥- **شرح كتاب السير الكبير**، لمحمد بن الحسن الشيباني، ت.د. صلاح الدين المنجد، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، ١٩٧١م.
٣٦- **صحيح الترمذي**، لمحمد بن عيسى الترمذي، المطبعة العامرة، ١٢٩٢هـ.
٣٧- **الطبقات الكبير**، لمحمد بن سعد، مطبعة بريل، ليدن، ١٣٢٥هـ.
٣٨- **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، لابن سيد الناس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧م.
٣٩- **الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الكبير**، للجلال السيوطي، ترتيب، يوسف النبهاني، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٠هـ.
٤٠- **الفردوس بمأثور الخطاب**، للديلمي، شيرويه بن شهردار، تح. السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.
٤١- **فقه اللغة**، للثعالبي، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٨٨٥م.
٤٢- **الفن الحربي في صدر الإسلام**، لعبد الرؤوف عون، دار المعارف المصرية، القاهرة، ١٩٦١م.
٤٣- **في ظلال القرآن**، لسيد قطب، ط٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٧م.
٤٤- **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، مكتبة مصطفى محمد، مصر، ١٩٣٨م.
٤٥- **الكامل في التاريخ**، لابن الأثير، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٦٥م.
٤٦- **لسان العرب**، لابن منظور، ط١، المطبعة المنيرية، بولاق، ١٣٠١هـ.
٤٧- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، للهيثمي، مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٣هـ.
٤٨- **مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، للزرقاني، تحح. محمد بن لطيف الصباغ، مكتب التربية العربي، الرياض، ١٩٨١م.
٤٩- **المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية**، للواء محمد جمال الدين محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٦م.
٥٠- **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، للمسعودي، تدقيق يوسف أسعد داغر، ط١، دار الأندلس بيروت، ١٩٦٥م.

٥١- **المستدرك على الصحيحين**، لابن حمدويه النيسابوري، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.

٥٢- **مستند الأجناد في آلات الجهاد**، لابن جماعة الحموي، تح. اسامة النقشبندي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٣م.

٥٣- **المسند**، للإمام أحمد بن حنبل، المطبعة الميمنية، مصر، ١٣١٣هـ.

٥٤- **المصنف**، لعبد الرزاق الصنعاني، تح. حبيب الرحمن الأعظمي، ط١المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٠م.

٥٥- **معارك خالد بن الوليد**، للمقدم ياسين سويد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٣م.

٥٦- **معجم البلدان**، لياقوت الحموي، ط١، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٠٦م.

٥٧- **المعجم الكبير**، للطبراني، سليمان بن أحمد، تح. حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، مطبعة الزهراء الحديثة، الموصل، الجمورية العراقية، ١٩٨٦م.

٥٨- **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، للبكري، عبد العزيز بن محمد، تح. مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٩م.

٥٩- **المغازي**، للواقدي، محمد بن عمر. تح. مارسدن جونس، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤م.

٦٠- **منتخب كنز العمال**، للمتقي الهندي، بهامش المسند، المطبعة الميمنة، مصر، ١٣١٣هـ.

٦١- **المنجد**، للويس معلوف، ط١٣، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٢م.

٦٢- **نسب قريش**، لمصعب بن عبد الله الزبيري، نشر إبروفنسال، دار المعارف المصرية، القاهرة، ١٩٥١م.

٦٣- **النظم الإسلامية**، للدكتور صبحي الصالح، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٥م.

٦٤- **النهاية في غريب الحديث**، لابن الأثير، المبارك، أبو السعادات، المطبعة العثمانية، مصر، ١٣١١هـ.

ب) المراجع الأجنبية :

1. Muir Sir William, The Life of Mohammad, Edinburgh,1923
2. W.Montgomry Watt- Muhammd Prophet and State mam - London-1971

مقالات

ضعف الاصطلاحية في مفردات بديع القرآن

دراسة نقدية

د. محمد إقبال عروي
وجدة ـ المغرب

لا يختلف الدارسون للبلاغة العربية وبديع القرآن في أن مصطلحات هذا الفن كثيرة ومتنوعة، توارد على ابتكارها، وتحديد مفهوماتها، والتمثيل لنماذجها، أعلام أجلاء، منذ أن تيسرت لهم أسباب البحث في إعجاز القرآن، وإدراك أساليبه البيانية والبديعية.

وفي سياق تعدد مصطلحات بديع القرآن وتضخمها، وكثرة تفريعاتها وأنواعها، يصبح من الراجح أن تنتابها مظاهر الضعف والقصور، وبخاصة في ظل التنافس والرغبة في الاهتداء إلى النصيب الأوفر من الفنون.

ولم يقتصر الأمر على إطلاق المصطلحات التي نبحث في ضعيفها وقويّها، راجحها ومرجوحها، بل تعداه إلى تعسف ملحوظ في صياغة المفاهيم وتركيبها، مما أدى إلى أزمتين بارزتين هما: ضعف الاصطلاحية، وتعسف المفاهيم.

وستفرد هذه الدراسة للحديث عن مفهوم «ضعف الصلاحية» في بعض فنون بديع القرآن، وذكر نماذجها، مع ما يتطلبه السياق من بسط للأدلة، وتعليل للأحكام، أما القول في أزمة «تعسف المفاهيم»، فمتروك إلى دراسة قادمة بإذن الله.

يقصد بضعف الصلاحية أن «المصطلح» المقترح من قبل المفسر أو البلاغي؛ لتأطير ظاهرة بديعية في القرآن أنه لم يبلغ درجة القوة والإحكام، إما لعدم دقته ووضوحه، وإما لعدم تسمية مفهومه تسمية دالة، وإما لأنه لا يتوافر على الاقتصاد

اللغوي المعتبر ضمن أوليات الشروط الاصطلاحية، وإما لأنه لا يجنح بالمفهوم نحو التخصيص المخلص له من التعميم والإجمال.

ولعل هذا العرض المجمل للأوصاف السالبة يثير إشكالية المعايير المحكمة؛ إذ الأمر لا يتعلق، أساسًا، بوضع لائحة للمفردات التي لا تتمثل فيها عناصر الإصلاحية، بل إنه ينصب، جوهريًا، على المعايير المعتمدة في الحكم على هذا «المصلح» بأنه يتوافر على تلك الشروط، وأنه يفتقر إليها، ثم على كيفية اشتغال تلك المعايير.

وهذه مهمة صعبة، لا تدّعي الدراسة أنها قادرة على إنجازها، وإنما قصارى جهدها أن تهرع إلى تلك المعايير، فتحسن تمثلها، حتى إذا حان وقت التطبيق، أخذت العزم على اختيار الطريق المفضي إلى المقاربة والتسديد.

على أن تاريخ الاصطلاح يشهد بأن المصطلح، في جزء كبير منه، يشتغل ذاتيًا؛ إذ بعد أن يقترح ويقذف به في حلبة الاستعمال يحرص المصطلح حرصًا ذاتيًا على أن يتقوى وينضج بأن يرد في سياقاته الملائمة، وأن يؤدي دلالته المفهومية أداء سليمًا بعيدًا عن التداخل والاضطراب، وإلا فإن مصيره الإهمال ثم النسيان.

ويكاد المصطلحيون يجمعون على أن أهم شروط الاصطلاح هي:

- **الخصوصية**: تعدّ سر الفرق بينه وبين المعنى اللغوي المعجمي، الذي يشكل القاسم المشترك بين عدة معان، ولعل في تعريف التهانوي إشارة إلى هذه الشروط، فهو القائل: «الاصطلاح هو العرف الخاص»[١].

- **الوضوح**: يكون دالا على معناه دون لبس أو غموض أو تأول.
- **الدقة**: مبنى ومعنى؛ لأن الدقة من شروط التواصل السليم.
- **الدلالة**: على معنى واحد غير متعدد[٢].
- **المناسبة** بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي[٣].
- الاقتصاديّة: حتى تكون صيغته مختصرة قابلة للاستعمال والتداخل؛ إذ قد يقوم طول العبارة عائقًا محققًا.
- ونضيف شرطا آخر حاسما، يتعلق **بخصوصية الخطاب القرآني**، وهو أن يكون المصطلح، الذي يراد له أن يدخل حقل بديع القرآن خاصة، وأي حقل يرتبط بعلوم القرآن عامة، متصفًا بـ«المناسبة المقاميَّة»، ونقصد بها أن يكون لائقًا بخطاب القرآن في جلاله وعظمته، متصفًا بما يناسب مقام الإعجاز والكمال من شروط ومقومات، وإذا انتفى هذا الشرط في مصطلح ما، فلا قيمة له، مهما حظي بالاتصاف بالشروط الأخرى، ومهما كانت دلالته صحيحة في غير خطاب القرآن؛ لأن هذا هو الأصل، وما يرد بعده فروع، وإذا فسد الأصل، فسدت، تبعًا لذلك، فروعه.

وقد أحكم الزركشي مبدأ المناسبة المقاميّة، وما يقتضيه من شروط إحكامًا دقيقًا، عندما أعلن الموقف الواضح بين يدي تعليله لرفض وصف الفواصل القرآنية بمصطلح السجع، «ولأن القرآن من صفات الله عز وجل، فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها، وإن صح المعنى»[٤].

وعلى ضوء هذا الإجماع تهتدي الدراسة بهذه الشروط، فتجعلها معايير محكمة في اختبار العديد من مصطلحات بديع القرآن قبل الوصول في شأنها إلى حكم علمي بالضعف أو القوة.

وقد تبين، بعد معاودة الفحص وإجالة النظر، أن المفردات، التي يختل فيها أحد المعايير السالفة أو معظمها، مما يجعلها موسومة بالضعف، محصورة، بحسب النظر القاصر المفتقر إلى تسديد الحق سبحانه، في اللائحة الآتية: العنوان، والمذهب الكلامي، أو إلجام الخصم بالحجة، وتجاهل العارف، والتمزيج، والاقتدار، والغزل والتشبيب، والإفراط في الصفة، والائتلاف، ورد الأعجاز على الصدور.

ونبادر إلى تأكيد حقيقة تاريخية أن اختبار المصطلحات لمعرفة ضعيفها من قويّها ليس بالأمر الجديد على البحث البلاغي القديم، فقد نشأ جدال بين البلاغيين حول قيمة بعض المصطلحات، وانصب نقدهم لها على تخلف أحد الشروط الاصطلاحية المعتبرة عند القوم، وسنعرض لنماذج منها في التحليل، لكن نشير، تمثيلاً، إلى نقد ابن أبي الإصبع لمصطلح التسبيغ الذي أطلقه ابن الأجدابي أبو إسحاق صاحب «كفاية المتحفظ»، فقد أراد له أن يكون دالا على تشابه أطراف الجمل داخل الآيات، مثل قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ**﴾[٥].

إذ تشابه الطرف الأول من الجملة الأولى مع الطرف الأول من الجملة الثانية مع الطرف الأول من الجملة الثالثة في لفظ «النور»، وتشابه الطرف الآخر من الجملة الثانية مع الطرف الأول من الجملة الثالثة في لفظ «المصباح»، وحصل التشابه نفسه في لفظ «الزجاجة»، في بقية الجمل.

إلا أنَّ ابن أبي الإصبع يضعف مذهب ابن الأجدابي، وذلك أن مصطلح «التسبيغ» لا يحيل على هذا المعنى إطلاقًا، ولا يشير إليه لغويًّا واصطلاحيًّا، وذلك أن «أصل التسبيغ في اللغة الطول، ومن ذلك قولهم: درع سابغ، إذا كانت طويلة الأذيال»[٦]، ومنه قولهم: نعمة سابغة، وأسبغ الله عليه النعمة : أكملها وأتمها ووسعها[٧].

أما في الاصطلاح، فإن التسبيغ «متعين الدلالة عند علماء العروض، ومسوق للإحالة على زيادة حرف ساكن على السبب الخفيف في آخر الجزء»[٨].

والنتيجة الحتمية، بعد تخلف شرطي الوضوح والدلالة على معنى واحد غير متعدد، «ألا تكون تسمية أبي إسحاق لائقة بمسمى الباب».

فمن خلال هذا المثال، يتضح أن اختبار المصطلحات أمر وارد ونهج مسلوك، وليس بمستطاع الدارس المعاصر إلا أن يواصل البحث مسترشدًا بجهود من سبقوه، حريصًا على ألا يهمل التحكيم الدقيق والاختبار الرشيد.

١- العنوان:

من معاني العنوان اللغوية الظهور والعرض والأثر، وأصله اعتنَّ بمعنى أعلم وظهر، مثل قولهم: اعتنّ ما عند القوم، أي أعلم خبرهم[٩].

وعنَّ الكتاب يعنّه، وعنونته بمعنى واحد، وهو العنوان، وسمي بذلك؛ لأنه «يعُنُّ الكتاب من ناحيته»[١٠]، والعنوان: الأثر، وكلّ ما استدللت بشيء تظهره على غيره، فهو عنوان له»[١١].

وقد أخذ المفهوم الاصطلاحي للعنوان هذه المعاني اللغوية للدلالة على أن في الكلام ألفاظًا تمثل مفاتيح لعلوم ومداخل لها[١٢]، كأنها علامات ومراصد تدعو الدارسين إليها ليعلموا ما يكمن خلفها مثلما يدعو عنوان الكتاب القراء، ويوحي إليهم بباطنه.

وقد قسم ابن أبي الإصبع العنوان إلى نوعين:

النوع الأول: تكون ألفاظه لأخبار ماضية وقصص سالفة، مثل قوله تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾[١٣]، فهي عنوان لقصة «بلعام».

النوع الثاني: ما تضمن ألفاظًا تمثل رموزًا وإرشادات إلى العلوم، وسيجد القارئ جدولاً لتلك الآيات ودلالاتها في مبحث «إقحام فنون ومباحث غير بلاغية»، لكن، لتوضيح معنى العنوان توضيحًا تطبيقيًا، نكتفي بذكر شاهد قرآني واحد، نستمده من شواهد ابن أبي الإصبع، وهو قوله تعالى: ﴿**انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ؟لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ**﴾[١٤]، لأن فيها، بنظر القائلين بالعنوان، عنوان العلم المنسوب إلى إقليد، وهو علم الهيئة والهندسة: لأن «الشكل المثلث أول الأشكال، وهو أصلها، ومنه تتركب بقية الأشكال، وهو شكل إذا نصب في الشمس كيفما نصب على أي ضلع من أضلاعه، لا يكون له ظل لتحديد رؤوس زواياه. فأمر الله سبحانه هؤلاء الجهنميين بالانطلاق إلى ظل هذا الشكل تهكمًا بهم»[١٥].

ونحن، حين نختبر مفردة «العنوان» في جانبها الاصطلاحي، إضافة إلى دلالتها وعلاقتها بالإعجاز العلمي، ندرك أنه اختل فيها شرطا الوضوح والدلالة المختصة. وذلك أن كلمة «العنوان» لا تحيل على ما أراده ابن أبي الإصبع في التداول العام إلا بنوع من التأول البعيد، والمجازات العديدة: لأن النطق بها أو سماعها يصرف الذهن إلى معاني الظهور والعرض التي تمارسها عناوين الكتب وألقاب المصنفات. وإنّ هذه الدلالة لتتلبس بمفردة العنوان تلبسًا غير قابل للنزع أو التخلص، فأنى لدلالة العنوان، بالمعنى المقترح من قبل ابن أبي الإصبع، أن تناقش هذه الدلالة الأصلية، أو تنازعها في الإحالة والتحديد؟؟

لقد سعى ابن أبي الإصبع إلى أن يضيف دلالة جديدة لمفردة «العنوان»، لكنه لم يفلح في ذلك؛ لأن الدلالة القوية تمحضت لمعنى الظهور والعرض والتسمية والديباجة، ولم تترك أي هامش لأن تستصحب معها معاني الرموز والإحالة إلى علوم جديدة ومعارف دقيقة.

وخلاصة القول أنّ «لفظ العنوان» ضعيف الاصطلاحية، بسبب عدم توافره على شرطي الوضوح والدلالة الخاصة، وهو لا يحيل على معناه إحالة دقيقة؛ لأنه يتلبس بدلالة العنوان في الكتاب، أي تسميته وديباجته، أو ما يدل ظاهره على باطنه[١٦]؛ لأن «عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله»[١٧].

٢-المذهب الكلامي:

تقدم البلاغة العربية لـ «المذهب الكلامي» التعريف الآتي: «أن يورد البليغ حجة على ما يدّعيه على طريقة المتكلمين»[١٨]، وإذا كانت هذه الدراسة ترجح أن يلحق مصطلح «المذهب الكلامي»

بمباحث علم الجدل والكلام، وأن تنفصل علاقته ببديع القرآن، فقد يكون هذا مسوغًا يدفع إلى عدم الاهتمام به في هذا السياق، لكن الأمر، في بعض جوانبه، على خلاف ذلك: إذ إنّ مصطلح «المذهب الكلامي» يثير، إضافة إلى الإشكال السابق، قضية تمتعه بالمواصفات الاصطلاحية المعتبرة أو خلوه منها، ومن ثم وجب فحصه في هذه المناسبة الخالصة لإبراز ضعف الاصطلاحية في مفردات تنسب إلى البديع القرآني.

فقد تقرر بدءًا أنّ خطاب القرآن متفرد في أساليبه ومعانيه، وطرائق بيانه، وأنماط تأليفه، وهذا الذي يليق بكتاب الله، ولكن القول بنسبة المذهب الكلامي إلى العديد من آياته قول من شأنه أن يوهم بتشابه الطريقتين، وتقارب الموردين.

ثم إن ذلك القول مشعر بأن مذهب أهل الكلام سابق على القرآن، وأن هذا الأخير استفاد من طرائقهم في الاحتجاج، وثقف أساليبهم في الاستدلال كالسبر والتقسيم والمناقضة والاستدراج وغيرها.

ويتقوى هذا الشعور عند الوقوف على بعض تعريفاتهم للمذهب الكلامي، مثل قول القزويني إنه يختص بأن «يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريق أهل الكلام»(١٩).

ومعلوم أن طريق أهل الكلام مستمد، في بعض جوانبه، من أساليب القرآن، فهو مذهب قرآني بالأصالة، كلامي بالتبعية، وليس العكس.

ولعل بعضًا من هذه الأمور كان يقبع خلف تحرج ابن المعتز من نسبة أي آية إلى المذهب الكلامي، بل لم يهتم بتعريفه، ونسبه إلى التكلف، وحكم عليه بأن لا وجود لأنماطه في القرآن الكريم. وهو حكم كفيل بالدفع إلى إعادة النظر في مفهوم المذهب الكلامي ومصطلحه، على الرغم من نسبته التاريخية إلى الجاحظ؛ إذ لا ينبغي للاقتناعات الفكرية للأعلام أن تصرف الدارس عن المراجعة والنقد والتمحيص، بل لربما كانت سلطة الأعلام، والإبقاء عليها، أحد العناصر الحاسمة في إرساء قواعد البلاغة، والبديع، وتثبيت مبادئهما(٢٠)، ولو على أسس غير سليمة في جوانب منها.

وقد يكون تحرج ابن المعتز هاديًا للزركشي لأن يبقي على المفهوم، ويلفظ المصطلح، واضعًا مكانه مصطلح «إلجام الخصم بالحجة»(٢١).

٣- إلجام الخصم بالحجة:

وهو مصطلح قد يحل الإشكال من جهة؛ لأنه يحافظ على شرط المناسبة في التلقيب الاصطلاحي لبديع القرآن، لكنه يبقي عليه من جهة ثانية، وذلك لأنه يختل فيه شرط الاقتصاد اللغوي، فهو مصطلح يضم عبارة طويلة، تتكون من ثلاث مفردات، تمثل كل واحدة منها مصطلحًا بذاته.

ونحن، في نقدنا، لا ندعو إلى اقتراح بديل مصطلحي؛ لأننا ذاهبون مذهبًا حاسمًا بخصوص «المذهب الكلامي» أو «إلجام الخصم بالحجة»، يقوم على إخراجه من حقل بديع القرآن، وإلحاقه بمباحث علم الجدل والكلام؛ لتعلقه بالمنهجية الاستدلالية والبرهانية، وعدم اتصاله بالأنماط الأسلوبية والنظمية.

وعلى افتراض بقائه في ساحة بديع القرآن، نلفت نظر الدارسين إلى أن ابن النقيب اختار له مصطلحًا قد يكون مقبولاً في ميزان الشروط

الاصطلاحية، هو «الاحتجاج النظري»[٢٢]، ومثل له بقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾[٢٣] وغيرها.

٤- تجاهل العارف:

عدّه ابن المعتز من محاسن الكلام، ولم يذكر له شاهدًا من القرآن[٢٤]، وذكر السكاكي مفهومه، ورفض إطلاق مصطلح «تجاهل العارف» عليه، واستبدل به مصطلح «سوق المعلوم مساق غيره»، وقال : «ولا أحب تسميته بالتجاهل»[٢٥]، ومثل له بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[٢٦].

كما أن الزركشي أهمل صياغته الاصطلاحية، وأقام مقامها صياغة طويلة هي: «إخراج الكلام مخرج الشك في اللفظ دون الحقيقة لضرب من المسامحة وحسم العناد» وذكر له الشاهد القرآني السابق، ووجه المفارقة فيه أن الرسول ﷺ يعلم أنه على الهدى، وأنهم على الضلال، لكنه أخرج الكلام مخرج الشك، تغاضيًا ومسامحة، ولا شك عنده ولا ارتياب[٢٧].

ولنا عودة إلى صياغة الزركشي بعد الانتهاء من مصطلح «تجاهل العارف».

إن أنضج تعريف لتجاهل العارف ما نجده عند العلوي اليمني، يقول فيه: « وأما وضعه في اصطلاح علماء البيان، فهو منقول إلى فن من فنون البديع، وهو أن تسأل عن شيء تعلمه موهمًا أنك لا تعرفه، وأنه مما خالجك في الشك والريبة وشبهة عرضت بين المذكورين، وهو مقصد من مقاصد الاستعارة، يبلغ به الكلام الذروة العليا»[٢٨].

إن ما يحيل إليه مصطلح تجاهل العارف من مفهوم موجود في الخطاب القرآني، وليس بمستطاع أحد أن يرده، لكن الكلام، هنا يتعلق بالصيغة الاصطلاحية: لأن عرضها على الشروط المقررة يكشف عن ضعفها وعدم صلاحيتها.

وكان بإمكان من عاصر السكاكي، أو جاء بعده، أن ينقب عن سر رفضه له، واقتراح بديل مصطلحي له، لكن ذلك لم يحصل باستثناء إشارة عابرة أوردها د. عبد المنعم خفاجي للدكتور محمد أحمد موسى في ختام كتاب «الإيضاح للقزويني» جاء فيها: «وليس للسكاكي فيها من جديد سوى إطلاق اسم (سوق المعلوم مساق غيره) على ما كان يعرف عند المتقدمين باسم «تجاهل العارف»، وكأنه لم يحب أن يطلق عليه اسم تجاهل العارف؛ لوروده في القرآن الكريم»[٢٩]، ويتضح من صيغة «كأن» تردد الباحث في اعتبار ما ذكر علة لاقتراح السكاكي مصطلحًا بديلاً.

وقد آن الأوان لإثارة السؤال الآتي: لماذا رفض صاحب «المفتاح» مصطلح «تجاهل العارف»؟؟

إن للمشتغلين بتحليل أساليب القرآن وبيان إعجازه أن يقولوا كلمتهم هنا، وإذا كان جل الباحثين متفقين على أن الموضوع يحدد منهجه، فإن الاصطلاح جزء من المنهج، وإنّ الاشتغال بخطاب القرآن يفرض علينا اختيار منهج يستجيب لمقتضيات تنزيه الكلام والمتكلم به.

ولعل من مقتضيات هذا التنزيه ألا تطلق مصطلحات لها حمولات بشرية، واعتبارات عرفية لدى المتخاطبين. ومن ثم يترجح الميل إلى ترك مصطلح «تجاهل العارف»، ففي التجاهل بُعدٌ بشري؛ إذ يعود أصله إلى تجاهل بمعنى أظهر

الجهل، وأرى من نفسه الجهل وليس به[٣٠]، وليس ذلك من صفات الله في شيء، فالله منزه عن أن يكون له ما يكون للناس من تحايل وتظاهر وادعاء تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا.

وأما «العارف»، القطب الثاني في الصيغة الاصلاحية، فهي صفة إنسانية؛ لأنها «مسبوقة بجهل، بخلاف العلم، ولذلك يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف»[٣١]؛ أي إنّ صفة العارف محرّمة في حق الله تعالى، مادامت ترد قرينة الجهل السابق عليها، ولا يتصور جهل سابق في حق الله تعالى، لذلك وجب أن يوصف بالعالم كما تشهد بذلك العديد من الآيات.

ولهذه الأمور كلها يصبح إزاحة مصطلح «تجاهل العارف» من حقل بديع القرآن ضربة لازب.

ولله در الشيخ علي الجرجاني، فقد استوعب كلام السكاكي استيعاب البلاغي المسلم، وأدرك سر نفوره وتنفيره من مصطلح «تجاهل العارف»، وعلل ذلك بقوله: «وذلك لكثرة مجيئه في الكلام المجيد الموجب إطلاق التجاهل عليه للعذاب الشديد»[٣٢].

ولا يظننّ ظانّ أنّ رفضنا لهذه الصفة مؤذن بقبول اصطلاح السكاكي أو اصطلاح الزركشي، فليس ذلك من أهداف هذه الدراسة، ولا سيما أن اصطلاحيهما ترد عليهما من الطعون ما يرجح ضعفهما، فمصطلح «سوق المعلوم مساق غيره» طويل العبارة، فلا يتحقق فيه شرط الاقتصاد اللغوي المنشود، الذي يمثل دعامة التداول المصطلحي والاستعمال الإيجابي وفق متطلبات الأسلوب الوظيفي، الذي يميز عمل المصطلحين[٣٣].

وهذا الكلام ينطبق، من باب أولى، على صيغة «إخراج الكلام مخرج الشك في اللفظ دون الحقيقة لضرب من المسامحة وحسم العناد»، فهي تأليف أطول، وإلى كونها فقرة أميل، فكان رفضها، لذلك، أصوب؛ لأن «هناك سمة أساسية للمصطلح العلمي،فينبغي أن يكون لفظًا أو تركيبًا، وألا يكون عبارة طويلة»[٣٤]، وهذه السمات منفية من عبارة الزركشي[٣٥].

ولم يبق، بعد هذا، إلا أن يقترح لهذا الأسلوب القرآني مصطلح يحيل على دلالته إحالة دقيقة، ويتصف بالشروط الاصطلاحية اللازمة.

وبنظرنا، فإن أي اقتراح يتطلب التمهيد له بالمستندات العلمية والمسوغات المنهجية.

ومن ثم يرى المتأمل في شواهد «تجاهل العارف» أنها تشترك في كونها ترد وفق أسلوب الاستفهام، مثل قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[٣٦]، وقوله تعالى: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**﴾[٣٧]، التي قال عنها الزركشي: «أورده على طريق الاستفهام»[٣٨].

و قوله تعالى: ﴿**أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ**﴾[٣٩].

وقد التفت الإمام العلوي اليمني إلى هذا المشترك الأسلوبي، وقرر أنّ «الاستفهام جامع لها جميعًا»[٤٠]. وما دام أسلوب الاستفهام حاضرا في كل شواهد تجاهل العارف القرآنية، ووجدناه حاضرا في الشواهد الشعرية، فلماذا لا تتم صياغة مصطلحه انطلاقا من هذا المشترك؟ ولماذا لا يصطلح على تلقيبه، مثلا بـ «الاستفهام الإنكاري»؛

لأن من مقاصده ووظائفه الإنكار والتوبيخ والتحقير والتعريض وغيرها من الوظائف التي ذكرها القزويني[٤١]، والعلوي اليمني[٤٢]، وما إيرادنا للقيد الوصفي «إنكاري» إلا من أجل تمييزه عن الاستفهام النحوي، الذي يأتي لوظائف مغايرة.

٥- التمزيج:

لم يكن بإمكان هذه الدراسة أن ترتاح إلى ما حكم به د. حنفي شرف من أن «التمزيج» فنّ يعدّ من مبتكرات ابن أبي الإصبع التي لم يسبق إليها[٤٣]، وذلك أن فائدة البحث المصطلحي والمنهجي لا تقتصر على ذكر السابق والمسبوق، وإنما تتمحض، بالأساس، لدراسة بنية المصطلح نفسه، واختبار خصائصه لمعرفة قويّها من ضعيفها، وفحص قدرته على التداول السليم والاستعمال الصحيح.

ولعل مصطلح «التمزيج» من المصطلحات التي يتوجب إخضاعها لهذه العمليات، نظرًا لما يثيره من إشكالات، لا تختص بضعف الاصطلاحية فقط، بل تتعداه إلى مشكل التداخل والاضطراب، والتعدد الاصطلاحي الخالي من فائدته العلمية.

ولا بد من الاقتصار على مستوى ضعف الاصطلاحية، مؤجلين الحديث عن مشكل التداخل والاضطراب وتعدد المصطلحات المحلية إلى مفهومه إلى مناسبة دراسية أخرى، نظرا لتشعب هذه الظواهر.

لقد عرّف ابن أبي الإصبع «التمزيج» بقوله: «وهو أن يمزج المتكلم معاني البديع بفنون الكلام بشرط أن يكون ذلك في الجملة الواحدة أو الجمل من النثر، والبيت الواحد من الشعر أو البيوت»[٤٤]، واستشهد له بقوله تعالى: **﴿قال ربّ احْكُم بالْحَق﴾**[٤٥].

ففي هذه الآية مدح لله وتأدب معه، وهجاء للمكذبين، الذين أصابهم عقاب الله، ولم يكن ليصيبهم إلا لأنه الحق من عند الله، الذي بعث الأنبياء مبشرين ومنذرين، وقد جاء الهجاء متضمنًا في الآية، ولم يصرح بلفظه الخاص: لما فيه من التنفير[٤٦].

وإضافة إلى تداخل المدح بالهجاء، وهما من فنون الكلام عند ابن أبي الإصبع، اشتملت الآية على معاني البديع، وقد تكلف في استنباط أربعة عشر ضربًا من البديع، وهي الإرداف، والإيضاح، والتتميم، والمقارنة، والافتتان، والإدماج، والإيجاز، والائتلاف، والتهذيب، وحسن البيان، والتمزيج، والإبداع، والتمثيل، والتوليد[٤٧].

وامتزجت هذه المعاني البديعية بفنّي الأدب المدح والهجاء، وهذا هو معنى التمزيج عند ابن أبي الإصبع.

وإليه تتوجه الملحوظات الآتية:

- إن مصطلح «التمزيج» لا يحيل بالضبط على نوعية المزج وعناصره، ومن ثم أي خطاب قابل لأن يوصف بالتمزيج، مادام من الضروري أن يحمل غرضًا، أو فنًّا كلاميًّا من جهة، إما مدحًا أو هجاء، أو فخرًا أو رثاء، أو وصفًا، ومن جهة ثانية، لابد أن ترد تلك الفنون الكلامية أو الأغراض الموضوعية في صياغة تشبيهية أو كنائية أو بديعية، وهذا يعني، في المحصلة النهائية، أن الخطاب الأدبي خطاب تمزيجي بالدرجة الأولى.
- ونتيجة لما سبق، يصبح التمزيج هو «الإبداع»

بالمعنى البديعي الذي يقصد به «أن يشمل الكلام على عدة ضروب في البديع»[٤٨]، وهو «التعليق» و «الإدماج»، مادام معناهما لا يخرج عن «أن يدمج مدحا بمدح، أو هجوا بهجو، أو معنى بمعنى»[٤٩]. فلماذا ننصرف عن مصطلح «الإدماج»، بمواصفاته الاصطلاحية المتمثلة في وروده على نسق الاشتقاق الصحيح، وسلامة النطق به، وخلوه من التوارد والتداخل، ونقبل بالتمزيج، الذي لا يتضمن تلك الصفات.

- فهو ثقيل في النطق بسبب تقارب التاء والزاي والجيم في المخرج، ثم إن المصدر الفصيح لفعل مزج، هو المزج وليس التمزيج الذي ورد في صيغة التفعيل الدالة على نوع من الجهد والتكلف.

وإذًا يكون التشويش الذي يلحق لفظ «التمزيج دلاليًا»؛ إذ إنّ لا يحيل على معناه إحالة دقيقة، ومفهوميًّا، إذ إنّ مفهومه يتقاطع مع مفهوم الإبداع والتعليق والإدماج، وصوتيًّا، مادامت آثار الثقل بادية عليه، قلت: إن ذلك التشويش منته بمفرده «التمزيج» إلى أن تنسحب من حقل الاصطلاح، تاركة مفهومها ليعانق مصطلح «الإدماج» ويلتبس به، ففي ذلك خير كثير لبديع القرآن.

٦- الاقتــدار:

إن الخطاب القرآني، مثل غيره من الخطابات، يمثل ركنًا ضمن عملية تواصليَّة، يتمثل قطباها في المرسل، وهو الله عز وجل، والمتلقي وهو الإنسان، ومع تميز هذين القطبين عن القطب الثالث، الذي هو الرسالة القرآنية، يحصل لبعض البلاغيين اضطراب في أثناء اشتغالهم، انجذابا إلى تيار التنافس في استنباط فنون البديع من القرآن، والتكثير من أنواعها وأضربها، فينسبون صفات إلى الخطاب، ويطلقون مصطلحات تعين تلك الصفات، وهي، في الأصل، صفات ترتد إلى المُرسل للخطاب.

ونلمس أوضح مثال على هذا الاضطراب في لفظ «الاقتدار»، فقد أريد له الإحالة على أن « يبرز المتكلم المعنى الواحد في عدة صور اقتدارا منه على نظم الكلام وتركيبه، وعلى صياغة قوالب المعاني والأغراض، فتارة يأتي به في لفظ الاستعارة، وطورا يبرزه في صورة الإرداف، وآونة يخرجه مخرج الإيجاز، وحينًا يأتي به في ألفاظ الحقيقة»[٥٠].

ومن شواهد ذلك ورود القصص القرآني وفق صيغ متعددة، مثل قصة موسى وإبراهيم وغيرهما، فالذي يظهر للقارئ، منذ الوهلة الأولى، أنها قصص متشابهة، ولكن عند التأمل، يتضح كيف تأتي في صور مختلفة، وقوالب من الألفاظ متعددة.

لكن الاقتدار، بالمعنى السابق، يتعلق بالمُرسل المقتدر على تنويع الخطاب وتحويله في الدلالات المتشابهة والمعاني الواحدة، وهو يرتد إلى هذه القدرة التي وصف القرآن بها خالق الوجود ومنزل الكتاب.

وبهذا يتضح الخلل في لفظة «الاقتدار»، فهي تحيل على صفة في المُرسل وليس الرسالة، فتبتعد عن موضوع الاصطلاح ومجاله، وهو الخطاب القرآني في أبعاده النظمية والأسلوبية.

ومن المثير للانتباه أن ابن أبي الإصبع كان قد أطلق على تلك الظاهرة مصطلحًا آخر، هو

«التصريف»، وذلك في كتابه (تحرير التحبير)، وعرفه بالمفهوم نفسه الذي قدمه للاقتدار، ولعل مصطلح «التصريف» أقدر على وصف التنويع الذي تقوم به الرسالة، بصفتها خطابا بالدرجة الأولى، لا بوصفها مرتدة إلى صاحب الرسالة.

ثم إنّ كلمة «الاقتدار» مشعرة بأن صاحبها يتكلف ويجهد في الوصول إلى تلك الدرجة من البيان، وهذا لا يصح تصوره في حق الذات الإلهية.

وإذا أضفنا إلى كل ما سبق، أن لفظ «الاقتدار»، بوروده إلى جانب «التصريف»[٥١]، عند العالم البلاغي الواحد، لهو دليل على أزمة الاضطراب في المصطلح؛ إذ ما الاعتبارات العلمية التي تجعل المصنف يقترح مصطلحين، ويصف بهما مفهوما واحدا؟ مع أن من شرط الاصطلاح أن يكون المصطلح الواحد دالا على المفهوم الواحد، إلا إذا ظهر له، لاحقا، أن مصطلحه الأول غير علمي، أو مفتقر إلى القوة الاصطلاحية، فمن حقه، بل من واجبه، علميًا، أن يستبدل غيره به، وينبه إلى علة استبداله وسبب تغييره.

٧- الغزل والتشبيب:

ما كان لهذه الدراسة أن تقف عند هذين المصطلحين، لولا ورودهما عند ابن أبي النقيب في مقدمة تفسيره، وذلك لأنهما متعينان في دلالتهما المفهومية عند نقاد الشعر وعلمائه، ولا يجادل أحد من الدارسين في قدرتهما على تحديد معناهما تحديدا دقيقا.

لكن أن يستعملا في وصف خطاب القرآن، فتلك قضية تحتاج إلى نقد ورد، نظرا لتخلف شرط المناسبة المقاميّة من جهة، وعدم إحالتهما بدقة على ما يحيلا إليه في عرف الشعراء والنقاد.

فقد عرف الغزل بأنه «التصابي والاشتهار بمودة النساء»[٥٢]، واتخذ ترقيق القرآن للقلوب مدخلا إلى حديثه عن استمالة النفوس إليه، حيث إنه «لا يسمعه أحد إلا ومال إليه قلبه، وامتلأت به جوانبه، وانطوت على مثل جمر الغضى ضلوعه، وجرت على صفحات خده دموعه، وفيه من وصف الجنة ونعيمها، ومنازل الزلفى وطيب رسومها، ما يشوق القلوب إلى لقائها، ويسوق النفوس إلى الحلول بفنائها»[٥٣].

واستشهد بقوله تعالى: **﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾**[٥٤]، وغيرها من الآيات التي قال إن القرآن يحتوي على نوع كبير منها.

وعندما انتقل إلى مصطلح «التشبيب»، عرفه بأنه «اللفظ الدال على محاسن النساء، ومحاسن أخلاقهن، وتصرف أحوال الهوى معهن، ويدخل فيه الشوق والتذكر لمعاهد الأحبة»[٥٥].

ومثّل بقوله تعالى: **﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴾**[٥٦]، وقوله: **﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾**[٥٧]، وقوله: **﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾**[٥٨].

إن عرض مصطلحي الغزل والتشبيب، بمفهوميهما المتداولين، على ميزان الاصطلاح يكشف عن قصور في الأدب مع الخطاب القرآني؛ إذ القول بنزاهته يلغي، منطقيًا، التمحل في نسبة الغزل والتشبيب إلى مخاطباته، أو التعمل

لاستنباط شواهدهما منه؛ إذ الغزل والتشبيب حالتان بشريّتان تدلان على الهوى من جهة، والافتتان بمحاسن النساء من جهة ثانية[٥٩]، فكيف يليق تعديتهما إلى أسلوب القرآن؟؟

ألم يكن الأجدى والأجدر، بعد قراءة شواهد الغزل عند ابن النقيب، اقتراح مصطلح دال على فحوى الآيات دلالة صحيحة وهو «الرقاق» مثلاً، فالظن الغالب أنه المقصود من كلامه، لكن الافتتان بالغرابة في الاصطلاح والاستنباط حال دون الإفصاح عن مراده.

وبهذا يكون المصطلحان مخلّين بشرط المناسبة الكلامية. أما القول بالتشبيب في القرآن، فهو لايحيل على معناه إحالة دقيقة؛ إذ يلتبس بالتشبيب عند الشعراء، مما ينفي عنه شرط الدقة والدلالة على معنى واحد. ومن الضوابط الاصطلاحية أنه حين يكون عندنا مفهومان، فالواجب في سياسة الاصطلاح أن يفرد لكل واحد منهما مصطلحه المعين له والخاص به.

وإذا تبين لابن النقيب أن في القرآن مظاهر من وصف النساء وامتداحهن، فليقترح له مصطلحه المباين لمصطلح التشبيب ذي الحمولات البشرية القائمة على الشوق وضعف النفس والاستسلام للهوى القتّال.

وإن ما أورده للتشبيب من شواهد قرآنية لا يستقيم مع الفهم المتداول عند نقاد الشعر؛ لأن المقصدين مختلفان بين الشعراء والله عزّ وجل، فالأولون يقصدون إلى إبراز مسوغات خضوعهم للشوق والتذكر والهوى، حتى يكون لهم عذر بين الناس، أما الله عز وجل، فيقصد إلى إبراز الصفات الحميدة التي على النساء أن يتحلّين بها، وهو، حين يعرض لصفات نساء الجنة، يقصد التأثير النفسي، وإشعار المؤمنين بتكريم الله لهم وتنعيمهم؛ إذ جعل لهم نساء الآخرة في تلك الدرجات من الكمال. ولهذه الأسباب فرع الإمام الطيبي للتشبيب فروعًا، وجعل أولها التغزل قبل التمدح، ولم يذكر له أي شاهد من القرآن[٦٠]، شعورا منه بأن ذلك التلقيب لا يجوز في حق الكتاب المبين.

٨ - الإفراط في الصفة:

ترتد هذه الصيغة إلى ابن المعتز، فهو أول من أطلقها، وعدّها من محاسن الكلام[٦١]، وأخذها منه ابن أبي الإصبع، وجعلها عنوانا لأحد أبواب بديع القرآن، وهي، عنده، «أن يذكر المتكلم حالا لو وقف عندها لأجزأت، فلا يقف عندها حتى يزيد معنى كلامه ما يكون أبلغ في معنى قصده»[٦٢].

وقد استوعب هذا الباب، عنده، جميع أضرب الإفراط في الصفة وشواهدها من القرآن، مثل قوله تعالى: ﴿**يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ**﴾[٦٣]. وقوله تعالى: ﴿**إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالاتٌ صُفْرٌ**﴾[٦٤].

وبتأمل صيغة «الإفراط في الصفة» يتضح أن لفظة الإفراط تستوعب حمولة سلبية؛ إذ من معاني الإفراط: الإعجال والتقدم قبل التشبيب، والإفراط: الزيادة»[٦٥]، وقد غلب استعمالها للدلالة على الزيادة غير المحمودة، وغير المرغوب بها، ومن ثم، لا يتصور إفراط في حق كلام الله. زد على ذلك أنّ صياغة المصطلح وردت طويلة، أما تخصيص الإفراط بالصفة، فهو تخصيص لا مسوغ له؛ لأن الإفراط، كما يتصور في الصفات

يتصور في الأفعال والأحداث والتشبيهات وغيرها، فلا معنى لحصره في الصفة.

والغريب أن غير ابن أبي الإصبع يسمى مفهوم «الإفراط في الصفة» مبالغة، وهو مصطلح ورد عند قدامة بن جعفر، ونقل ابن أبي الإصبع تعريفه له حرفيًا، وقد استند صاحب (نقد الشعر) إليه في الدفاع عن الغلو في الخطاب الأدبي، ومناصرة من يقول به، ويفضله على مبدأ القصد.

وعند عرض «المبالغة» على مقاييس أهل الاصطلاح نجد أنها تمتاز بالاقتصاد اللغوي، إضافة إلى شهرتها وتداولها في السياقات المتنوعة بحمولة إيجابية لا تتمتع بها صيغة «الإفراط في الصفة».

وأغرب من هذا أن ابن أبي الإصبع اختار الصيغة الأخيرة، لكنه، عند التحليل، لم يجر لها ذكرا، وكان غالب استعماله يرتد إلى مصطلح «المبالغة»، مثل قوله: «وجميع مبالغات الكتاب على ضربين»[٦٦]، فلماذا لم يقتصر عليها؟ أم أنه آثر المحافظة على صيغة ابن المعتز بوصفها أصلا سابقًا من حيث التداول التاريخي؟

حقيقة أن هذا الأمر مسلم به عند المصطلحين، ولهم في صنيع الآمدي أسوة حسنة وسند قوي، فقد نقد قدامة بن جعفر حين خالف السابقين، واستحدث مصطلحات سمى بها مفاهيم بديعية، مثل تسميته للطباق «تكافؤا»، وكان مما ورد في نقده قوله: «وما علمت أن أحدا فعل هذا غير أبي الفرج، فإنه، وإن كان هذا اللقب يصح لموافقته معنى الملقبات، وكانت الألفاظ غير محظورة، لم أكن أحب له أن يخالف من تقدمه، مثل أبي العباس عبد الله بن المعتز وغيره ممن تكلم في هذه الأنواع وألف فيها: إذ قد سبقوه إلى اللقب وكفوه المؤونة»[٦٧]، وحظي موقفه هذا بمساندة ابن سنان الخفاجي، الذي صرح بأن «الصواب ما قاله أبو القاسم الآمدي»[٦٨]، مع ملاحظة أنه أورد عبارة الآمدي مع زيادة: «وكفوه المؤونة في اختراع ألقاب تخالفهم».

إلا أن عدّ المصطلح الأصلي والأسبق لايجوز تعميمه وفصله عن بقية الشروط والاعتبارات: لأن الأصل حين يختل فيه شرط أو أكثر من شروط الاصطلاح يتعين الانصراف عنه على الرغم من كونه أصلا، ولا سيما إذا كان المصطلح المحدث أوفر حظا في اكتسابه للمواصفات اللازمة، والشروط المعتبرة.

٨- الائتلاف:

إذا كان من الشروط الحاسمة أن ينحو المصطلح نحو التخصيص، ويعين مجاله المفهومي تعيينًا دقيقًا، درءًا للخلط والالتباس، فإن لفظة «الائتلاف»، التي تداولها البلاغيون كثيرا، ونسبوها إلى القرآن، تخرق هذا الشرط، وذلك لإحالتها العامة.

والائتلاف، عندهم، مستويان: ائتلاف الحروف وانتظامها داخل اللفظ، وائتلاف اللفظ مع معناه.

وإذا كان المستوى الأول، وهو «تعديل الحروف في التأليف تعديلا يخرج بها عن التنافر «باعتبار أن التلاؤم نقيض التنافر»[٦٩]، فإن العلماء يشرحون المستوى الثاني، بأن تكون ألفاظ المعنى المراد يلائم بعضها بعضًا، ليس فيها «لفظة نافرة

عن أخواتها، غير لائقة بمكانها، كلها موصوف بحسن الجوار»[٧٠].

وكان يكفي البلاغيين الانتهاء عند هذا الرسم لوضوحه ودلالته على القصد، لكنهم، وتحكيمًا للنزعة المقياسية، راحوا يفرعون لهذا الائتلاف أنماطًا غريبة، تعلن عن تصور «ميكانيكي» وآلي للكلام والإبداع.

إذ من الواجب أن يكون اللفظ صنو المعنى، «بحيث إذا كان المعنى غريبًا قحا كانت ألفاظه غريبة محضة، وإذا كان المعنى متوسطًا، كانت الألفاظ كذلك، وإذا كان غريبًا، كانت الألفاظ غريبة، وإذا كان متداولاً، كانت الألفاظ معروفة مستعملة، وإذا كان متوسطًا بين الغرابة والاستعمال، كانت ألفاظه كذلك»[٧١].

وكان الشاهد الأثير عندهم على صحة هذه الثنائيات قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾[٧٢]؛ إذ لما «كان مضخمًا للخطب، ومهولاً له، وخيف على يعقوب عليه السلام من دوام حزنه وطول أسفه جاء بالألفاظ الغريبة»[٧٣]، مثل «تاء القسم»، وهي أقل استعمالاً وتداولاً من أخواتها، وأبعد من أفهام العامة، «وتفتؤ» بدل «تزال» و«الحرض» عوض «الهلاك»؛ إذ الحرض هو إشفاء المريض على الهلاك ودنوه منه[٧٤].

إن الائتلاف، بنوعيه، يمثل جوهر الخطاب القرآني، ولا يختص بآية أو أسلوب، وإنما يعم آيات القرآن وأساليبه جميعًا، ولذلك، وجه النقد إلى مفهوم الائتلاف في مستواه الأول المرتبط بتعديل الحروف في التأليف وتلاؤمها، فقد اعترض ابن سنان على تقسيم الرماني لتلاؤم المفردة إلى ثلاث طبقات، تلاؤم في الطبقة العليا، وتلاؤم في الطبقة الوسطى، وتنافر، وانتقده في إدخال ألفاظ القرآن ضمن المتلائم من الطبقة العليا. ورد عليه بأن الألفاظ القرآنية استعملت عند العرب قبل القرآن، وإن توافرها على حظها من التلاؤم ليفسد قول من يدخلها ضمن الطبقة الوسطى لقصد تمييز لغة القرآن، وهو صنيع الرماني، يقول ابن سنان: «أوليس هذه اللفظة قد تكلمت بها العرب قبل القرآن وبعده، ولولا ذلك لم يكن القرآن عربيًّا، ولا كانت العرب فهمته، فقد أقررت الآن أن في كلام العرب ماهو متلائم في الطبقة العليا، وهو الألفاظ المفردة»[٧٥].

وانتهى إلى أن قسمة الرماني «قسمة فاسدة»[٧٦]. وإن ما نأخذه من نقد ابن سنان لمفهوم الائتلاف أو التلاؤم الحرفي أنه خاصيّة في اللغة الطبيعية، وقد كان ابن الأثير أقدر على توضيحه، وذلك في سياق رده على ابن سنان نفسه، يقول: «وفي الذي ذكره مالا حاجة إليه، أما تباعد المخارج، فإن معظم اللغة العربية دائر عليه، وإن أكثر اللغة مستعمل على غير مكروه، ولا تقتضي حكمة هذه اللغة الشريفة، التي هي سيدة اللغات، إلى ذلك، ولهذا أسقط الواضع حروفًا كثيرة في تأليف بعضها مع بعض استثقالاً واستكراهًا، فلم يؤلف بين حروف الحلق كالحاء والفاء والعين، وكذلك لم يؤلف بين الجيم والقاف، ولا بين اللام والراء، ولا بين الزاي والشين، وكل هذا دليل على عنايته بتأليف المتباعد المخارج»[٧٧].

ومادام الائتلاف خاصيّة في اللغة، يبعد القول إنه من فنون البديع في القرآن أو الشعر؛ لأنه،

حينئذ، لا يحيل على نوع أسلوبي خاص، وإنما يحتضن جميع المفردات.

وأما الائتلاف في مستواه الثاني، المرتبط بتعالق اللفظ والمعنى، وتلاؤمهما في الدلالة على المقصود، فإن بعض البلاغيين، خروجًا من أن يتوجه إليهم الاعتراض بكونه عاما في خطاب القرآن، عدوه وجها من أوجه إعجاز القرآن، مادام يظهر للقارئ في كل لفظ وآية وسورة. يقول ابن النقيب: «وقال بعض العلماء: إن إعجازه إنما وقع بكون المتكلم به عالما بمراده من كل كلمة، وما يليق بها، وما ينبغي أن يلائمها من الكلام، وما يناسبها في المعنى، لا يختفي عنه ما دق من ذلك وما جلّ، ولا مصرف كل كلمة ولا مآلها، وغير الله لايقدر على ذلك؛ لأنه أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددا، وهذا القول من الأقوال التي لا مطعن عليها»[٧٨].

وبعد ما عرف العلوي اليمني «الائتلاف» انتهى إلى قوله: وجاء القرآن الكريم على هذا الأسلوب[٧٩]. وكون القرآن كله شاهدًا على الائتلاف يرجع بالنقد على مصطلح الائتلاف ومفهومه، وذلك، إضافة إلى عموميته، فإن بعض المصطلحات تقوم مقامه مثل «التناسب» و«حسن النسق» وغيرهما.

وخلاصة القول في الائتلاف أننا «إذا نظرنا إلى عنوان الباب، كان القرآن كله مثالا له؛ لأن الألفاظ في القرآن مؤتلفة مع معانيها لم يند منها موضع واحد، وعلى هذا، إيراد الأمثلة منه فيه شيء من التسامح»[٨٠]، والدراسة العلمية ترفض التسامح الناتج عن ضعف في الاصطلاح، أو تسيب في المفهوم؛ لأن ما قام على ضعف أو تسيب آيلٌ إلى أن تلحقه عدواهما لا محالة.

١٠- رد الأعجاز على الصدور:

يمثل هذا الفن رابع أنواع البديع الخمسة عند ابن المعتز، إلا أنه لم يهتم بصياغة مفهوم له.

وهذا الفن «عبارة عن كل كلام بين صدره وعجزه رابطة لفظيَّة غالبًا، أو معنويَّة نادرًا. تحصل بها الملاءمة والتلاحم بين قسمي كل كلام»[٨١].

وبعيدًا عن الإشكالات المرتبطة بكونه مصطلحًا يعيش أزمة المصطلحات للمفهوم الواحد؛ إذ أُطلق عليه ألقاب أخرى مثل «التصدير» و «الترديد»، فإن صيغة «رد الأعجاز على الصدور» تثير قضيتين، بموجبهما يمكن الحكم عليه بضعف اصطلاحيته.

- فأما أولهما، فإنه مصطلح طويل العبارة، مفتقد لشرط الاقتصاد اللغوي القاضي بتقديم المصطلح المفرد على المركب، وهو، موازنة له بمصطلح «التصدير» مثلاً، يحتل مكانًا مرجوحا في المواصفات الاصطلاحية.
- وأما ثانيهما، فإنه يختل فيه شرط المناسبة المقامية، ذلك أن لفظتي «الصدر» و«العجز» لهما تاريخ طويل من الاستعمال والتداول، وقد اختصتا بالمتن الشعري، وعدّتا دالتين على أبرز مكونات البيت الشعري في القصيدة العربية.

وبما أن خطاب القرآن مباين لخطاب الشعر في مكوناته النظمية والبنائية، من مقتضيات ذلك أن يخالفه في الألقاب الدالة على تلك المكونات، وقد كان الجاحظ واعيا بهذا الأمر، فهو القائل: «سمى الله تعالى كتابه اسما مخالفا لما سمى العرب كلامهم على الجملة والتفصيل، سمى

جملته قرآنا، كما سموا ديوانا، وبعضه سورة كقصيدة، وبعضه آية كالبيت، وآخرها فاصلة كقافية»[٨٢]، واقتفى الزركشي أثره بخصوص إسناد مصطلح «القافية» إلى الخطاب القرآني، وذلك أن «الشرع لما سلب اسم الشعر، وجب سلب اسم القافية أيضًا عنه؛ لأنها منه، بخاصةٍ به في الاصطلاح»[٨٣].

ومن ثمّ لا يليق بالقرآن مفردتا، «الصدر» و«العجز»؛ لأنه لم يرد في نظام الشعر، ولم يتبع قوالبه، وكأن القزويني لاحظ تخلف شرط المناسبة المقاميّة في حالة الإبقاء على المفردتين المذكورتين، فسعى إلى حذفهما في تعريفه لهذا الفن، فقال: «هو أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين، أو الملحقين بهما في أول الفقرة والآخر في آخرها»[٨٤]، وهو أقرب إلى الصواب؛ لأن الفقرة تبتعد عن إيحاءات نظام الشعر.

ويظل مصطلح «التصدير» الوارد عند ابن رشيق[٨٥] أقدر في الدلالة على مراده، وأكثر حظًا في توافره على الشرطين السالفين الغائبين في عبارة «رد الأعجاز على الصدور»، فهو مصطلح مفرد، ولا يشعر، في استعماله وتداوله، بأي إلحاق لخطاب القرآن بغيره من الخطابات في قوانينها ومكوناتها.

خلاصـــة:

بعد هذه الجولة مع ظاهرة الضعف الاصطلاحي نقدم هذا الجدول الملخص للفنون التي لحقها هذا الداء المصطلحي والمفاهيمي، مع إشارات موجزة للدليل المعتمد في الحكم عليها.

جدول أزمة ضعف الإصطلاحية

طبيعة الأزمة	اسم الفن	دليل ضعف اصطلاحيته
ضعف الاصطلاحية	العنوان	اختل فيه شرطا الوضوح والدلالة المختصة
	المذهب الكلامي	انتفى منه شرط المناسبة المقامية
	إلجام الخصم بالحجة	فاقد لشرط الاقتصاد اللغوي، وهو مرتد إلى حقل الجدل وعلم الكلام
	تجاهل العارف	اختل فيه شرط المناسبة المقامية
	التمزيج	لا يحيل على مفهومه بدقة، ويتداخل مع غيره من المصطلحات
	الاقتدار	لا يدل على فن في الخطاب، وينتفي فيه شرط المناسبة المقامية
	الغزل والتشبيب	يبعدان عن المناسبة المقامية والإحالة الدقيقة
	الإفراط في الصفة	لا يتوافر على الاقتصاد اللغوي، وله إيحاءات لا تليق بالخطاب القرآني
	الائتلاف	هو عام لا يحيل إلى فن خاص مما هو من شروط الاصطلاح
	رد الأعجاز على الصدور	يختل فيه شرطا الاقتصاد اللغوي والمناسبة المقامية

وبهذا يتبين كيف أن «عشرة فنون» أقحمت في حقل البديع القرآني، دون اعتبارات منهجية، أو مسوغات علميَّة، إضافة إلى كونها مرجوحة الفائدة؛ إذ يغني غيرها عنها كما أوضحت الدراسة بأكثر من دليل. ■

الحواشي

(١) كشاف اصطلاحات الفنون:٣/٢٣.

(٢) المصطلح النقدي في نقد الشعر: ٨، ومصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين:٥٣-٦٠.

(٣) مدخل إلى علم الاصطلاح:٧٧.

(٤) البرهان في علوم القرآن:١/٤٥.

(٥) النور:٣٥.

(٦) بديع القرآن:٢٢٩.

(٧) لسان العرب، مادة سبغ:٨/٤٣٣.

(٨) بديع القرآن:٢٢٩، وينظر الوافي في العروض والقوافي:٢٠٨.

(٩) لسان العرب، مادة عنن:١٣/٢٩٥.

(١٠) المصدر نفسه:١٣/٢٩٤.

(١١) المصدر نفسه.

(١٢) بديع القرآن:٢٥٧.

(١٣) الأعراف:١٧٥.

(١٤) المرسلات:٣٠-٣١.

(١٥) بديع القرآن :٢٥٧.

(١٦) لسان العرب، مادة عنن:١٣/٢٩٤.

(١٧) الإتقان في علوم القرآن:٣/٣١٩.

(١٨) التبيان في علم المعاني والبديع والبيان:٣١٦.

(١٩) الإيضاح:٦/٥١٦.

(٢٠) الخلفيات الايديولوجية في التراث البلاغي العربي: ١٤٩، مجلة الآداب بفاس، العدد ٦، سنة ١٩٨٢-١٩٨٣.

(٢١) البرهان في علوم القرآن:٣/٤٦٨.

(٢٢) مقدمة تفسير ابن النقيب:٢٠٢.

(٢٣) يس:٨١.

(٢٤) البديع:٦٢.

(٢٥) مفتاح العلوم :٤٢٨.

(٢٦) سبأ:٢٤.

(٢٧) البرهان في علوم القرآن:٣/٤٠٩.

(٢٨) الطراز:٣/٨٠.

(٢٩) الإيضاح:٦/١٩٣.

(٣٠) لسان العرب، مادة جهل:١١/١٢٩.

(٣١) التعريفات:٢٨٣.

(٣٢) مختار الأخيار في فوائد معيار النظار في المعاني والبيان والبديع والقوافي، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا. سنة ١٩٩٠، مرقونة بخزانة كلية الآداب بالرباط تحت رقم(٤١٤عسو).

(٣٣) الأسس اللغوية لعلم المصطلح:١٥.

(٣٤) المصدر نفسه.

(٣٥) ورد في كلام الزركشي توظيفاً لمصطلح السكاكي، لكن يبدو أن في عبارته خللاً يحتاج إلى تصويب. فقد قال: «وإنما أورد الكلام في الآية على طريق سوق غير المعلوم مساق غيره»، البرهان:٣/٤٠٩، ولعل الصواب: سوق المعلوم مساق غيره، والله أعلم.

(٣٦) سبأ :٢٤.

(٣٧) محمد:٢٢.

(٣٨) البرهان: ٣/٤٠٩.

(٣٩) المائدة:١١٦.

(٤٠) الطراز:٣/٨١.

(٤١) الإيضاح:٦/٥٣٢.

(٤٢) الطراز:٣/٨١.

(٤٣) انظر هامش صفحة ٢٤٦ من بديع القرآن.

(٤٤) بديع القرآن:٢٤٦.

(٤٥) الأنبياء:١١٢.

(٤٦) بديع القرآن:٢٠٨-٢٠٩.

(٤٧) المصدر نفسه:٢٠٩-٢١١.

(٤٨) معترك الأقران:١/٣١٨.

(٤٩) مقدمة تفسير ابن النقيب:٣٢٦.

(٥٠) بديع القرآن:٢٨٩، وانظر معترك الأقران:٢/٢٩٤، فقد أعاد كلام ابن أبي الإصبع بكامله.

(٥١) لقد عدّ محقق كتاب «بديع القرآن» و«تحرير التحبير» السيد حنفي محمد شرف مصطلح «التصريف» أو «الاقتدار»، والتمثيل لهما بشواهد قرآنية من الأمور التي سلمت لابن أبي الإصبع، ولم يسبق إليها.

وهذا غير صحيح عند التحقيق التاريخي لنحت المصطلحات وتداولها والتمثيل لها بما يناسب من آي القرآن، ففي القرن الرابع الهجري كتب الرماني رسالة في إعجاز القرآن، ضمنها مفهومه للبلاغة التي لا تتجاوز عنده عشرة أقسام كبيرة، وجعل القسم السابع خاصًا ببلاغة التصريف، وعرفه بما يماثل تعريف ابن أبي

الإصبع السابق، وذكر حكمته، وختم كلامه بإبراز قدرة الله على أن يأتي في المعنى الواحد بالدلالات المختلفة فيما هو من البلاغة في أعلى طبقاتها. ثلاث رسائل في الإعجاز:١٠١-١٠٢.

وقد وجب، عندنا، التنبيه إلى هذا الخطأ لما له من تأثير في الدراسات المعاصرة، ففي رسالته حول «المنهج النقدي والبلاغي في تراث ابن أبي الإصبع»، ذهب الباحث البكري مصطفى إلى أن ابن أبي الإصبع سباق إلى إقتراح مصطلح «التصريف»، مقتفيا في ذلك سبيل د. حنفي شرف، وهذا، استنادا إلى كلام الرماني نفسه، غير صحيح.

(انظر رسالته لنيل دبلوم الدراسات العليا، وهي مرقونة بخزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، تحت رقم (٩٥٦-٨٠١).

(٥٢) مقدمة تفسير ابن النقيب:٤٣٣.

(٥٣) المصدر نفسه:٤٣٤-٤٣٥.

(٥٤) محمد:١٥.

(٥٥) مقدمة تفسير ابن النقيب:٤٣٦.

(٥٦) التحريم:٥.

(٥٧) الرحمن:٧٢.

(٥٨) ص:٥٢.

(٥٩) كشاف اصطلاحات الفنون:٢/٤٦١.

(٦٠) التبيان في علم المعاني والبديع والبيان:٣٧٠.

(٦١) البديع:٦٥.

(٦٢) بديع القرآن:٥٤.

(٦٣) النور:٤٣.

(٦٤) المرسلات:٣٢-٣٣.

(٦٥) لسان العرب:٧/٣٦٩، مادة فرط.

(٦٦) بديع القرآن:٥٧.

(٦٧) الموازنة: ٢٥٨.

(٦٨) سر الفصاحة:١٨٥.

(٦٩) النكت في إعجاز القرآن:٩٤.

(٧٠) بديع القرآن:٧٧، وانظر الطراز:٣/١٤٤-١٤٥.

(٧١) بديع القرآن:٧٧.

(٧٢) يوسف:٨٥.

(٧٣) بديع القرآن:١٤٥.

(٧٤) المصدر نفسه:٧٥، وانظر الطراز:٣/١٤٥.

(٧٥) سر الفصاحة:٩٣.

(٧٦) المصدر نفسه:٩١.

(٧٧) المثل السائر:١/١٧٢.

(٧٨) مقدمة ابن النقيب:٥٢٥.

(٧٩) الطراز:٣/١٤٥.

(٨٠) خصائص التعبير القرآني:٢/٤٤٥.

(٨١) بديع القرآن:٣٦.

(٨٢) الإتقان في علوم القرآن:١/١٤٣.

(٨٣) البرهان:٥٩.

(٨٤) الإيضاح:٦/١٠٢.

(٨٥) العمدة:١/٥٧١.

المصادر والمراجع

المؤلفات:

- **الإتقان في علوم القرآن**، للسيوطي، تح.محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية، بيروت،١٩٨٨.
- **الأسس اللغوية لعلم المصطلح**، للدكتور فهمي حجازي، مكتبة غريب، مصر،١٩٩٣.
- **الإيضاح في علوم البلاغة**، للإمام القزويني، تح. د. محمد عبد المنعم خفاجي، ط٣، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣.
- **البديع**، لابن المعتز، تح. إغناطيوس كراتشقوفسكي.
- **بديع القرآن**، لابن أبي الإصبع، تح. حفني محمد شرف، دار نهضة مصر.
- **البرهان في علوم القرآن**، للزركشي، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٠.
- **التبيان في علم المعاني والبديع والبيان**، للإمام الطيبي، تح. د. هادي عطية مطر الهلالي، ط١،عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧.
- **تحرير التحبير**، لابن أبي الإصبع، تح.د. حفني محمد شرف،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
- **ثلاث رسائل في الإعجاز**، للرماني والجرجاني، والخطابي، تح. محمد زغلول سلام، وخلف الله، ط٤، دار المعارف، مصر، ١٩٩١.
- **التعريفات**، لعلي الجرجاني، تح.إبراهيم الأبياري، ط١، دار الكتاب العربي، ١٩٩٢.
- **كشاف اصطلاحات الفنون**، التهانوي، وضع حواشيه، أحمد حسن سبيح، ط١ ،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.

- **خصائص التعبير القرآني**، للدكتور عبد العظيم المطعني، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٣.
- **سر الفصاحة**، لابن سنان الخفاجي، تح. علي فودة، ط١، مكتبة الخانجي، ١٩٣٢.
- **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة**، العلوي اليمني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠.
- **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، لابن رشيق، تح محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٨.
- **لسان العرب**، لابن منظور،دار الفكر.
- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، لابن الأثير، تح. أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة.
- **مدخل إلى علم الإصطلاح**، للدكتور إدريس نقوري، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ١٩٩٧.
- **مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين**، للدكتور الشاهد البوشيخي، دار القلم، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء،١٩٩٣.
- **المصطلح النقدي في نقد الشعر**، للدكتور إدريس نقوري، ط١، دار النشر المغربية، البيضاء، ١٩٨٢.
- **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، للسيوطي، تح. أحمد شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨.
- **مفتاح العلوم**، للسكاكي، تح. د. نعيم زرزور،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.
- **مقدمة تفسير ابن النقيب**، لابن النقيب، تح.زكريا سعيد علي، ط١،مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٥.
- **الموازنة بين الطائيين**، للآمدي، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد.
- **نقد الشعر**، قدامة بن جعفر،تح.د. عبد المنعم خفاجي، دارالكتب العلمية، بيروت.
- **الوافي في العروض والقوافي**، للخطيب التبريزي، ط٣، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٩.

الدوريات:

- مجلة كلية الآداب، الصادرة عن كلية الآداب بفاس، عدد٦، سنة ١٩٨٢- ١٩٨٣، مقال : الخلفيات الإيديولوجية في التراث البلاغي العربي، د.حمادي صمود

الرسائل الجامعية

- مختار الأخيار في فوائد معيار النظار في المعاني والبيان والبديع والقوافي: لعلي الجرجاني، تح، الباحث عمو عسو، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الآداب بإشراف د. جعفر الكتاني، العام الجامعي ١٩٩٠، مرقونة بخزانة كلية الآداب، بالرباط، تحت رقم(٤٤ عسو).
- «المنهج النقدي والبلاغي في تراث ابن أبي الإصبع» الباحث مصطفى البكري، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، مرقونة بخزانة كلية الآداب، الرباط، تحت رقم: (٨٠١,٩٥٦).

موسيقا الشعر في ديوان دريد بن الصمة

الأستاذ/ أحمد إسماعيل حمد
قنا - مصر

اتفق النقاد واللغويون، على أن الشعر كلام موزون مقفّى يدل على معنى، ذلك حد الشعر، كما هو مسلم باتفاقه بين أهل العربية وأساطين علومها، ولا مناص من أن يستهلوا حديثهم عن حد الشعر بالالتزام بالوزن، ذلك العنصر الأساس الذي يتفرد بتمييزه للشعر عن النثر، فالوزن، أو البناء العروضي، أو الموسيقا، يُعد أحد مقومات التجربة الشعرية، وهو الذي يحرك المشاعر ويثير الوجدان، ويبعث الإحساس بالجمال، وكل هذه المشاعر تظل مكنونة في الجانب الموسيقي للشعر العربي، وذلك من خلال تتابع الحركات والسكنات في نظام دقيق، ورتم أو نغمات متجانسة الدفقات بين انتظام الحركات والسكنات. والشعر العربي اكتسب موسوعية الأنغام الموسيقية بما وسعته اللغة العربية من الفصاحة والبيان، فنجد أن الذوق العربي استطاع اكتناه العديد من الأوزان، البحور الشعرية، التي خرج من بوتقاتها العديد من الصور الشعرية، وذلك يدخل في الإطار الموسوعي للغة العربية وشموليتها ومدى استيعابها لطفرات التحضر والتجديد في كل عصر، وإن كانت الأوزان الخليلية لا تزال نبعًا فياضًا معطاء بلا حدود إلى وقتنا هذا، فإن ذلك يؤكد لنا عبقرية العربية في وضع الدوائر العروضية، التي شملت معظم الأوزان، التي يمكن للشعراء النظم عليها أو كلها، على خلجات أنفسهم وعواطفهم المتنوعة، مما أتاح للشعراء أن يسيحوا في أرجاء العربية ويغوصوا في الأوزان الموسيقية دون أن يجدوا تضييقًا أو حرجًا يضطرون معه إلى محاولة الخروج على هذه الأوزان، وإن كانت لهم «الرخص» العروضية، التي يلجؤون أو يضطرون إليها من زحافات وعلل، فإن هذه الزحافات والعلل لا يلجأ إليها إلا حذقة الشعراء، وهي كالرخصة الممنوحة للفقيه.

وقد رأيت أن دراسة موسيقا الشعر في ديوان دريد بن الصمة، وذلك لما ناله من الحظوة وملكة الإبداع الشعري، والقدرة الفائقة على قرض الشعر ونظمه على العديد من البحور الشعرية، وصورها المتعددة.

بين الموسيقا والشعر

الموسيقا عنصر أساسي من عناصر الشعر، وأداة من أبرز الأدوات، التي يستخدمها الشاعر في بناء قصيدته، وهي إضافة إلى هذا فارق جوهري من الفوارق التي تميز الشعر عن النثر، إن لم تكن الفارق الوحيد، ولهذا فطن أرسطو، حيث قال في كتابه، مشيرًا إلى الخطأ الشائع في إطلاق لقب شاعر على من ينظم نظرية سواءً كان في الطب أو

الطبيعة؛ إذ لا ينبغي أن يطلق لقب شاعر إلا على من يقول كلامًا منظومًا ومقفّى[١]، وإن كان الشعر الحديث قد تهاون في أمر القافية.

والموسيقا في الشعر ليست حلية خارجية تضاف إليه، وإنما وسيلة من أقوى وسائل الإيحاء، وأقدرها على التعبير عن كل ما هو عميق وخفي في النفس، مما لا يستطيع الكلام النثري أن يعبر عنه، ولهذا فهي من أقوى وسائل الإيحاء سلطانًا على النفس، وأعمقها تأثيرًا فيها، ولقد فطن بعض النقاد العرب القدامى، على نحو غامض، إلى هذه الوظيفة الإيحائية للموسيقا، كابن عبد ربه، الذي قال في كتابه (العقد الفريد): زعمت الفلاسفة أن النغم فضل بقي من المنطق، لم يقدر اللسان على استخراجه، فاستخرجته الطبيعة بالألحان مع الترجيع لا على التقطيع، فلما ظهر عشقته النفس وحنّت إليه الروح[٢].

فالموسيقا في الشعر تظهر في الكلمات المنطوقة، أو في الأسطر الشعرية عن طريق الوزن الشعري أو القافية، وكذا في الموسيقا الداخلية المكونة في الجناس والطباق وما إلى ذلك؛ حيث إنّ كثيرًا من قيم البلاغة العربية، كفكرة البديع، تقوم، إلى حد كبير، على أساس موسيقي، على نحو ما نعرف من التصريع والترصيع والتشريع والتقسيم والجناس...الخ، فهناك تركيز على الانسجام أكثر من التركيز على التناقض، وما أكثر القصائد التي ازدهرت في الشعر وأساسها الأول الموسيقا[٣].

فالإيقاع الموسيقي مجموعة أصوات متشابهة، تنشأ من الشعر، وبخاصة من المقاطع الصوتية للكلمات بما فيها من حروف متحركة وساكنة، وقد قاد هذا المفهوم إلى أنَّ الشعر كالنثر من حيث إنّ كلا منهما يمكن أن يوزن، إلا أن الفرق بينهما أن الشعر نظم على أساس (الإيقاع) في الموسيقا، كما يكون الإيقاع (جماعة نقرات) تتخللها أزمنة محددة المقادير على نسب وأوضاع مخصوصة، ويكون لها أدوار متساوية الكمية.

وقد ذكر الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه (موسيقا الشعر) أنه «ليس الشعر في الحقيقة إلا كلامًا موسيقيًّا تنفعل لموسيقاه النفوس وتتأثر»[٤]، وليس في ذلك ثمة مبالغة من قبل الشاعر، إن لم يكن الشاعر متواضعًا جدًا في قوله هذا في حق الشعر، وهو رأي ليس ببعيد عن الكثير من الآراء التقليدية، التي تناولت هذا الموضوع، ولنا أن نستند في هذا المضمار إلى قول ابن سينا «الشعر كلام مخيل مؤلف من أقوال ذات إيقاعات متفقة متساوية متكررة متشابهة حروف الخواتيم»[٥].

ويقول الدكتور شوقي ضيف، حيث يضع الشعر في نصابه فيقول في كتابه (فصول من الشعر ونقده): «حري بنا ألا ننسى أن هذا الرحيق الموسيقي المصفى، الذي يقدمه لنا فن الشعر، لا يكمن في أوزانه وتلحين كلامه وأنغامه فحسب، بل يكمن أيضًا في انتخاب ألفاظه الحية الرشيقة».

ويذهب الدكتور علي عباس علوان إلى أن «الوزن صورة منضبطة من صور الإيقاع، وهو أكثر الصور شيوعًا في الشعر، بمعنى أن الإيقاع ترديد وتناوب متناسق للمقاطع، يحسه الشاعر بفطرته غريزيًّا، والوزن شكل من أشكاله ونمط من أنماط تركيبه، وليس في ذلك تقليل من أهمية الموسيقا في الشعر؛ لأنها بداهة هي روح الشعر، بل الفارق الوحيد بين الشعر والنثر».

ويذهب بنا الدكتور عز الدين إسماعيل ليوضح لنا مدى موسوعيّة إيقاع الشعر العربي، ومدى رصانة العربية وبلاغتها ومرونتها الفائقة في سيرورتها واتساعها، وذلك لما تحتويه من صور عروضية للأبحر في الشعر العربي، وذلك من خلال الزحافات والعلل التي تشكل الإيقاع الموسيقي المناسب للقصيدة، حيث يقول «إن الوزن لا يعطي لونًا بعينه من الموسيقا مع الاعتراف بأنه، في حد ذاته، نغمات صوتية، هي موسيقا فارغة من المعنى، وعلى ذلك من الطبيعي أن يكون المعول في فهم موسيقا الشعر، التي تلون كل قصيدة بلون خاص، أو التي لها معنى على الإيقاع، والزحافات والعلل التي يخرج إليها الشاعر من دون أن يقصد إلى ذلك، أو يشعر مرجعها إلى الحركة النفسية الإيقاعية، التي تلح عليه، وتجعله ينقص من التفعيلة حركة أو ساكنًا، أو حركة وساكنًا، أو يضيف إليها ساكنًا، أو حركة وساكنًا.

ونتيجة كل ذلك صار الكلام، إضافة إلى عنصر التنسيق الصوتي، الذي تكفله التفعيلة العروضية، مشتملاً على خاصيّة موسيقيّة جوهريّة، هي ذلك الإيقاع الناشئ عن تساوي الحركات والسكنات مع الحالة الشعورية لدى الشاعر، ولم تعد موسيقا الشعر بذلك أصوات رنانة فقط تروع الأذن، بل أصبحت توقيعات نفسية إلى صميم المتلقي؛ لتهز أعماقه في هدوء ورفق[٦].

ونظرًا لما تمسّه اللمحة الإيقاعية في الشعر من دور في الشكل العام للشعر، وتمازج في كيان الموضوع المتناول من قبل الشاعر، جعل الباحث السوفييتي «غورغي غاتشف» تمازجًا لطيفًا بين الشكل والمضمون في الشعر عن طريق الإيقاع أو الدور الذي يقوم به الإيقاع، حيث يقول: «إنَّ الإيقاع الذي يتضاءل أمام عظمة الكلمة، ويبدو غير جوهري، هو في الحقيقة حامل المضمون الذي لانهاية لثرائه»[٧]، ثم يشير إلى دور الإيقاع في تمثيل العمل الشعري بقوله: «إنَّ الإيقاع في الفن هو الذي يمثل العمل الاجتماعي تمثيلاً كاملاً»[٨].

وحين نمعن النظر في بنية القصيدة العربية نجد أن البناء بالموسيقا يعد في مقدمة البُنى التي تتكون منها القصيدة عند العرب. ويرى النقاد أن البناء بالموسيقا يتقدم على البناء بالصورة؛ لأن القصيدة إذا فقدت العنصر النغمي «الوزن الشعري» تخرج من دائرة الشعر إلى دائرة الفن النثري، ولذلك عرفوا الشعر بأنه «الكلام الموزون المقفى الذي يقصد به إلى الجمال الفني، والبناء بالموسيقا في القصيدة العربية لا يعد تعسفًا، ولا تحجرًا بل هو «الأقرب إلى خصائص الشعر العربي»، وهو يعد ظاهرة حضارية انطلاقًا من مرتكزات أساسيَّة في الحضارة العربية، تقدم التجريد على التجسيد، وتقول إنّ الماهية تسبق الوجود، وترى أن دلالة الألفاظ - كما يؤكد ابن جني في الخصائص- معنوية لا حسيّة، وحتى حين نرى العمل الشعري يركز على «العنصر التشكيلي» في القصيدة نلاحظ أن في مقدمة ما يهم هذا الجانب التشكيلي عنصر الزمن، وبخاصة الإيقاع ومستوياته»[٩]، ثم إذا وسعنا الدائرة نجد أن التراث العربي بصفة عامة تراث سمعي، ونجد أن طاقة اللغة العربية، بوصفها من اللغات القديمة، ترتكز على الميراث السمعي، ثم إنها لغة تعتمد على التنغيم الذي يزدهر عادة في اللغات الاشتقاقية، تجري أوزانها ومعانيها على قياس واحد كلما

اطردت، كما تساعد على ذلك حركات الإعراب، وعلما العروض والقوافي، فكلها تجري مجرى الأصوات[١٠].

إضافة إلى ذلك لموسيقا الشعر تأثير أقوى في النفوس وأكثر تكاملاً؛ إذ يؤثر في الأحاسيس، وتدركه النفس قبل أن يدور في العقل، فالمزج الفني - كما يقول الدكتور يوسف السيس - بين ما هو مرئي وعقلي وسمعي يجعل الحقيقة أكثر تكاملاً، والحس البشري أكثر نضجًا وأقرب إلى الطبيعة الأم إلى الحقيقة ذاتها[١١].

وقد أصاب الإمام الغزالي فيما قاله حول تأثير السماع والنغم الشعري في النفس، وكيف تتغلغل في صميم الأفئدة، فتؤثر في خفاياها، حيث يقول: «إنه لا سبيل إلى استثارة خفايا القلوب إلا بقوادح السماع، ولا منفذ إليها إلا من دهليز الأسماع، فالنغمات الموزونة تخرج ما فيها، وتظهر محاسنها أو مساويها، فلا يظهر من القلب عند التحريك إلا ما يحويه، كما لا يرشح الإناء إلا بما فيه، فالسماع للقلب محك صادق ومعيار ناطق، فلا يصل نفس السماع إليه، ولا قد تحرك فيه ما هو الغالب عليه.

ويؤكد الإمام الغزالي أن العلاقة بين النغم والروح سر من أسرار الإله، يعجز عن تعليله البشر، لله تعالى سر في مناسبة النغمات الموزونة للأرواح.

ويؤكد كذلك أن: تأثير السماع في القلب محسوس، ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال، بعيد عن الروحانية، زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور، بل على جميع البهائم، فإنها جميعًا تتأثر بالنغمات الموزونة[١٢].

دريد حياته وشعره في ميزان النقد

هو دُريد بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن بكر بن علقة بن جُداعة بن غزيَّة بن جُشم بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مُضر بن نزار بن معد ابن عدنان[١٣].

قيل إنه يكنى أبا قرة، ولم يصرح ابن دريد في شعره بكنيته، وتفرد ابن الكلبي من أنه كان يكنى «أبا ذفافة وأبا قرة» فيرد عليه بأنّ أبا ذفافة كنية أخيه عبد الله بن الصمة، وهي إحدى ثلاث كنى كان يكنى بها عبد الله[١٤].

مولده ونشأته:

تضاربت الأخبار في تحديد عمره الذي عاشه، فقد تظاهرت النقول على أنه عُمِّر طويلاً حتى سقط حاجباه[١٥] على عينيه، وكُفَّ بصره[١٦].

وقد دفع ذلك السجستاني إلى عدّه من المعمرين، حيث يقول: «ولا تعد العرب معمرًا إلا من عاش مئة وعشرين عامًا فصاعدًا»[١٧].

وإذا كانت المصادر التاريخية والأدبية قد أجمعت على أنه توفي، أو بالأحرى قتل على شركه، يوم حنين في العام الثامن للهجرة (٦٣٢م)[١٨]، فإنها لم تتفق على السن الذي عاشه بالتحديد، وليس ثمة إشكالية في ذلك؛ إذ إنّ تحديد عمر أي إنسان، وبخاصة في تلك الأزمنة الغابرة في حياة الأمم والشعوب من الصعوبة بمكان، ومن ثم يعدّ تحديدها داخلاً في نطاق التقريب، ويذهب السجستاني إلى أنه «قد عاش نحوًا من مئتي سنة»[١٩]. ويجعله المسعودي قد جاوز المئتين»[٢٠]، ونجد ثمة اتفاقًا بين المقريزي وابن إسحاق

والواقدي وابن عساكر على أنه عاش مئة وستين سنة، حيث يقول: «ابن ستين ومائة سنة»[٢١]، وتحرز السهيلي من المبالغة التي ركن إليها بعض المؤرخين، الذين أوصلوا سنّه إلى ما بعد المئتن، حيث منحه السن المحدد لقانون المعمرين «انه كان يومئذ ابن عشرين ومئة سنة»[٢٢].

ومهما يكن من أمر فإن طول حياته أو قصرها لايهم البحث في شيء بقدر ما يهمنا شاعريته، وقدرته على قرض الشعر مع الالتزام بالقالب الموسيقي، الذي نبت في قدرتهم الشعرية من خلال ما غرسته فيهم البيئة العربية وصانته السليقة.

مكانته بين الشعراء

لا شك أن للبيئة أثرًا بارزا في تكوين أي إنسان؛ إذ تؤثر العوامل البيئية المحيطة بالإنسان أثرًا كبيرًا في غرس بعض الصفات أو الملكات، حب شيء ما أو كراهيته، وشاعرنا كان للبيئة والظروف المحيطة تأثير كبير في شاعريته، فقد نشأ في بيت يقرض الشعر، فقد كان أبوه وعمه شاعرين، وكذلك أمه، ويذهب البكرى في (سمط اللآلئ) إلى أنّ الشعر قد أتاه من قبل خاله عمرو ابن معدي كرب، وعلى الرغم من أنه لم يرد في أخبار دريد ما يشير إلى ذلك، سواء بملازمته أو الاتصال به؛ لأن بعض الباحثين يحاول ربط ذلك بالوراثة.

ومهما يكن من تأثيرات في حياة «دريد الشاعر»، سواءً كانت من قريب أو بعيد، فيكفيه أن أسرته كانت تقرض الشعر، وهناك الكثير من الأسر التي كانت تقرض الشعر، كأسرة زهير بن أبي سلمى، وبيت حسان بن ثابت وغيرهما.

دريد في ميزان النقد

تختلف نظرات النقاد والرواة في الحكم على شاعرية شاعر، سواء كان الحكم شموليًا أو فرعيًا، فمن النقاد والرواة من تعرض لمنزلته الأدبية بين شعراء الجاهلية وفرسانها، ومنهم من تعرض للحكم على شاعريته بعامة، ومن هؤلاء أبو الفرج الأصفهاني في أغانيه، حيث وضعه في قائمة الفحول، حين يقول «شاعر فحل.. كان أطول الشعراء غزوًا... وأشعرهم»[٢٣].

والأصمعي يحاول التخفيف من حدة هذه المبالغة، التي يندفع بها أبو الفرج، فيحصرها في نطاق الفرسان حيث يقول: «دريد بن الصمة من فحول الفرسان»[٢٤].

وحين يقرن به خفافَ بن ندبة في قوله: «دريد وخفاف أشعر الفرسان»[٢٥]، ولا يختلف ابن سلام الجمحي عنهم حينما يضعه في قائمة أول الفرسان من الشعراء، وقد صنف دراسته النقدية هذه على أسس منهجية في تصنيف الشعراء وترتيب درجاتهم ومنازلهم الشعرية حسب نظريته النقدية، وقد جعل دريد أول شعراء الفرسان فيما رواه أبو الفرج عنه[٢٦].

وكذلك فعل العسكري الناقد والبلاغي، بل الموسوعي المعروف، حيث عدد أشعر الفرسان وصدّرهم بدريد، وألحقه بعنترة، ويتلوه خفاف، ثم تترى أسماء طائفة الشعراء الفرسان[٢٧] في ترتيب مستواهم الشعري.

ويقودنا الأصمعي إلى المفاضلة بين دريد بن الصمة والنابغة الذبياني فيرجح كفة دريد، حيث يقول:

«دريد بن الصمة في بعض شعره أشعر من الذبياني، وكاد يغلبه»[٢٨]، وإن كان الأصمعي قد حكم هذا الحكم وأطلقه على دريد، ولم يوضح الناحية التي فاق فيها دريد النابغة من النواحي اللغوية، إلا أن هؤلاء النقاد يعون ما يقولون ويدركون، والواضح إجماع الآراء على شاعرية دريد وتفوقه الفني في صياغة القوالب الشعرية مبنى ومعنى، فيدخل بنا أبو عبيدة في قلعة الشعراء ليفاضل بينهم، ولا سيما مشاهيرهم، حيث يقول: «الشعراء في الجاهلية من أهل البادية، أهل نجد، منهم أمرؤ القيس والنابغة وزهير ودريد بن الصمة، ومنهم كثير في الإسلام، فهولاء الشعراء الفحول، الذين مدحوا وفخروا وذموا ووصفوا الخيل والمطر والديار وأهلها»[٢٩]، ثم يسعفنا بخلاصة هؤلاء الشعراء فيقول: «وأشعر الفرسان ثلاثة: عنترة بن شداد، ودريد بن الصمة، وعمرو ابن معدي كرب»[٣٠].

وهكذا يتضح لنا من خلال هذه الرحلة على ضفاف نهر النقد القديم مدى عبقرية دريد بن الصمة وفحولته في حصوله على هذه المنزلة السامقة من بين الشعراء الجهابذة، الذين رفدوا الحركة الأدبية بقريضهم العذب.

البحر المتقارب:

من البحور صافية النغم، حيث يتكون من نغمة مفردة «فعولن» ب - -، وهي تتكون من وتد مجموع، وسبب خفيف، فهما معًا يعطيان النغمة «فعولن» ب - -، وهذا البحر استعمل تامًّا ومجزوءًا في الشعر العربي، وتمامه تكرار التفعيلة في الأبيات ثماني مرات في البيت؛ حيث يحتوي الشطر الأول من كل بيت على أربع تفعيلات، وكذلك الشطر الآخر:

فعولن فعولن فعولن فعولن
فعولن فعولن فعولن فعولن

وقد رصد العرضيون لهذا البحر صورًا عدّة، نذكر ما جادت به قريحة الشاعر:

الصورة الأولى: العروض صحيحة والضرب صحيح.

وعلى هذه الصورة قال الشاعر يفخر ويهدد:

قطعت من الدهر عُمرًا طويلا
وأفنيت جيلاً وأبقيت جيلا

وهذبني الشَّيبُ حتى عرفتُ
أمان الصديق بلوت الخليلا

وشبت وما شاب رأسي وما
رأى الضعف نحو جناني سبيلا

ولا بتّ إلا وظهر الجواد
مقيلي إذا ملّ غيري المقيلا

فيومًا تراني قتيل المُدام
وبين الرياحين أُمسى جديلا

ويومًا تراني كماةُ الحروب
أرُدُّ الطعَان وأُشفي الغليلا

بجأواء جونٍ كلون السماء
تردُّ الحديد كليلاً فليلا

فويلٌ لمن بات في نومه
يراني أهزُّ الحُسام الصقيلا

وويل لمن ظنَّ في نفسه
بأن سيراني طريحًا قتيلا

أنا نائبات الزمان التي
تذل العزيز وتحيي الذليلا
وفي السَّلْم أُعطي عطاءً جزيلا
وفي الحرب أطعن طعنًا وبيلا
وأحتقر الجميع يوم اللقاء
وعندي الكثير أراه القليلا
وإن جُزتُ بالجيش وقت الضُّحى
تركتُ الأراضي تصير محيلا
فقولوا لمن جاءني بالخداع
وراح بأسري يجرُّ الذيولا
يبارزني والقنا شُرَّعٌ
وينظر يومًا عليه ثقيلا

الصورة الثانية : صحيح العروض محذوف الضرب

والحذف في اصطلاح العروضيين إزالة سبب خفيف أو إسقاطه من آخر التفعيلة، حيث تتحول «فعولن» ب - -، لتصير «فعو» ب -.

وفي هذه المقطوعة جاء البيت الأول مخرومًا، والخرم في اصطلاح العروضيين: إسقاط حركة من الوتد المجموع في التفعيلة الأولى في أول بيت في القصيدة، وفي الصدر فقط، وإن كان ثمة اختلاف بين العروضيين والنقاد، والرأي الأرجح وجود هذا الزحاف في التفعيلة الأولى في صدر البيت حسب ما يرى الخليل ابن أحمد - رحمه الله- وإن الشطر الثاني (العجز) لا يعد في أول البيت.

وهاهي الأبيات كما يقول الشاعر:

ويح ابن أكمة ماذا يريد
- - ب -ب ب- - ب - -
عولن فعول فعولن فعولن
أخرم مقبوض سالم سالم
من المرعش الذاهب الأدرد
ب - - ب - - ب - - ب-
سالم سالم سالم محذوف

والخرم، كما هو مسلم به، لا يصيب إلا البيت الأول وبالتحديد التفعيلة الأولى في صدر البيت، وهو زحاف لا يلتزم

فأقسم لو أنَّ بي قوةً
لولَّت فرائصُهُ تُرعدُ
ويا لهف نفسي ألا تكون
معي قُوةُ الشارخ الأمرد

وقال الشاعر أيضًا على هذه الصورة العروض الصحيحة والضرب المحذوف، وجاء هذا البيت أخرم أيضًا:

إما تريني كنضو اللجام
- - ب - ب ب - - ب - -
عولن فعول فعولن فعولن
أخرم مقبوض سالم سالم
أعضَّ الجوامح حتى نحلْ
ب - - ب - ب ب-- ب -

فعولن فعول فعولن فعو

سالم مقبوض سالم محذوف

وعلى هذه الصورة جاء البيت الأول صحيح العروض محذوف الضرب من قصيدة عدتها اثنا عشر بيتًا، جاءت الأبيات الأخرى محذوفة العروض والضرب، والبيت الأول الصحيح العروض محذوف الضرب ها هو:

مدحت يزيد بن عبد المدان
فأكرم به من فتىً مُمتدح

الصورة الثالثة: العروض محذوفة والضرب محذوف

وقد أشرنا للحذف في الاصطلاح العروضي آنفًا، وعلى هذه الصورة قال الشاعر يمدح:

إليك ابن جدعان أعملتها
مخفّفة للسّرى والنّصب

فلا خفّض حتى تُلاقي امرءًا
جواد الرِّضا وحليم الغضب

ب -- ب - ب ب -- ب -

وجلدًا إذا الحرب مرت به
يعين عليها بجزل الحطب

رحلتُ البلاد فما إن أرى
شبيه ابن جُدعان وسط العرب

سوى ملك شامخ ملكه
له البحر يجري وعين الذهب

وعلى هذه الصورة ورد قول الشاعر:

ويوم بخربة لا ينقضي

ب -- ب - ب ب -- ب --

كأنَ أناسًا به دوّروا

ب -- ب - ب ب -- ب -

وعلى هذه الصورة جاءت قصيدة للشاعر:

تأيد من أهله معشرُ
فجوُّ سويقة فالأصغر

فجزع الحليف إلى واسطٍ
فذلك مبدًى وذا محضرُ

فأبلغ سُليمًا وألفافها
وقد يعطف النسبُ الأكبرُ

بأني ثأرتُ بإخوانكم
وكنت كأني بهم مُخفرُ

صبحنا فزارة سُمرَ القنا
فمهلاً فزارة لا تضجروا

وأبلغ لديك بني مازنٍ
فكيف الوعيد ولم تقدروا

فإنَ تقتلوا فتيةً أفردوا
أصابهم الحينُ أو تظفروا

فإن حزامًا لدى معركٍ
وإخوته حولهم أنسُرُ

ويوم يزيد بني ناشبٍ
وقبلُ يزيدكمُ الأكبرُ

أثرنا صريخ بني ناشبٍ
ورهط لقيطٍ فلا تفخروا

تجر الضباعُ بأوصالهم
ويلقحن فيهم ولم يقبروا

وعلى هذه الصورة قال في المدح:

إذا المدح زان فـتـى مـعشـرٍ
فـإنَّ يـزيـد يـزيـن المِدَح

حـلـلت بـه دون أصـحـابـه
فـأورى زنـادي لمَّا قـدح

وردَّ الـنسـاء بـأطـهـارهـا
ولـو كـان غير يـزيـد فضـح

وفكَّ الـرجـال وكـلُّ امـرئٍ
إذا أصـلـح الـلـه يـومًـا صـلـح

وقـلـت لـه بـعـد عـتـق الـنسـاء
وفكَّ الـرجـالَ وردَّ الـلَّـقَـح

أجـر لي فـوارس مـن عـامـرٍ
فـأكـرم بـنـفـحـتـه إذ نـفـح

ومـا زلت أعـرف في وجـهـه
بـكـرّي السؤال ظـهـور الـفـرح

رأيت أبـا الـنّـضـر في مـذحـج
بمنـزلـة الـفـجـر حين اتّـضـح

إذا قـارعـوا عـنـه لم يُـقـرعـوا
وإن قـدَّمـوه لـكـبـشٍ نـطـح

وإن حضـر الـنـاس لم يـخـزهـم
وإن وازنـوه بـقـرنٍ رجـح

فـذاك فـتـاهـا وذو فضـلـهـا
وإن نـابـحٌ بـفـخـارٍ نـبـح

البحر الرمل

من البحور صافية النغم، حيث تتكون بنيته العروضية من تفعيلة فاعلاتن (-ب- -) مكررة ست مرات، ثلاث منها في كل شطر، ثلاث في الصدر وثلاث في العجز: «فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن» مرتين.

ويستعمل هذا البحر تامًّا ومجزوءًا، ويأتي على صور عديدة في الشعر العربي، ومفتاح هذا البحر كما يقول الناظم صفي الدين الحلي:

رَمَلُ الأبحـر يـرويـه الـثـقـات
فـاعـلاتـن فـاعـلاتـن فـاعـلات.

وسيقتصر حديثنا في هذا البحث على الصور التي جاءت في شعر دريد.

- الصورة الأولى : عروض محذوفة والضرب محذوف.

على هذه الصورة قال الشاعر:

يـابـنـي الحارث أنـتـم مـعـشـرٌ
زنـدكـم وارٍ وفي الحرب بُـهَـم

ولـكـم خـيـلٌ عـلـيـهـا فـتـيـةٌ
كـأسـود الـغـاب يـحـمين الأجم

لـيس في الأرض قـبـيـلٌ مـثـلـكـم
حين يـرفضَ الـعـدا غيرُ جُـشَـم

لست لـلـصـمـة إن لم آتـكـم
بـالخنـاذيـذ تـبـاري في الـلّـجـم

فـتـقـرُ الـعين مـنـكـم مـرَّةَ
بـانـبـعـاث الحُرَ نـوحًـا تـلـتـدم

وترى نجران منكم بلقعًا
غير شمطاء وطفل قد يُتم

فانظروها كالسَّعالي شُزَّبًا
قبل رأس الحول إن لم أُخْتَرَمْ

- الصورة الثانية : العروض محذوف والضرب صحيح.

والحذف كما قلنا سابقًا: إزالة السبب الأخير من التفعيلة حيث تتحول به فاعلاتن (-ب--) لتصير فاعلا (-ب-)، وعلى هذه الصورة قال الشاعر:

يا نديميَّ اسقني كأس الحُميّا
في ثنيات اللّوى من كفِّ ريّا

بين روض ونبات عَرْفُه
طيّبٌ أهدى لنا مسكًا ذكيّا

يا نديميَّ اسقياني خمرةً
ودعاني أبصر الشيئين شيًّا

ففؤادي قد صحا من سُكرِه
واشتفى الداءُ الذي كان دويّا

ليت عبد الله أبقاه الردى
يا بني العم وعاد اليوم حيًّا

ليته عاد كما أعهده
حسن القامة وضّاح المحيّا

ليرى أعداه مع وحش الفلا
تتهادى منهم لحمًا طريًّا

وتركت الأرض من فيض الدما
تشتكي بعد الظما فيضًا رويًا

وعلى الصورة نفسها العروض المحذوفة والضرب الصحيح قال الشاعر:

ولقد أصرفُها مُدبرةً
حين للنفس من الموت هدير

ولقد أجمعُ رجليَّ بها
حذرَ الموت وإني لوقور

كلما ذُلل مني خُلق
وبكلٍّ أنا في الرّوع جدير

البحر الرجز

من البحور الشعرية صافية النغم؛ حيث يتكون من وحدة التفعيلة؛ لأن بنيتها العروضية «مستفعلن» «--ب-» مكررة ست مرات، في كل شطر منها ثلاث، ثلاث منها في الصدر، وثلاث في العجز.

«مستفعلن مستفعلن مستفعلن» مرتين، ويستعمل هذا البحر تامًّا ومجزوءًا ومشطورًا وجاء منهوكًا، ومفتاح هذا البحر كما قال الناظم[٣١]:

في أبحر الأرجاز بحر يسهلُ
«مستفعلن مستفعلن مستفعل».

وسيقتصر حديثنا على الصور التي جاءت في شعر دريد بن الصمة

أولاً: الرجز المجزوء:

وعلى هذه الصورة قال الشاعر:

كأنهن رأس حضنْ
في يوم غيم ودُجَنْ

يـالـيـتـنـي عـهـد زمـن
أنـفـض رأسـي وذقـن
كـأنـنـي فـحـل حصُـنْ
أرسـل في حـبـل عُـنـن
أرسـل كـالـظـبـي الأرن
ألصـق أُذنَـا بـأُذُنْ

ثانيًا: الرجز المشطور:

والشطر: أن يأتي البيت على نصف التفعيلات.

وعلى هذه الصورة قال الشاعر:

جاشت إليَّ النفس في يوم الفزع
لا تكثري ما أنا بالنكس الورع

وعليه قال أيضًا:

اليوم هي لدُريدٍ بيتُه
ياربَّ بهتٍ حسنٍ حويتهُ
ومعصم ذي مرةٍ لويته
لو كان للدهر بلى أبليته
أو كان قرني واحدًا كفيته

وعليه قال أيضًا:

يفسد ما أصلحه اليوم غدا

ثالثا: منهوك الرجز:

والنهك أن يرد البيت على ثلاث التفعيلات، أن يُسقط من كل بيت تفعيلتان وتصير تفعيلاته مستفعلن مستفعلن، وهذه القطعة وردت في ديوان دريد، وقد ذكرها كثير من العروضيين شاهدًا على وجود الرجز منهوكًا، وقد قيلت هذه المقطوعة في غزوة حنين حين شهدها مظاهرًا المشركين ولم يشترك فيها لكبره:

يا ليتني فيها جذع
أخبُّ فيها وأضعْ
أقود وطفاء الزمع
كأنها شاةُ صدع

البحر الكامل

وهذا البحر تتكون نغمته، التي تعد الأساس البنائي المشكل لبنية هذا البحر، النغمة الصافية، متفاعلن «ب ب - ب -»، وقد استعمل هذا البحر شعراء العربية تامًّا ومجزوءًا، والتمام هنا تكرار التفعيلةس متفاعلن «ب ب - ب-» ست مرات في البيت، ثلاث منها في كل شطر، أما الجزء فيعني أربع تفعيلات؛ أي بحذف تفعيلة من كل شطر لتصير في كل شطر تفعيلتين، وجاءت لبحر الكامل صور عديدة نذكر منها ما جاء في شعر دريد بن الصمة.

أولاً: الكامل التام:

الصورة الأولى: صحيح العروض والضرب

والصحة في العروض والضرب يعنيان مجيئهما على متفاعلن «ب ب - ب -» ؛ أي التفعيلة الثالثة في الشطر الأول، والتفعيلة الأخيرة في الشطر الثاني.

يقول الشاعر على هذه الصورة:

مــا إنْ رأيت ولا سَــمِــعْــتُ بمثْـلِـهِ
حـامـي الـظـعـيـنـةِ فـارسـاً لـم يُـقـتـل
أردى فــوارس لـم يـكــونـوا نُــهــزة
ثـم اسـتــمــرَّ كـأنـه لـم يـفـعـل
مُــتــهــلــل تـبـدو أسـرَة وجـهـه
مـثـل الحسام جلـتـه كـفّ الصـيـقـل
يُـزجـي ظَـعـيـنـتـهُ وَيَـسْـحَـبُ رُمْحَـهُ
مــتـوجّـهـا يمُـنـاهُ نـحـو المنـزل
وتـرى الـفـوارس مـن مخافـة رُمْحِـه
مِـثْـلَ الـبُـغـاثِ خشِـيْـنَ وَقْـعَ الأجـدْلِ
يـا لـيت شـعـري مـن أبـوه وأمـه
يـا صـاح مـن يك مـثـلـه لم يُجهـلِ

وعلى هذه الصورة قال الشاعر:

مـن لم تـفـدك حـيـاتـه عـزًا ولم
يـنـهض بضـبـعـك في تحمـل مـغـرم
لم يـنـبـعث لك مـوتـه حـزنًـا ولم
تجـزع لمصـرعـه ولم تـتـألم

الصورة الثانية: الأحذ العروض والضرب.

والحذذ في الاصطلاح العروضي: إزالة الوتد المجموع من آخر التفعيلة أو إسقاطه، وبه تتحول متفاعلـن «ب ب-ب-» إلى متفا «ب ب-»

وعلى هذه الصورة جاء قول الشاعر:

حـتـى إذا مـلأوا خـوابـيـهـم
- - ب - ب ب - ب - - -
مـنـهـا وقـالـوا الـريُّ والـفُـضُـلُ
- - ب - / - - ب - / ب ب -

الصورة الثالثة: العروض حذاء مضمرة والضرب أحذ مضمر

والحذذ أشرنا إليه آنفًا. أما الإضمار فهو تسكين ثاني السبب الخفيف، وبه تتحول فعلن «ب ب -» إلى فاعل «- -» في بداية التفعيلة.

ومن نماذج هذه الصورة ما جاء للشاعر:

حـيُّـوا تُـمـاضـرَ واربـعـوا صـحـبـي
وقـفـوا فـإنَّ وقـوفـكـم حـسـبـي
أخـنـاس قـد هـام الـفـؤاد بـكـم
وأصـابـه تـبـلٌ مــن الحُـبِّ
مـا إن رأيت ولا سـمـعت بمثـلـه
كـالـيـوم طـالي أيـنـق جُـرْبِ
مـتـبـذلا تـبـدو محاسـنـه
يضـع الـهـنـاء مـواضـع الـنُّـقـبِ
مـتـحـسرًا نضحُ الـهـنـاء بـه
نضـح الـعـبير بـريـطـةِ الـعـصب
فسـلـيـهـمُ عـنـي خُـنـاسُ إذا
عضَّ الجمـيـعَ الخطبُ مـا خـطـبـي

البحر الوافر

نغمة هذا البحر «مفاعلتـن» «ب -ب ب-»، وقد فكّ الخليل هذا البحر من دائرته على وزن مفاعلتن ست مرات، ثلاث منها في كل شطر، إلا أن هذا الشكل لم يرد في الشعر العربي، ولذا لجأ لإدخال علة القطف في عروضه وضربه، ومن ثم وضع العروضيون اللاحقون للخليل المفاتيح التعليمية لهذا البحر ومفتاحه عندهم:

لــوافــر عبرتــي ذهــلت عــقــول

مــفــاعــلتن مــفــاعــلتن فــعــول[31]

وقول الناظم صفي الدين الحلي[32]:

بــحور الشــعــر وافرهــا جــمــيــل

مــفــاعــلتن مــفــاعــلتن فــعــولُ

وما دام الواقع الشعري قد أثبت أن تفعيلات هذا البحر على ما جاء به الناظم لا ينبغي أن نتمسك بما جاء به الافتراض في دائرة الخليل؛ إذ إنّ الدائرة التي استخدمها الخليل للوضع والتقعيد لهذا العلم كانت مهمتها التقعيد ليس غير!!.

ومن الملحوظ في الشعر العربي أن الوافر لم يأت إلا على هذه الصورة في تمامه، وعليها قال الشاعر:

دعوت الــحــيَّ نصرًا فــاســتــهــلُّــوا

بشــبَّــانٍ ذوي كــرم وشــيــبِ

عــلــى جُــردٍ كــأمــثــال الســعــالي

ورجــلٍ مــثــل أهــمــيــة الــكــثــيــب

فــمــا جــبــنــوا ولــكــنّــا نصــبــنــا

صُــدور الشــرعــبــيَّــة لــلــقــلــوب

فــكــم غــادرن مــن كــابٍ صــريــعٍ

يُــمــجُّ نجيــع جــائــفــةٍ ذنــوب

وتــلــكــم عــادةٌ لــبــنــي ربــاب

إذا مــا كــان مــوتٌ مــن قــريــب

فــأجــلــوا والســوامُ لــنــا مُــبــاحٌ

وكــلُّ كــريــمــةٍ خــودٍ عــروب

وقــد تُــرك ابــنُ كــعــبٍ في مــكــرٍّ

حــبــيــسًــا بين ضــبــعــانٍ وذيب

وعليها قال

لــعــمــرك مــا كُــلــيــبٌ حين دلَّــى

بــحــبك كــلــبــه فــيــمــن يميــحْ

بــأعــظــم مــن بــنــي سفيــان بــغــيًــا

وكــلُّ عــدوِّهــم مــنــهــم مــريــحُ

وعلى هذه الصور قال:

فــإنــا بين غــولٍ لــن تصــلــوا

فــحــائــل ســوقــتــين إلى نســاحِ

فــدارة محصــنٍ فــبــذي طــلــوحٍ

فسرداح المثــامــن فــالضــواحي

وعليه قال الشاعر:

رددنــا الحيَّ مــن أســد بضــرب

وطــعــن يترك الأبــطــال زورًا

تــركــنــا مــنــهــم سبــعين صــرعــى

بــبــســيــان وأبــرأنــا الصــدورا

وعلى هذا البحر قال:

مجاورة ســواد الــنــير حــتــى

تضــمَّــنــهــا عُــزيــقــةُ فــالجــفــارُ

فــلــمَّــا أن أتين عــلــى أرومٍ

وجُــذَّ الحبلُ وانــقــطــع الإمــارُ

وعليه قال:

ألا بكرت تلوم بغير قدر
فقد أحفيتني ودخلت ستري

فإن لم تتركي عذلي سفاهًا
تلمك عليَّ نفسكِ أيَّ عصر

أسرَّك أن يكون الدهر هدًّا
عليَّ بشرِّه يغدو ويسري

وألا تُرزئي نفسًا ومالاً
يضُرُك هُلكهُ في طول عمري

فقد كذبتك نفسك فاكذبيها
فإن جزعٌ وإن إجمالُ صبر

وإن الرُّزء يوم وقفت أدعو
فلم أسمع معاوية بن عمرو

رأيت مكانه فعرضت بدءًا
وأي مقيل رُزءٍ يابن بكر

إلى إرمٍ وأحجارٍ وصيرٍ
وأغصانٍ من السَّلمات سُمرِ

وبُنيان القبور أتى عليها
طوال الدهر من سنةٍ وشهرِ

ولو أسمعته لسرى حثيثًا
سريع السعي أو لأتاك يجري

بشكة حازمٍ لا عيب فيه
إذا لبس الكماة جلود نمر

فإما تمسِ في جدثٍ مقيمًا
بمسهكةٍ من الأرواح قفرِ

فعزَّ عليَّ هُلكك يابن عمرو
ومالي عنك من عزمٍ وصبر

ولست بثعلبٍ إن كان كونٌ
يدسُّ برأسه في كل جُحرِ

ورُبّت غارةٍ أوضعت فيها
كسحِّ الخزرجيِّ جريم تمرِ

بقيَّةُ منسرٍ أو عرضِ جيشٍ
تضيق به خروق الأرض مجرِ

وعليه قال أيضًا:

لمن طللٌ بذات الخمس أمسى
عفا بين العقيق فبطن ضرس

أشبهها غمامة يوم دجن
تلألأ برقها أو ضوء شمس

فأقسم ما سمعت كوجد عمروٍ
بذات الخال من جنٍّ وإنس

وقاك الله يا ابنة آلِ عمروٍ
من الفتيان أمثالي ونفسي

فلا تلدي ولا ينحكك مثلي
إذا ما ليلةٌ طرقت بنحسِ

وتزعم أنني شيخٌ كبيرٌ
وهل خبَّرتها أني ابن أمسِ

تريد شرنبثَ القدمين شثنًا
يُبادر بالجرائر كلَّ كرس

لقد علم المراضع في جمادى
إذا استعجلن عن حزّ بنهس

بأني لا أبيت بغير لحم
وأبدأ بالأرامل حين أمسي

وأني لا ينال الحيُّ ضيفي
ولا جاري يبيت خبيث نفسي

إذا عُقبُ القدور تكُنَّ مالاً
تحت حلائل الأبرام عرسي

وأصغر من قداح النبع صُلبٍ
خفيٍّ الوسم من ضرسٍ ولمسِ

دفعت إلى المغيض إذا استقلوا
على الرُكبات مطلع كلّ شمس

فإن أكدى فتامكة تؤدي
وإن أربى فإني غير نكس

ومُرْ قصةٍ رددتُ الخيل عنها
بمذرعةِ التوالي ذات فلسِ

وما قَصُرَتْ يدي عن عُظمِ أمرٍ
أهمُّ به ولا سهمي بنكس

وما أنا بالمزجّي حين يسمو
عظيمٌ في الأمور ولا بوَهْسِ

وقد أجتاز عَرْضَ الخرق ليلاً
بأعيس من جمال العيد جَلسِ

كأن على تنائفهِ إذا ما
أضاءت شمسهُ أثواب بُرسِ

وعليه قال الشاعر، وذلك عندما بلغه أن زوجته سبت أخاه، فطلقها، وقال:

أعبد الله إن سَبَّتك عِرْسي
تقدم بعض لحمي قبلَ بعضِ

إذا عرس امرئ شتمت أخاه
فليس فؤاد شانئة بحمضِ

معاذ الله أن يشتمن رهطي
وأن يملكن إبرامي ونقضي

وعليه قال:

فلو أني أطعت لكان حدّي
بأهل المرختين إلى دفاقِ

وعليه قال الشاعر:

غشيت برابغٍ طللٍ مُحيلاً
أبت آياتُهُ ألا تحولا

تعفَّت غيرُ سفح ماثلاتٍ
يطيرُ سوادهُ سملاً جفولاً

سواكنهُ جوامع بين جأبٍ
يُساقط بين سمنته النَّسيلا

إذا ما صاح حشرج في سخيلٍ
وارنانٍ فأتبعه سحيلاً

وظلمانٍ مُجَوَّفةٍ بياضًا
وعين ترتعي منه بقولا

وقفتُ بها سراةَ اليوم صحبي
أكفكفُ دمع عيني أن يسيلا

ألا أبلغ وشاة الناس أني
أكون لهم على نفسي دليلا
بأني قد تركت وصال هندٍ
وبُدّل ودّها عندي ذهولا
فإن آتي التي تهوون منها
فقد عاصيتها زمنًا طويلاً
فلا تلدي ولا ينكحك مثلي
إذا طُرد السَّفا هيفًا نصولا
وأجدبت البلاد فكُنَّ غبرًا
وعاد القطر منزورًا قليلاً
فإنك إن سألت سراة قومي
إذا ما حَربُهم نتجت فصيلا
ألستُ أُعِدُّ سابغةً ونهدًا
وذا حدين مشهورًا صقيلاً
وأعفو عن سفيههم وأرضى
مقالة من أرى منهم خليلا
ب - ب ب - / ب - - - / ب - -
بجنب الشِّعبِ يُرهقني إذا ما
مضى فيه الرعيلُ رأى رعيلا
ب - - - ب - ب ب - ب ب -
ونحن معاشرٌ خرجوا ملوكًا
تفكُّ عن المكبَّلة الكبولا
متى ما تأتِ نادينا تجدنا
جحاجحةً خضارمةً كهولا
وشُبَّانًا إذا فزعوا تغَشوا
سوابغ يسحبون لها ذْيولا
وقال عليه:
بني الديَّان ردوا مال جاري
وأسرى في كبولهم الثقالِ
وردُّوا السَّبْيَ إن شئتم بمنٍّ
ب - - - ب - - - ب - -
وإن شئتم مفاداةٍ بمالِ
فأنتم أهل عائدةٍ وفضلٍ
وأيدٍ في مواهبكم طوالِ
متى ما تمنعوا شيئًا فليست
حبائلُ أخذه غير السؤالِ
وحربكم بني الديان حربٌ
يغصُّ المرء منها بالزُّلال
وجارتكم بني الديان بسكٌ
وجاركُمُ يُعَدُّ مع العيال
حذا عبدُ المدانِ لكم زياد
هُمُ أهلُ التكرُمِ والفعالِ
فأَوْلُوني بني الديَّان خيرًا
أقِرُّ لكم به أُخرى الليالي
وقال عليه:
فإنك واعتذارك من سويدٍ
كحائضةٍ ومشرحُها يسيل

وقال عليه أيضًا:

متى ما تدعُ قومك أدع قومي
وحولي من بني جُشم فئام

فوارسُ بُهمةٌ حُشدٌ إذا ما
بدا خضرُ الحييَّة والخدامُ

أتوعدني ودونك بُرق شعرٍ
ودوني بطنُ شمظة فالغيام

متى كان الملوك لنا قطينًا
علي ولايةٌ صمِّي صمام

وعليه قال:

ولا تخفى الضغينة حيث كانت
ولا النظر الصحيح من السقيم

أناملها وإن دُهنت غلاظٌ
وأوجُهُها بها أبدًا كُلُومُ

وعليه أيضًا:

أقر العين أن عُصبت يداها
وما إن تعصبان على خضابِ

وأبقاهُنَّ أنَّ لهنَّ جدًا
وواقية كواقية الكلابِ

وعلى البحر نفسه قال:

أعاذل إنما أفنى شبابي
ركوبي في الصريخ إلى المنادي

مع الفتيان حتى كلَّ جسمي
وأقرح عاتقي حملُ النجادِ

أعاذلُ إنه مالٌ طريفٌ
أحبُّ إليَّ من مالٍ تلادِ

أعاذلُ عُدتي بدني ورمحي
وكلّ مُقلَّصٍ سَلس القيادِ

ويبقى بعد حلم القوم حلمي
ويفنى قبل زاد القوم زادي

وعليه أيضًا:

ألا أبلغ بني جُشم بن بكرٍ
بما فعلت بي الجعراءُ وحدي

وأيضًا قال:

وربّ عظيمةٍ دافعت عنهم
وقد بلغت نفوسهم التراقي

وعلى بحر الوافر ورد بيت محذوف العروض، والضرب صحيح «فعولن» هو:

فإن لم تشكروا لي فاحلفوا
بربِ الراقصات إلى حُراص

ووزنه مفاعلتن مفاعلتن فعو

فجاءت عروضه محذوفة «فعو»، وهذه الصورة غريبة على بحر الوافر، ولم نعهدها في دراستنا للعروض، وإني لأعتقد أن البيت سقط منه في تحقيق «فإن لم تشكروا لي فاحلفوا لي»، فربما تكون «لي» سقطت من التحقيق، لأن لي (-) لن في فعولن.

البحر الطويل

البحر الطويل من البحور الشعرية التي تتسم بتنوع النغم، حيث تتكون من اجتماع تفعيلتي

موسيقا الشعر في ديوان دريد بن الصمة

المتقارب «فعولن» «ب--»، وتفعيلة بحر الهزج «مفاعلين» ب---، بحيث لا تكتمل نغمة هذا البحر، ولا يتم بناؤه إلا باجتماع هاتين التفعيلتين معًا في وحدة تركيبية سائرة في البيت على هذا الوجه، بحيث يتكون شطر البيت من ذكرها مرتين»

«فعولن مفاعلين فعولن مفاعلين» مرتين.

وهذا البحر لم يرد في الشعر العربي إلا تامًّا؛ حيث لم يرد مجزوءًا حسب ما ورد في الشعر العربي، وما استقرأه العروضيون القدامى والمحدثين، وحسب ما اتضح لنا في دراساتنا الأكاديمية، وقد وردت لهذا البحر صور عدة سنقتصر هنا على ذكر ما جادت به قريحة الشاعر وقرضت عليه من الصور:

الصورة الأولى: العروض المقبوضة والضرب المقبوض:

يجدر بنا الإشارة إلى تعريف القبض في الاصطلاح العروضي، حيث يعني إسقاط الساكن الخامس أو إزالته في أي من تفعيلات بحر الطويل، سواءًا كانت فعولن «ب--» أو مفاعلين «ب---» لتصير الأولى «ب-ب» فعول، والثانية «ب-ب-»: مفاعلن». والقبض من الزحافات التي تدخل كثيرًا في تفعيلات بحر الطويل، فتدخل في العروض والضرب، فتلتزم إلى آخر القصيدة، أما في حشو البيت فلا تزيد على كونها زحافًا قد لا يتكرر حدوثه في حشو كل الأبيات.

وعلى هذه الصورة قال الشاعر، وذلك عندما كانت بلقين وكلب قد أغارتا على بني جُشم بن معاوية رهط دريد فأدركوهم بشبكة الدوم، فارتجعوا ما بأيديهم، وقتلوا فيهم، فقال دريد:

ويوم شباك الدوم دانت لدينا
قضاعة لوينجي الذليل التَّحوُّبْ

أقيم لهم بالقاع قاع بلاكث
إلى ذنب الجزلاء يومٌ عصبصب

وعلى هذه الصورة التي يرد بعض النقاد سببها إلى أن دريدًا هجا زيد بن سهل المحاربي في قصيدة قالها دريد حين غزا غطفان غزوة ثانية، فأغار على بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان، فهرب في عياض ابن ناشب الثعلبي ثم غزاهم، فأغار على أشجع فلم يصبهم، فقال دريد في ذلك:

يا راكبًا إما عرضت فبلِّغنْ
أبا غالبٍ أن قد ثأرنا بغالب

وأبلغ تميرًا إن مررت بدارها
على نأيها فأيُّ مولى وطالب

قتلت بعبد الله خير لداته
ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب

وعبسًا قتلناهم بحر بلادهم
بمقتل عبد الله يوم الذنائب

تكرُّ عليهم رجلتي وفوارسي
وأُكرِه فيهم صعدتي غير ناكب

جعلن بني بدرٍ وشمخًا ومازنًا
لنا غرضًا يزحمنهم بالمناكب

ومُرَّةَ قد أخرجنهم وتركنهم
يروغون بالصلعاء روغ الثعالب

فإن تدبروا يأخذنكم في ظهوركم
وإن تقبلوا يأخذنكم في الترائب

وإن تسهلوا للخيل تسهل عليكم
بطعن كإيزاغ المخاض الضوارب

إذا أحزنوا تغشى الجبال رجالنا
كما استوفزت فُدرُ الوعول القراهبِ

فلليوم سميتم فزارة فاصبروا
لوقع القنا تنزون نزو الجنادبِ

وأشجع قد أدركنهم فتركنهم
يخافون خطف الطير من كل جانبِ

وثعلبة الخنثى تركنا شريدهم
تعلَّةَ لاهٍ في البلاد ولاعبِ

إذا انتسبوا لم يعرفوا غير ثعلبٍ
إليهم ومن شر السباع الثعالبُ

رد سناهم بالخيل حتى تملأت
عوافي الضباع والذئاب السواغبِ

ولولا جنان الليل أدرك ركضنا
بذي الرمث والأرطى عياض بن ناشب

ذريني أطوّف في البلاد لعلَّني
ألاقي بإيرثلَّةَ من محارب

فليت قبورًا بالمخاضة أخبرت
فتخبرُ عنا الخضر خُضر مُحارب

تمنيتني زيد بن سهلٍ سفاهة
وأنت امروٌ لا تحتويك مكانبُ

وأنت امروٌ جعدُ القفا متعكس
من الأقطِ الحوليّ شبعان كانبْ

وعلى هذه الصورة قال الشاعر:

تعللت بالشمطاء إذ بان صاحبي
وكل امرئٍ قد بان إذ بان صاحبُه

كأني وبزّي فوق فتحاء لقوةٍ
لها ناهضٌ في وكرها لا تجانبه

فباتت عليه ينفض الطل ريشها
تُراقبُ ليلاً ما تغور كواكبه

فلما تجلَّى الليل عنها وأسفرت
تنفض حسرى عن أحصَ مناكبه

رأت ثعلبًا من حرَّةٍ فهوت له
إلى حرَّةٍ والموت عجلان كاربهْ

فخرَّ قتيلاً واستمرّ بسحره
وبالقلب يدمي أنفه وترائبُه

وعلى هذه الصورة قال، وذلك عندما طلق امرأته ردًّا على موقفها منه عندما رأته شديد الجزع على أخيه، فعاتبته، وصغرت شأن أخيه وسبته، فكان عقابها الطلاق، فقال فيها:

أرث جديد الحبل من أم معبدِ
بعاقبةٍ وأخلفت كلَّ موعد

وبانت ولم أحمد إليك جوارها
ولم ترجُ فينا ردة اليوم أو غدِ

من الخفرات لا سقوطا خمارها
إذا برزت ولا خروج المقيّدِ

وكـل تـبـاريـح المحب لـقـيـتـه
سـوى أنـنـي لم ألـق حـتـفـي بمرصدِ
وأني لم أهــلـك سُــلالاً ولم أمُــت
خـفـاتًـا وكـلا ظـنـه بـي عُـوّدي
كـأن حـمـول الحيِّ إذ متـع الضحـى
بـنـاصـيـة الشحـنـاء عصبتـهُ مذودِ
أو الأثـابُ الـعـم المحرم سـوقـهُ
بـداءة لم يـخـبـط ولم يـتـعـضّـدِ
ظـواعـنُ عـن خُـرج الـنـميرة غـدوةً
دوافـع في ذاك الخلـيـط المُصـعّـدِ
أعاذل مـهلاً بعض لومك واقصدي
وإن كان علم الغيب عندك فارشدي
أعـاذلـتـي كـل امـرئٍ وابـن أمـه
مــتــاعٌ كـزاد الـراكب المتزود
أعــازل إن الــرزء في مـثـل خـالـدٍ
ولا رزء فـيـمـا أهـلك المرء عـن يـدِ
وقـلت لـعـراض وأصحـاب عارض
ورهـط بـنـي السوداء والقومُ شهّديِ
عـلانـيـة ظـنـوا بـألـفـي مُـدجّـجِ
سـراتُـهُـم في الـفـارسـيِّ المسـرّدِ
وقـلت لـهـم إن الأحـالـيـف هـذه
مـطـنّـبـةٌ بين الـسـتـار وثـهـمـد
فـمـا فـتـئـوا حـتـى رأوهـا مـغيرةً
كـرجـل الـدبـى في كـل ربـعٍ وفـدفـدِ

ولما رأيت الخيـل قـبـلاً كـأنـهـا
جـرادٌ يـبـاري وجـهـه الـريـح مُـفـتـدي
أمـرتـهـم أمـري بمنـعـرج الـلـوى
فـلم يستـبـيـنـوا الـرشد إلا ضحـى الـغدِ
فـلـمّـا عصوني كنت منـهـم وقـد أرى
غـوايـتـهـم وأنـنـي غير مـهـتـدي
ومـا أنـا إلا مـن غـزيّـة إن غـوت
غـويت وإن تـرشـد غـزيـة أرشـد
دعـاني أخـي والخيـلُ بـيـنـي وبـيـنـه
فـلـمـا دعـاني لم يـجـدني بـقـعـدد
أخٌ أرضـعـتـنـي أمـه مـن لـبـانـهـا
بـثـديـي صـفـاءٍ بـيـنـنـا لم يُـجـدّدِ
تـنـادوا فـقـالـوا أردت الخيـل فـارسًا
فـقـلت أعـبـد الـلـه ذلكـم الـردي
غـداة دعـاني والـرمـاح يـنـشـنـهُ
كـوقـع الصيـاصي في النسيج المُمدّد
وكـنـت كـذات الـبـوّ ريعت فـأقـبـلت
إلى جـذمٍ مـن مسكٍ سـقـبٍ مجلّـدِ
فـطـاعـنت عـنـه الخيل حتى تـبـدّدت
وحـتـى عـلاني حـالك الـلـون أسود
طـعـان امـرئ آسـى أخـاه بـنـفـسـه
وأعــلــم أن المرء غيرُ مخلّــد
فـمـا رمت حـتـى خـرّقـتـني رمـاحـهـم
وغـودرتُ أكـبـو في الـقـنـا المقـتـصّـر

وإن يكُ عبد الله خلّى مكانه
فما كان وقّافًا ولا طائش اليد
ولا برمًا إما الرياح تناوحت
برطب العضاة والضريعُ المعضّد
كميش الإزار خارجٌ نصف ساقه
صبورٌ على العزاء طلاع أنجد
رئيس حروب لايزال ربيئةً
مُشيحًا على محقوقف الصلب ملبدِ
صبورٌ على رزء المصائب حافظٌ
من اليوم أدبار الأحاديث في غدر
تراه خميص البطن والزاد حاضرٌ
عتيدٌ ويغدو في القميص المقدّدِ
وإن مسّه الإقواء والجهد زاده
سماحًا وإتلافًا لما كان في اليد
له كلُّ من يلقى من الناس واحدًا
وإن يلق مثنى القوم يفرحُ ويزدد
صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه
فلمّا علاه قال للباطل ابعدِ
وهوّن وجدي أنني لم أقل له
كذبت ولم أبخل بما ملكت يدي
وهوّن وجدي أنما هو فارطٌ
أمامي وأني وارد اليوم أو غدِ
فلا يبعدنك الله حيًا وميّتا
ومن يعله ركنٌ من الأرض يبعدِ
وإن تعقب الأيام والدهر تعلموا
بني قارب أنا غضابٌ بمعبدِ
وغارةٍ بين اليوم والليل فلتةٍ
تداركتها ركضًا بسيدٍ عمرّدِ
سليم الشظا عبلِ الشوى شنج النَّسا
طويل القرا نهدٍ أسيل المُقلّدِ
يفوت طويل القوم عقد عذاره
منيفٌ كجذع النخلة المتجرّد
إذا هبط الأرض الفضاء تزينت
لرؤيته كالمأتم المتبدّد
وتُخرج منه صرةُ القوم مصدقًا
وطول السُّرى دُرّي عضبٍ مهنّدِ
وكنت كأني واثق بُمصدَّر
يمسي بأكناف الحبيب فمحتد

وعلى هذه الصورة قال الشاعر، وقد كانت أم دريد حضّته بشعر لها على الطلب بثأر أخيه، فقال:

ثكلت دريدا إن أتت لك شتوة
سوى هذه حتى تدور الدوائرُ
وشيّب رأسي قبل حين مشيبه
بكاؤك عبد الله والقلب طائر
إذا أنا حاذرت المنيّة بعده
فلا وألت نفسي عليها أُحاذر

وعلى العروض المقبوضة والضرب المقبوضة لبحر الطويل قال الشاعر:

سليم بن منصور ألّما تخبروا
بما كان من حربي كليب وداحس

وما كان في حرب اليحابير من دمٍ
مُباح وجدعٍ مؤلمٍ للمعاطس

وما كان في حربي سليم وقبلهم
بحرب بُعاثٍ من هلاك الفوارس

تسافهت الأحلام فيها جهالةً
وأضرم فيها كلُّ رطبٍ ويابس

فكفوا خفافًا عن سفاهة رأيه
وصاحبه العباس قبل الدهارس

وإلا فأنتمُ مثلُ من كان قبلكم
ومن يعقل الأمثال غيرُ الأكايس

وعلى هذه الصورة قال الشاعر يرثي أخاه خالدًا:

أميم أجدّي عا في الرُّزء واجشمي
وشدّي على رزء ضلوعك وابأسي

حرام عليها أن ترى في حياتها
كمثل أبي جعدٍ ففوري أو اجلسي

أعفَ وأجدى نائلاً لعشيرةٍ
وأكرم مخلودٍ لدى كلِّ مجلس

وألين منه صفحةً لعشيرة
وخيرًا أبا ضيفٍ وخيرًا لمجلس

تقول هلالٌ خارجٌ من غمامةٌ
إذا جاء يجري في شليل وقونس

يشدُّ متون الأقربين بهاؤه
ويخيثُ نفس الشانئ المتعبّسِ

وليس بمكباب إذا الليل جنّه
نؤوم إذا ما أولجوا في المعرّسِ

ولكنه مدلاجٌ ليل إذا سرى
يبذُّ سراهُ كُلَّ هادٍ مملَّسِ

وعلى هذه الصورة قال دريد في هذه الوقعة، يوم الغدير بين دريد ورهطه وأحياء من غطفان:

قتلنا بعبد الله خير لداته
وخير شباب الناس لو ضُمَّ أجمعا

ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب
منيّتة أجرى إليها وأوضعا

فتى مثل متن السيف يهتز للندى
كعالية الرُّمح الرُّدينيّ أروعا

وعليها قال:

أقول لعَجلى إنما هي ساعةٌ
فدى لك نفسي ألحقيني مُلاحِقي

وعلى هذه الصورة قال دريد يفخر بأنه يظفر ببني الحارث وقتل أمثالهم:

أمن ذكر سلمى ماء عينيك يهملُ
كما أنهلَّ خَرزٌ من شعيب مُشلشَلُ

وماذا تُرجّى بالسلامة بعدما
نأت حقبٌ وابيضَّ منك المُرجَّلُ

وحالت عوادي الحرب بيني وبينها
وحربٌ تعلُّ الموت صرفًا وتنهلُ

قراها إذا باتت لديَّ مفاضة
وذو خُصَلٍ نهدُ المراكلِ هيكلُ

كميش كتيس الرَّبْل أخلص متنَه
ضريبُ الخلايا والنقيع المعجَّلُ

عتيدٌ لأيام الحروب كأنه
إذا انجاب ريعانُ العجاجة أجدلُ

يجاوبُ جردًا كالسراحين ضُمَّرًا
ترودُ بأبواب البيوت وتصهلُ

على كُلّ حيٍّ قد أطلَّت بغارةٍ
ولا مثل ما لاقى الحماسُ وزعبلُ

غداة رأونا بالغريف كأننا
حبيٌّ أدرَّته الصبا متهللُ

بمشعلةٍ تدعو هوازن فوقها
نسيجٌ من الماذيِّ لأمٌ مرفَّلُ

لدى معركٍ فيها تركنا سراتهم
ينادون منهم موثق ومجدَّلُ

نجذّ جهارًا بالسيوف رؤوسهم
وأرماحنا منهم تعلُّ وتنهلُ

ترى كلَّ مسودّ الغدارين فارس
يطيف به نسرٌ وعرفاءُ جيألُ

وعلى هذه الصورة قال دريد يهجو:

وجدنا أبا الجبَّار ضبًّا مورَّشا
له في الصفاة بُرثُن ومعاولُ

له كدية أعيت على كل قانصٍ
ولو كان منهم حارشان وحابلُ

ظللتُ أُراعي الشمس لولا ملالتي
تزلَّع جلدي عنده وهو قائلُ

وعلى الصورة نفسها قال الشاعر:

أعاذل كم من نار حربٍ غشيتها
وكم لي من يومٍ أغرَّ مُحجَّلِ

وإن تسألي الأقوام عني فإنني
لمشترك مالي فدونكِ فاسألي

وإني لعفٌّ عن مطاعم تُتَّقى
ومكرمُ نفسي عن دنيَّات مأكل

وما إن كَسبتُ المال إلا لبذله
لطارق ليلٍ أو لعانٍ مكبَّلِ

وعلى هذه الصورة من الطويل المقبوض العروض والضرب قال الشاعر:

لعمرك ما آسى حراض ابن أُمّهِ
على النصف من شطر الكلاءة قائمُ

تطاول حربُ الليل عن قدر ظنّهِ
فنام وهذا آمِنُ الفتك نائمُ

فيا خطَّةً راثت عليك ونى لها
ثُمامةُ يرعاها على السيف جاثمُ

يدبُّ إليه السبعُ يختل ظِلّهُ
وفي كفّه صافي الحديدة صارمُ

فأمكن حدَّ السيف مرجع خصمه
وكرَّ يُساوي الخطو والشخص قائم

فآب إلى حِبٍّ نصيح فلامه
ومن سُررِ الحبّ النصيح الملاوم

فقال له عُدْ تشفِ نفسًا ولا تكن
على ظنّةٍ منها وللحزم لائمُ

فقلَّده لما تبين شخصه
بضربة ثارٍ لم تخُنها العزائمُ

فمات صريعي غِرَّةٍ ولمن سعى
إلى الموت لم تنظم عليه التمائمُ

وعليها من الطويل المقبوض العروض والضرب قال الشاعر:

ولولا جنانُ الليل أدرك ركضنا
بذي الرِّمث والأرطى عياض بن ناشب

قتلنا بعبد الله خير لداته
ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب

وعلى هذه الصورة قال الشاعر:

تداركه في مُنصلِ الألّ بعدما
مضى غير دأداةٍ وقد كاد يعطبُ

وعليها أيضًا قال:

بضربٍ يزيل الهام عن سكناته
وطعن كإيزاغ المخاض الضواربِ

وعلى هذه الصورة من بحر الطويل قال الشاعر:

ومردٍ على جردٍ شهدت طرادها
قبيل طلوع الشمس أو حين ذرّت

صبحتهم بيضاء يبرق بيضها
إذا نظرت فيها العيون ازمهرّت

ولما رأيت الخيل رهوًا كأنها
جداول زرعٍ أرسلت فاسبطرّت

فجاشت على النفس أول وهلةٍ
وردت على مكروهها فاستقرّت

علام تقول الرمح يثقل عاتقي
إذا أنا لم أطعن إذا الخيل ولّت

عقرت جواد ابني دريدٍ كليهما
وما أخذتني في الختونة عزتي

لحا الله جرمًا كلما ذرَّ شارقٌ
وجوه كلابٍ هاررتْ فازبأرّت

ظللت كأني للرماح دريّةٌ
أقاتل عن أبناء جرمٍ وفرّت

فلم تغن جرم نهدها إذ تلاقيا
ولكن جرمًا في اللقاء ابذعرّت

فلو أنَّ قومي أنطقتني رماحهم
نطقت ولكن الرماح أجرّت

وعليها أيضًا قال الشاعر:

وكل لجوجٍ في العنان كأنها
إذا اغتمست في الماء فتخاءُ كاسرُ

لها ناهضٌ في الوكر قد مهدت له
كما مهدت للبعل حسناءُ عاقرُ

وعلى هذه الصورة قال:

تغيبت عن يومي عكاظ كليهما
وإن يك يوم ثالث أتجنب

وإن يك يوم رابع لا أعُد له
وإن يك يومٌ خامس أتنكبُ

الصورة الثانية: العروض مقبوضة والضرب صحيح:

عندما افترض الخليل بن أحمد - كما حكمت دائرته- أن تفعيلات بحر الطويل

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن
فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

وكما هو معروف أن العروض هي «مفاعيلن» التفعيلة الأخيرة في الشطر الأول تأتي مقبوضة دائمًا مفاعلن «ب-ب-»، أما الضرب، فهو التفعيلة الأخيرة في الشطر الثاني «مفاعيلن» وهذه التفعيلة تأتي إما مقبوضة أو صحيحة أو محذوفة، ومن الصور التي جاءت عليها صحيحة في شعر دريد:

قوله يتذكر أيام الصبا وما فيها من مظاهر القوة والفتوة:

إن يك رأسي كالثغامة نسلهُ
يطيف بي الولدانُ أحدب كالقرد

رهينة قعر البيت كل عشيةٍ
كأني أُرادى أن أصوّب في مهد

فمن بعد فضلٍ في شباب وقوةٍ
ورأس أثيثٍ حالك اللون مسودِ

فقد أبعث الوجناء يدمي أظلها
على ظهر سبساب كحاشية البرد

فأوردتها ماءً قليلاً أنيسه
حديثًا بعهد الناس أو غير ذي عهد

فأعكسها في جمةٍ فنصأتها
فآنست ما أبغي وأتعبتها تردي

إلى علمٍ ناءٍ كأن مسافه
مُحللُ كتان من النأي والبعد

وخيلٍ كأسراب القطا قد وزعتها
على هيكل نهدِ الجزارة مُرمد

سوابقها يخرجن من متنصفٍ
خروج القواري الخضر من سبل الرعدِ

وغيثٍ من الوسميّ حُوُ تلاعهُ
علته جمادى بالبوارق والرّعدِ

تبطنته تعدو ببزي نهدةٌ
جلالةُ ما بين الشراسف واللبدِ

وتخطو على صمّ كأنّ نسورها
نوى القسب يستوقدن في الظرب الصلدِ
لها حضر لفُّ الحريق وعقبها
كجمّ الخسيف بعد معمعة الورد
قليل التبات غير قوس وأسهم
وأبيض قصَّال الضريبة محتدّ
وأسمر مربوعٍ متلّ كعوبه
يصرف فيه لهذمًا وادق الحدّ

وعلى هذه الصورة قال الشاعر في رثاء أخوته عبد الله، وعبد يغوث - وخالد، وقد قيل إنه أحسن ما قيل في الصبر على النوائب:

تقول ألا تبكي أخاك وقد أرى
مكان البكا لكن بنيت على الصبر
لمقتل عبد الله والهالك الذي
على الشرف الأعلى قتيل أبي بكر
وعبد يغوثٍ أو خليلي خالدٍ
وعزَّ مصابًا حثو قبرٍ على قبرِ
أبي القتل إلا آل صمَّة إنهم
أبوا غيره والقدر يجري إلى القدر
فإما ترينا ما تزال دماؤنا
لدى واترٍ يشقى بها آخر الدهرِ
فإنا للحم السيف غير نكيرةٍ
ونلحمه حينًا وليس بذي نُكرِ
يغار علينا واترين فيشتفى
بنا إن أصبنا أو نغير على وتر
بذاك قسمنا الدهر شطرين قِسمةً
فما ينقضي إلا ونحن على شطرِ

وعلى هذه الصورة من الطويل قال دريد يهجو رجلاً، فجعل البيضة الفاسدة مثلاً له، ثم ألحق النَّسرَ بأحرار الطيور وكرامها وما رأيتهم يعرفون ذلك لنسر:

فإني على رغم العذول لنازلٌ
بحيث التقى عيطٌ وبيضُ بني بدر
أيا حكم السوءات لا تهجُ واضطجع
فهل أنت إن هاجيت إلا من الخضر
وهل أنت إلا بيضةٌ مات فرخها
ثوت في سلوخِ الطير في بلدٍ قفر
حواها بُغاثٌ: شرُّ طيرٍ علمتها
وسُلاءُ ليست من عقابٍ ولا نسرِ

وعليها قال:

أُتيح له من أرضه وسمائه
هبيرةُ ورَّاد المنايا على الزَّجرِ

وعليها من الطويل المقبوض العروض صحيح الضرب قال دريد:

فإن تنج يدمى عارضاك فإننا
تركنا بنيك للضباع وللرُّخم
جزيتُ عياضًا كُفره وعقوقه
وأخرجته من المدفأة الدهم
ألا هل أتاه ماركبنا سراتهم
وما قد عقرنا من صفيٍّ ومن قرمِ

وأصبحن قد جاوزن أسفل ذي حسا

وآثارها فوق المصيخ كالرقمِ

وعلى هذه الصورة قال الشاعر:

وإني دعوت الله لَمَّا كفرتني

دعاءً فأعطاني على ما قطٍ ختمي

وعلى هذه الصورة نفسها قال الشاعر:

وعوراء من قيل امرئٍ قد رددتها

بسالمة العينين طالبةٍ عذرًا

ولو أنني إذ قالها قلت مثلها

وأكثر منها أورثت بيننا عمرًا

فأعرضت عنها وانتظرت به غدًا

لعلَّ غدًا يبدي لمنتظر أمرًا

وقلت له عد للأخوة بيننا

ولم أتخذ ما كان من جهله قمرا

لأخرج ضبًّا كان تحت ضلوعه

وأقلم أظفارا أطال بها الحفرا

وعلى هذه الصورة قال الشاعر:

إذا كنت في سعدٍ وأمك منهمُ

غريبًا فلا يغررك خالك من سعد

فإنَّ ابن أختِ القوم مصغي إناؤه

إذا لم يزاحم خاله بأبٍ جلدِ

وعليها قال الشاعر:

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه

فطيب تراب القبر دلَّ على القبر

وقال على العروض المقبوضة والضرب الصحيح من الطويل:

فإن تنسني الآجال نفسي حمامها

فإن ورائي أن يفندني أهلي

ويصبح هاديَ العصا حين اغتدى

ويسلمني من بعد حنكته عقلي

ويأمن أعدائي شباتي ولم أكن

لأرأم ذُلاً ماهدت قدمي نعلي

وعلى هذه الصورة قال دريد:

وإني أخوهم عند كل ملمّة

إذا متُّ لم يلقوا أخًا لهم مثلي

تجود لهم نفسي بما ملكت يدي

ونصري فلا فحش عليهم ولا نجلي

ومولى دفعت الدرأ عنه تكرُّمًا

ولو شئت أمسي وهو مغضٍ على تبلِ

ولكنني أحمي الذّمار وأنتمي

إلى سعي آباءٍ نموا شرفي قبلي

البحر البسيط

واحد من البحور ذات تنويع النغم؛ حيث تتكون نغمته من اجتماع تفعيلتي بحر الرجز «مستفعلن» «- -ب-» «ونغمة المتدارك» «-ب-»؛ ولا تكتمل نغمته إلا باجتماع هاتين التفعيلتين معًا في وحدة واحدة مركبة منهما، ثم يتم تكرار تلك النغمة المركبة، على أن يتكون شطر البيت من الوحدة المركبة كالآتي في كل شطر:

«مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن» مرتين في كل شطر.

ويأتي البسيط تامًّا ومجزوءًا ومشطورًا، وسنلقي الضوء على صوره التي جاءت في شعر دريد ابن الصمة:

الصورة الأولى: العروض مخبونة والضرب مخبون:

والخبن في الاصطلاح العروضي يعني إزالة ساكن السبب الخفيف في أول التفعيلة، أو بمعنى آخر، إزالة الساكن الأول في التفعيلة، وهذا الزحاف يدخل في تفعيلتي فاعلن ومستفعلن، فيحول فاعلن «–ب–» لتصير «ب ب–»، ويحول مستفعلن «– –ب–» لتصير متفعلن «ب–ب–»، وهذا الزحاف يدخل حشو البيت، لكنه يصير مجرى العلة، إذا جاء في العروض أو الضرب.

وعلى هذه الصورة جاء قول الشاعر:

يا هند لا تنكري شيبي ولا كبري
فهمّتي مثلُ حدِّ الصارم الذكر

ولي جنانٌ شديدٌ لو لقيتُ به
حوادث الدهر ما جارت على بشر

فما توهّمت أني خضت معركة
إلا تركت الدما تنهلُ كالمطر

كم قد عركت مع الأيام نائبة
حتى عرفتُ القضا الجاري مع القدر

عُمري مع الدهر موصول بآخره
وإنما فضله بالشمس والقمر

ويلٌ لكسرى إذا جالت فوارسنا
في أرضه بالقنا الخطيّةِ السُّمرِ

أولاد فارس ما للعهد عندهم
حفظٌ ولا فيهم فخرٌ لمفتخر

يمشون في حلل الديباج ناعمةً
مشي البنات إذا ما قمن في السحر

ويوم طعن القنا الخطيّ تحسبهم
عانات وحشٍ دهاها صوت منذعر

غدًا يرون رجالاً من فوارسنا
إن قاتلوا الموت ما كانوا على حذر

خلقت للحرب أحميها إذا بردت
وأجتني من جناها يانع الثمر

ياآل عدنان سيروا واطلبوا رجُلاً
مثاله مثل صوت العارض المطر

قد جدَّ في هد بيت الله مجتهدًا
بعزمةٍ مثلِ وقع الصارم الذَّكر

وعن قليل يلاقي بغيه ويرى
حربًا أشدَّ عليه من لظى سقرِ

ويبتلى برجالٍ في الحروب لهم
بأسٌ شديد وفيهم عزمُ مقتدر

والموت حُلو لما لاقت شمائلهم
وعند غيرهم كالحنظل الكدر

والناس صنفان هذا قلبه خزفٌ
عند اللقاء وهذا قُدَّ من حجر

وعلى هذه الصورة من البسيط المخبون العروض والضرب، فقال في عجزه وكبره:

أصبحت أقذف أهداف المنون كما
يرمي الدريئة أدنى فوته الوتر

في منصف من مدى تسعين من مائة
كرمية الكاعب العذراء بالحجر

في منزل نازحٍ م الحيِّ منتبذٍ
كمربط العير لا أدعى إلى خبرِ

كأنني خربٌ قصَّت قوادمه
أو جُثَّةٌ من بُغاثٍ في يدي هصرِ

يُمضون أمرهم دوني وما فقدوا
مني عزيمة أمرٍ ما خلا كبري

ونومة لست أقضيها وإن متعت
يومًا مضى قبل من شأوي ومن عمري

وإنني رابني قيد حبست به
وقد أكون وما يُمشى على أثري

إنَّ السنين إذا قربن من مائة
لوين مِرَّة أحوالٍ على مررِ

وعلى هذه الصورة قال الشاعر:

أبلغ نعيمًا وأوفى إن لقيتهما
إن لم يكن كان في سمعيهما القسمُ

فما أخي بأخي سوءٍ فينقصه
إذا تقارب بابن الصارد القسمُ

ولن يزال شِهابًا يستضاءُ به
يهدي المقانب ما لم تهلك الصِّمَمُ

عاري الأشاجع معصوب بلمته
أمرُ الزعامة في عرنينه شممُ

وعلى هذه الصورة هجا دريد بن الصمة عبد الله بن جدعان التميمي فقال:

هل بالحوادث والأيام من عجب
أم بابن جُدعان عبد الله من كلبِ

استٌ خميتٌ وهي في عِكمْ رتبه
في يوم حرٍّ شديد الشر والهربِ

إذا لقيت بني حربٍ وإخوتهم
لا يأكلون عطين الجلد والأهبِ

لا ينكلون ولا نشوي رماحُهمُ
من الكُماةِ ذوي الأبدان والجببِ

فاقعد بطينًا مع الأقوام ما قعدوا
وإن غزوت فلا تُبعد من النصب

فلو ثقفتك وسط القوم ترصدني
إذًا تلبَّس منك العرض بالحقب

وما سمعت بصقرٍ ظل يرصُده
من قبل هذا بجنب المرج من خرب

الصورة الثانية:

عروض مخبونة والضرب مقطوع:

أشرنا إلى الخبن في الصورة الفائتة، أما القطع في الاصطلاح العروضي فيطلق عليه إزالة الساكن الأخير أو إسقاطه وتسكين ما قبله؛ إذ تتحول فيه فاعلن «- ب-» إلى «--»، وتصير فعْلُنْ، وعلى هذه الصورة جاء من شعره في كبره:

مازلتُ أبصر حبل الدهر أرقبه
حتى فنيت وحبلُ الدهر ممدود

أقدِّم العُود قدَّامي فأتبعه
وقد أراني ولا يمشي بي العود

وعلى هذه الصورة قال الشاعر:

شلَّت يميني ولا أشرب معتّقةً
إذ أخطأ الموتُ أسماء بن زنباعِ

وعليها قال يرثي أخاه عبد الله:

أبا ذفافة من للخيل إذ طُردت
فاضطرها الطَّعنُ في وعثٍ وإيجاف

يا فارس الخيل في الهيجاء إذ شُغلت
كلتا اليدين دروًا غير وقَّافِ

عير الفوارس معروفٌ بشكته
كافٍ إذا لم يكن من كربةٍ كافي

وقد قتلت به عبسًا وإخوتها
حتى شُفيت وهل قلبي به شافي

الصورة الثالثة: العروض مقطوعة والضرب مقطوع:

وقد أشرنا للقطع في الاصطلاح العروضي بأنه إسقاط الساكن الأخير وتسكين ما قبله؛ لتصير فاعلن «- ب-»، وتتحول إلى «- -» فعلن، وتصبح كالآتي

مستفعلن فاعلن مستفعلن فَعْلُنْ في كل من الشطرين

وعلى هذه الصورة ورد:

يا خالدًا خالدَ الأيسار والنادي
وخالد الريح إذ هبت بصُرَّادِ

وخالد القولِ والفعل المعيش به
وخالد الحرب إذ عضَّت بأزرادِ

وخالد الركب إذ جدَّ السِّفارُ بهم
وخالد الحيِّ لما ضُنَّ بالزاد

وعلى هذه الصورة قال الشاعر:

هل مثل قلبك في الأهواء معذور
والحبُّ بعد مشيب المرء مغرور

قد خفَّ صحبي وأشكوني وأرَّقني
خودٌ تُربِّبُها الأبواب والدور

لما رأيت بأن جدُّوا وشيَّعني
يوم الصبابة والمنصور منصورُ

واكبتهم بأمون جسرةٍ أُجدٍ
كأنها فدنٌ بالطين ممدور

وجناء لا يسأم الإيضاع راكبه
إذا السراب اكتساه الحزنُ والقور

كأنها بين جنبي واسطٍ شببٌ
وبين ليانَ طاوي الكشح مذعورُ

يا آل سفيان مابالي وبالكم
أنتم كبيرٌ وفي الأحلام عُصفُورُ

يا آل سفيان مابالي وبالكم
هل تنتهون وباقي القول مأثورُ

هلا نهيتم أخاكم عن سفاهته
إذ تشربون وغاوي الخمر مدحورُ

إنّ امرءًا بات عمرو بين صرمته
عمرو بن سفيان ذو السيفين مغرورُ

لا أعرفن لِمَّةً سوداء داجيةً
تدعو كلابًا وفيها الرمح مكسور

إذا غلبتم صديقًا تبطشون به
كما تهدّم في الماء الجماهيرُ

وأنتم معشرٌ في عرقكم شنجٌ
بُرخُ الظهور وفي الأستاه تأخيرُ

يا آل سفيان إني قد شهدتكم
أيام أُمكمُ حمراء مئشيرُ

لن تسبقوني ولو أمهلتكم شرفًا
عقبي إذا أبطأ الفُححُ المخاصيرُ

إلى الصَّراخ وسربالي مضاعفةٌ
كأنها مُفرطٌ بالسَّيِّ ممطورُ

بيضاء لا ترتدى إلا لدى فزعٍ
من نسج داود فيها السَّكُّ مقتورُ

منتطِقًا بحُسامٍ غير مصلعةٍ
عضب المضارب فيه السُّمُّ مذرورُ

وعادل مارنٍ صُمٍّ معاقمه
فيه سنانٌ حديد الحدّ مطرورُ

قد علم القوم أني من سراتهمُ
إذا تقبَّض في البطن المذاكير

إذا طردنا كسونا الخيل أنضيةً
وإن طُردنا كأنا خلفنا زُورُ

قومٌ إذا اختلف الهيجاء واختلفت
صُبُرٌ إذا عرَّد الغُزلُ العواويرُ

وقد أروع سوام القوم ضاحيةً
بالجرد يُركضها الشُّعثُ المغاويرُ

يحملن كل هجانٍ صارمٍ ذكرٍ
وتحتهم شُزَّبٌ قَبٌّ مضاميرُ

أو عدتمو إبلي كلاً سيمنعها
بنو غزيَّة لاميل ولا صُورُ

كأنّ ولدانهم لما اختلطن بهم
تحت العجاجة بالأيدي العصافير

تنجو سوالفُها من ساطعٍ كدرٍ
كما تجلّت الوعثَ اليعاميرُ

الحواشي

١. فن الشعر:٦.
٢. العقد الفريد:٣/١٤٣.
٣. موسيقا الشعر العربي بين الثبات والتطور:١٩.
٤. موسيقا الشعر:١٧.
٥. الشعر والنغم :٧.
٦. أمل دنقل شاعر على خطوط النار:٢٢١.
٧. الوعي والفن:٧٤.
٨. المصدر السابق:١٨.
٩. موسيقا الشعر بين الثبات والتطور:١٨.
١٠. موسيقا الشعر بين الثبات والتطور:١٨.
١١. دعوى إلى الموسيقا:٤٥-٤٦.
١٢. إحياء علوم الدين:٦/ ١٤٧.
١٣. الأغاني:١٠/٣،و إمتاع الأسماع:١/١ ٤٠
١٤. الأغاني:١٠/٤٢٣.
١٥. محاضرات الأدباء:٢/١٩٩.
١٦. صبح الأعشى وصناعة الإنشا:١/٤٩.
١٧. بلوغ الأرب:٣/١٥٨.
١٨. الأغاني:١٠/٣، والروض الأنف:٢٨٧، و تاريخ ابن عساكر:٢/٢٢٥، المغازي والسير:٣/٨٨٦، الإمتاع:١/٤٠١
١٩. المعمرون والوصايا:٢٧.
٢٠. التنبيه والإشراف.
٢١. الإمتاع:١/٤٠١، والمغازي:٣/٨٨٦.
٢٢. الروض الأنف:٢٧٨.
٢٣. الأغاني :١/٣.
٢٤. فحولة الشعراء: ٣٠٠.
٢٥. المصدر السابق:٤٠.
٢٦. الأغاني:١٠/٣.
٢٧. المصون:١٧٤.
٢٨. فحولة الشعراء:٤٠
٢٩. المحاسن والمساوئ: ٢/١٦٣.
٣٠. المصدر السابق: ٤٠
٣١. أنغام الشعر العربي:١/١١٤، الكافي :١.
٣٢. البارع:١٠٧:،أنغام الشعر العربي:١/١١٤، رؤى عروضية،:٢٧.

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر:

١. **ديوان دريد بن الصمة**، لدريد بن الصمة، تح د. عمر عبد الرسول.

ثانيًا: المراجع:

١. **الأغاني**، لأبي فرج الأصفهاني، ط. ساسي، بولاق،د.ت.
٢. **أنغام الشعر العربي**، للدكتور حسن مغازي، دار الثقافة العربيةج١ ،ج٢.
٣. **إمتاع الأسماع**، للمقريزي، تح.أ.د. أحمد عبد الدايم.
٤. **البارع في العروض**، لابن القطاع، تح.أ.د. أحمد محمد عبد الدايم.
٥. **بلوغ الأرب**، للآلوسي، بعناية محمد بهجت الأثري١٩٢٥م.
٦. **رؤى عروضية**، محاولة نحو تبسيط العروض، للدكتور محمد أبو الفضل بدران.
٧. **الروض الأنف**، لأبي القاسم السهيلي، ط ١٢٣٣٢هـ.

تجليات الواقع الاجتماعي

في شعر يحيى بن حكم الغزال

د. خالد لفتة باقر
جامعة الحديدة - اليمن

أديب من أدباء القرن الثالث الهجري في الأندلس»، وشاعر كبير من شعرائها، احتل مكانًا مهمًا في المظان القديمة في الأندلس والمشرق، فقد أثنى عليه الحميدي في (جذوة المقتبس)، وأشاد بمكانته، وعلو كعبه، وتفوقه على أقرانه في الشعر؛ إذ يقول: «رئيس، كثير القول، مطبوع النظم في الحكم والجد والهزل، وهو مع ذلك جليل في نفسه وعلمه ومنزلته عند أمراء بلده»[1]، وأورد له بعضًا من شعره، الذي يشكل صورًا من موقفه ورؤاه المختلفة، وخصه الدكتور إحسان عباس برأي طريف وفريد، إذ يقول فيه «كان شاعر الأندلس المقدم على شعراء هذه الفترة جميعًا»[2]. (يقصد شعراء القرن الثالث الهجري)، ولعل أطرف ما قيل في حقه من تحديد معالم شخصيته الفنية، ومواهبه العلمية والإبداعية ما ذكره ابن حيان قائلاً: «كان الغزال حكيم الأندلس، وشاعرها وعرافها». وقد ذهب هذا المذهب، ورأى هذا الرأي الدكتور محمد رضوان الداية في كتابه (مختارات من الشعر الأندلسي)؛ إذ وصفه بأنه «كان منجمًا حكيمًا وشاعرًا مشهورًا»[3]، ولم تقتصر عناية الباحثين به على أهل الأندلس والمشرق من قدماء ومحدثين، بل تجاوزت ذلك إلى المستشرقين، وقد حذا أنخل كونثلث بالنثيا حذو ابن حيان في حكمه على الغزال؛ إذ قال: «كان رجلاً حكيمًا أرسله عبد الرحمن الأوسط في سفارة إلى بلاط ملك النورمانيين»[4]، وردد المقري كلام ابن حيان كله في كتابه نفح الطيب، ويستغرب ليفي بروفنسال من شخصية الغزال؛ إذ تثير هذه الشخصية دهشته، وتستأثر باهتمامه، حيث راح يقول: «إنَّ هذه الشخصية تبدو من أعجب شخصيات القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري)[5].

ويظهر أنَّ انطباع محمد خليفة التونسي عنه كبير؛ إذ تتجاوز شهرته حدودها الزمانية والمكانية قائلاً: «إنَّه يبدو من أعجب الشخصيات، حيث وضعناه بين الرجال في شتى العصور والبلاد والأمم»[6]، ومن أفق جيان، إحدى مدن جزيرة الأندلس المشهورة، طلع شهاب سعدها، وأشرق نجم أفقها (يحيى بن حكم الغزال) في سنة ١٥٠هـ، منحدرًا من قبيلة بكر بن وائل العربية، ويظهر أنه من أسرة ذات سيادة وشرف، فنشأ الغزال نشأة علمية، وتثقف ثقافة عالية، تجلَّتْ في

بلاغته الشعرية، وقد أكد ذلك القاضي عياض: إذ يقول: «كان الشاعر يحيى بن حكم الغزال بليغ الأندلس في زمنه»[٧]، ومع ذلك قد مال بطبعه إلى الشعر، اتخذه مثوًى ومنقلبًا، يرتاض فيه، فحفظ كثيرًا من نصوصه، واشتهر به اشتهارًا غلب على ذاته، فتصدر ديوان الشعر بين أقرانه، وإلى ذلك يشير الدكتور بدير متولي حميد إلى أنَّ «الغزال زعيم شعراء عصره»[٨]، وقد سبقه إلى ذلك ابن دحية في المطرب؛ إذ نعته ب «القاعد على كيوان، شاعر ذلك الأوان»[٩].

وتابعهم في ذلك دوزي فيقول: «كان من أشهر شعراء عصره، ويميزه بالنشيا عن زرياب المغني فيقول: «كان رجلاً من طراز غير طراز زرياب، وكان أصله من جيان، وكانوا يلقبونه بالغزال، لجماله، أرسله عبد الرحمن الأوسط في سفارة... ألهمته أشعارًا لطيفة جميلة»[١٠]، وهكذا عرف علماء عصره - ومن تابعهم في العصور اللاحقة - فضله وقدره، كما سجّل المحدثون إعجابهم بمقدرته اللغوية والنقدية، وأشادوا بمواهبه وبراعته في النظم، فهو «شاعر متمكن ذو مقدرة تعبيرية أدبية عالية»[١١]، ومن الآراء غير السديدة التي لا يمكن الاعتداد بها ما يراه غارسيه غومس من أن «السر في امتياز الغزال لا يعود إلى براعته في الشعر، بقدر ما هو بسبب حياته الخاصة والطريقة التي كان يحياها»[١٢].

ومن هنا تأتي هذه الدراسة؛ لتعالج نزعة الشاعر الحياتية، ونظرته الأخلاقية، ونقده الاجتماعي، ومواقفه الفلسفية والحكيمة، لكثير من قضايا مجتمعه فقد كان «يحيى الغزال شاعرًا وفيلسوفًا وسياسيًّا»[١٣]، وهو زعيم من زعماء المنظوم، «وكان مشهورًا في الشعر والحكمة»[١٠]، ويعد من أهل الطبع بين أهل الأندلس، وبعد هذا العرض لبعض ما قيل في الغزال ومنزلته العلمية والأدبية واللغوية يأتي ميدان مناقشة مواقفة من الظواهر الاجتماعية الشاذة، التي تجلّت في شعره، في ضوء نقده اللاذع لهذه الأمور منها: الزواج، والكسب المادي غير المشروع، والنفاق، والرياء، والحيل والمكر، والمخادعة، وغير ذلك من ظواهر يأباها ذوقه وتتعارض مع خلقه وميوله الأصلية.

إنَّ من يستقرئ شعر الغزال لابد أن تستوقفه رؤيته الاجتماعية، ونظرته الأخلاقية، ولمحاته الحكيمة، بل الفلسفية، ولا سيما أنه قد امتد به طلق العمر حتى بلغ المائة (١٥٠هـ-٢٥٠ هـ)، وقيل (١٥٦هـ-٢٥٦هـ)، وقد أكّد ذلك في شعره[١٤]:

ألست ترى أنَّ الزمان طواني
وبدَّل خلقي كُله وبَراني

تحيّفني عُضوا فَعضوًا فلم يدع
سوى اسمي صحيحًا وحدَه ولِساني

ولو كانت الأسماء يدخلها البلى
لقد بلي اسمي لامتداد زَماني

ومالي لا أبلى لتسعين حجة
وسبع أتت من بعدها سنتانِ

إذا عنَّ لي شخصٌ تخيَّل دونَه
شبيه ضَباب أو شبيهُ دُخانِ

وليس ثمَّة شاعر في هذه المرحلة، أو المراحل اللاحقة إلى نهاية الأندلس، يكتظ شعره في نقد

الأوضاع العامة أو الخاصة، كما فعل الغزال في هجائه زريابًا المغني الأثير عند عبد الرحمن الأوسط، أو نقده معاذًا ويُخامرَ القاضيين بصورة خاصة، أو ما رسمه لأوضاع المجتمع عامة، ولكي تخضع هذه الدراسة إلى أسس متينة، لابد من مراعاة تنظيمها في محاور أساسية؛ لرصد الحقائق التي أعرب عنها الشاعر للوقوف عند القيم السلبيَّة، أو متابعة ما هو إيجابي، واستشراف ملامح الضعف والهشاشة التي تنخر في صلب العلاقات الاجتماعية، ولكي تسلط الضوء على المواقف الإيجابية في شعره لا بد من تجلّي محور الهاجس القومي عنده:

الهاجس القومي :

لعل أهم أمر في شعر الغزال تشبثه بالقيم العربية السامية في تعامله مع الملك تيوفلس؛ إذ تجلّى ذلك عن عدم الخروج عن السنن العربية في أداء مراسيم التحايا أو غير ذلك، فقد كان فذًّا في لياقته، حصيفًا في لباقته، وقد أشار الدكتور عبد الرحمن زكي إلى ذلك بأنه «السفير الحصيف اللبق»[١٦].

إضافة إلى ذكائه وحضور بديهته،ودماثة خلقه، وتمثله للقيم والأعراف التي حرصت عليها قواعد اللياقة الإسلامية[١٧] في رفضه الانحناء للملك، والتشبث بالانتماء العربي الإسلامي، الذي تمخض عنه نتاجه الشعري على الصعيد الموضوعي والفني، وقد ظل النموذج التراثي واضحًا في نتاجه، يستحضر البيئة العربية أداءً وفنًّا، ويمثل البعد المكاني أهم إجراء ذاتي في شعره، وليس غريبًا أن يتشبث بذكر هذه الأماكن كالنخيلات يحنّ إليهن، ويهيم بهن عشقًا؛ لاغترابه عنهنّ، أو ربَّما جريًا على عادة الشعراء القدماء في الوقوف على الأطلال، وهي سنة قديمة: إذ يقول[١٨]:

ريع قلبي لمّا ذكرتُ الدّيارا
وتنورتُ بالنُّخيلات نارًا

وازدهتني ذاتُ السَّنا ببرْوق
من لظاها فما أطيق اصطبارًا

والقريحُ الفؤادُ يزدادُ للنار
وميضُ السعير منها استعارا

وانطلاقًا من محور العلاقة القائمة بين المكان الذي يقيم فيه المحبوب والمحبوبة نفسها يكون منفذًا للتعبير عن حجم المعاناة الداخلية عند الشاعر، وهكذا - مرّة أخرى- تبقى قرطبة حلمًا تعلق بقلب الشاعر، تتراوح مفرداته بين الشوق والجد النأي عنها، والتمني لها بالسقيا، ويلجأ الغزال إلى الألفاظ التقليدية في رسم الصورة الشعرية، بأسلوب تغلب عليه الرقة وانسياب النغم الموسيقي، وبما تحمله سحائب المزن من دلالات رمزية إيحائية، كما توضحه الصورة الآتية[١٩]:

كتبت وشوقٌ لا يفارق مهجتي
ووجدي بكم مستحكمٌ وتذكري

بقرطبة قلبي وجسمي ببلدة
نأيت بها عن أهل ودّي ومعشري

سقى الله من مزن السحاب ثرَّة
دياركم اللاتي حوت كلَّ جؤذرِ

بحق الهوى إقرَ السلام على التي
أهيم بها عشقًا إلى يوم محشري

لئن غبتُ عنها فالهوى غيرُ غالبِ
مُقيمًا بقلبِ الهائمِ المتفطّر

إذًا يصبح المكان البعيد مدعاة للزخم النفسي الدفين، والمعاناة صعبة يبثها الشاعر، تشكل صيغة أمنية الإقامة في هذه الديار؛ إذ تتكرر في أكثر من بيت؛ لتعبر عن قمة الأزمة التي لا يمكن التخلص منها، إلا بقرب من يحبُّ، فالقلب متعلق بقرطبة، فالجسم في بلد، والروح في بلد، ولئن غاب عنها، فلهوى مقيم في وجدان الشاعر، ينحت في ضميره، حيث توفر الإقامة في قرطبة نوعًا من التوازن النفسي، والإحساس الغامر، الأمر بتفريق شحنة التوتر التي يكابدها الشاعر.

وعلى الرغم من عدم التزامه مدح الأمراء كما هي الحال مع ابن درَّاج القسطلي، إلا أنه تتجلى في شعره صورة أخرى من التزامه بالخلافة التي تمثل عنده النموذج الديني؛ إذ أعرب عن ذلك بقصيدته البائية التي قالها وهو في السجن، على أثر سوء تصرفه بالأمور التي أوكلت إليه مهمة إدارتها؛ إذ يقول[٢٠]:

بعض تصابيك على زينب
لا خيرَ في الصبوة للأشيب
أبعد خمسين تقضيتها
وافية تصبو إلى الربرب
من مبلغ عني إمام الهدى
الوارث المجد أبًا عن أب
إني إذا أطنب مداحهُ
قصدت في القول فلم أطنب
لا فكَّ عني الله ان لم تكن
أذكرتنا من عمر الطيب
وأصبح المشرق من شوقه
إليك قد حنّ إلى المغربِ
منبره يهتف من وجده
إليك بأسهل وبالمرحبِ طرّ
هفا به الوجد فلو منبر
لوا في خطفه الكوكب
إلى جميل الوجه ذي هيبة
ليست لحامي الغابة المغضب
لا يمكن الناظر من رؤية
إلا التماح الخائف المذنب

وجاء في نهايتها:

إن ترد المال فإني امرؤ
لم أجمع المال ولم أكسب
إذا أخذت الحق مني فلا
تلتمس الربح ولا ترغب
قد أحسن الله إلينا معًا
إن كان رأس المال لم يذهب

لقد استهل الشاعر قصيدته بمقدمة غزلية، جريًا على عادة الشعراء القدماء، وهو أمر طبيعي، ويدخل الشاعر -منذ البيت الأول- في حوار مع ذاته فيقول (بعض تصابيك على زينب...) و(أبعد خمسين تقضيتها...)، وبهذا نجده يسهب في

أوصاف زينب؛ ليتحول إلى موقف آخر يتصل بعلاقته مع الأمير، فيثني عليه بالقيم الدينية كالإمامة مثلاً، مشبهًا إياه بالخليفة عمر بعدله ورأفته وهيبته.

وعلى الرغم من وضوح لغة القصيدة، وانسياب نغمتها، إلا أنّه تعامل مع ظاهرة التكرار منذ بداية القصيدة؛ إذ كرر (لم) ست مرات و (لا) ثلاث مرات؛ ليقرر المعنى ويؤكده في نفس القارئ، وليربط أجزاء الصورة بعضها مع بعض.

ولعل أبرز دليل على تبرئته ما رسمه لنفسه من الاعتماد على المنطق في بيان براءته مما قذف به من أخذه المال، وهو يقدم على الجدل بين أمرين:

إن تـــرد المال فـــإني إمـــرؤ
لم أجـــمـــع المال ولم أكسب

إذا أخـــذت الحق مـــنـــي
فـلا تـلـتـمس الـربـح ولا تـرغب

فالعلاقة هنا ليست علاقة تماثل للتقابل فقط، وإنما هي علاقة جدل قائمة بين أمرين، لا بد أن يتصارعا، فالصورة - هنا - متضادة، لا تعتمد على التشبيه والاستعارة، إنما تعتمد - أكثر ما تعتمد - على حالة ضعف تصارع حالة قوة، وتستند على معاناة الإنسان من جراء هذا، حيث يدفع عن نفسه دفعًا إلى أن يقول بروح فكاهية بعيدة عن التذلل والاستشفاع:

قـد أحسـن الـلـه إلـيـنـا مـعًـا
إن كـــان رأس المال لم يـــذهب

رؤيته الاجتماعية:

ظل النموذج الاجتماعي ماثلاً أمام عينيه، وأصبح ملمحًا بارزًا في شعره، ومن هذا المنطلق يمكن القول إنّ الهاجس الاجتماعي من أهم عناصر رؤيته، وقد وردت نماذج كثيرة في ديوانه، تعرب عن عميق تجاربه الحياتية، بسبب طول المدة التي قضاها الشاعر، حتى سئم الحياة كما أشرنا قبل قليل.

ومن هنا نقول إننا لسنا مغالين في القول إنَّ من يعش مثل هذا العمر المديد لا بد أن يكون قد خبر الحياة، ورصد علاقات الناس، ويرسم ملامح مجتمعة، ولا سيما الجانب المتدني فيه، فقد لاحظ أنّ علاقات الناس مبنيَّة على الحيل والمكر والخداع وانتهاز الفرص كما عبر عنها بقوله[٢١]:

لا ومَـنْ أعْـمَـلَ المطـايـا إلـيـه
كـلُّ مَـنْ يـرتجي إلـيـه نصـيـبـا

مـا أرى هـا هـنـا مـن الـنـاسِ
إلا ثـعـلـبـا يـطلبُ الـدجاجَ وذيـبـا

أو شـبـيـهًـا بـالـقـطِّ بـعـيـنـيـه
إلى فـأرةٍ يُـريـدُ الـوثُـوبـا

وتمكن الشاعر من خلال زخم تجاربه العميقة أن يصوِّر مجتمعه بما يكتظُّ به من تفاصيل الحياة المختلفة كإيثار المادة على الاعتبارات والقيم النبيلة الأخرى، وليس ثمة من شك أنَّ هذا «ينبئ عن عمق وعي وقوة إدراك لعيون الناس، ونقائض الحياة، مما وصل بالشاعر إلى التشبع بروح السخرية وقوة الإحساس بالمرارة، بل إلى التشاؤم الذي حال كثيرًا بين عيني الرجال، وما في الناس والحياة من خير»[٢٢].

ويمضي الغزال في سرد مسوغات قصة زواج

فتاة من شيخ ثري أو شاب فقير، فقد عبر عن شدة رفضه للمال الذي استعبد الناس، ودانت له الرقاب، متكئًا على أسلوب قصصي فكاهي طريف، تمثل في هذه الأبيات[٢٣]:

وخيرها أبوها بين شيخ
كثير المال أو حدث صغيرِ

فقالت: خطتا خسف، وما إن
أرى من خطوةٍ للمستخير

ولكن إن عزمت فكل شيء
أحب إليَّ من وجه الكبير

لأنَّ المرء بعد الفقر يثري
وهذا لا يعود إلى صغيرِ

انظر كيف استطاع أن يرسم هذه الصورة بأسلوب منطقي أخّاذ وآسر بما فيه من تجديد موضوعي، وتجويد فني، وللنظر إلى نموذج آخر يمثل نظرة الغزال الحكيمة تجسد في قوله[٢٤]:

قالت أحبُّك قلت كاذبةٌ
غُري بذا من ليس يُنتقدُ

هذا كلام لست أقبلهُ
الشيخ ليس يُحبُّه أحد

سيان قولك ذا وقولك إنَّ
الرِّيح نعقدها فتنعقدُ

أو أن تقولي النارُ باردةٌ
أو أن تقولي الماءُ يتقدُ

ما أكثر ما يبدع الغزال من الصورة المبتكرة، بأسلوب قصصي، وألفاظ ذات دلالات موحية بالجمال فقوله: (الشيخ ليس يحبه أحد) لمحة حكيمة فيها صدق التجربة، وبساطة التعبير، وقوله: (الرِّيح نعقدها فتنعقدُ)صورة فيها الابتكار والخيال[٢٥]:

نقد القضاة:

وراح الغزال يتتبع تجاوزات بعض الفقهاء غير الصالحين، وممارساتهم عن كثب فهاجمهم، وأخذ يرميهم بلاذع هجائه، وينتقدهم في مثل قوله[٢٦]:

يقول لي القاضي معاذُ مشاورًا
امرءا فيما يرى من ذوي الفضل

فديتك ما تحسبُ المرء صانعًا
فقلت: وماذا يصنع الدُّبُّ بالنحلِ

يدقُّ خلاياها ويأكل شهدها
ويترك للذِّبان ما كان من فضلِ

تلك هي اللوحة الهجائية الساخرة والمثيرة للضحك معًا، بما احتوت عليه من كشف فساد هذا القاضي، وفضح سرقاته، بطريقة إيجابية مؤثرة، لا تخلو من جمال في الشكل والحركة، بما انطوت عليه من نكتة وسخرية مرة، متّخذًا علاقة الدب بالعسل كمنطلق لبيان علاقة القاضي بالمال.

وفي نموذج آخر عرض علينا الغزال زيف الصورة التي يظهر بها بعض القضاة على الناس؛ إذ يتظاهرون بالورع والتدين، بيد أنهم كانوا يخدعون الناس، ويسعون إلى كسب المال واكتنازه، وقد عبر الشاعر عن معاناته وتبرمه بهؤلاء القضاة في قوله[٢٧]:

قلت إذ كرر المقالة: يكفي

أنت أولى بدرهمي أم عيالي

لست ممن يكون يخدعه مثلك

فاعلم فأنت بهذه الأقوال

ما أؤدي الزكاة إلا كما

يُعصَرُ زِقٌ مُعَسَّل بالحبال

لقد جاءت أبيات الغزال هذه تحديًا فاضحًا لجباة الأموال، حيث نقد فيها بعض الفقهاء، ولم يأت هجاؤه لهذه الطبقة إلا بعد تجربة ومعايشة، فقد خالطهم بحكم طبيعة عمله بوصفه مستشارًا لعبد الرحمن الأوسط، فاكتشف من بينهم من كان يسعى للكسب غير المشروع، راح يعرض واقع الفقهاء، ويصفهم بالغنى الذي يستفسر عن مصدره، ومع ذلك فهم لا يعنون بمعاناة الناس، ولا يكترثون بمصائبهم، ولا تخلو قصائده من طابع التشهير والتنكيت والسخرية، لقد كانت الأبيات الآتية مصدر إلهام لكثير من الشعراء الذين جاءوا بعده، فالبوصيري حين عرّض بطائفة من رجال الدين في قصيدته التي منها:

ثكلت طوائف المستخدمينا

فلم أر فيهم رجلاً أمينا

كان يستوحي أشعار الغزل هذه[٢٨]:

لست تلقى الفقيه إلا غنيًا

ليت شعري من أين يستغنونا

تقطع البرّ والبحارَ طلابَ الر

زق والقوم هاهنا قاعدونا

إن للقومِ مَضْربًا عنًا

لم يُصب قصدَ وجههِ الراكبونا

ونستدل من صيغة التساؤل باستعمال أداة الاستفهام (أين) على تفاقم الأزمة، وتكرار شكوى الشاعر وتبرّمه بالفقهاء، داعيًا إلى وضع حدٍّ لهذه الأوضاع المتدهورة، وقد رفع الشاعر أصابع الاتهام نحو هؤلاء الفقهاء والقضاة، متهمًا إياهم بالفساد والاستئثار بالأموال، ومن اللافت للنظر أن نقد الغزال للقضاة وغيرهم نابع من تجربة عميقة، وخبرة كبيرة في فهم أسرار الناس، والوقوف على أساليبهم في ابتزاز الأموال، واختلاسها من أيدي الناس، إضافة إلى معاملتهم الناس بخلق صعب ومذهب وعر، فقد هجا الغزال القاضي يُخامر في مثل قوله[٢٩]:

فسبحان من أعطاك بطشًا وقُوةً

وسبحان من ولّى القضاء يُخامرا

وكان تهكم الغزال بالقاضي ممزوجًا بالحكمة، ومن هجائه قوله[٣٠]:

فقلت له كلفتني غير صنعتي

كما قلّدوا فضل القضاء يُخامرا

فأصبح قد حارت به طرق الهوى

يكابدُ لجيًا من البحر زاخرا

فقلت: لو استعفيت منها فقال لي:

سأفضح ما قد كان منك مغايرا

فقلت له: رأس الفضوح إقامة

علينا كذا من غير علم مكابرا

وخطبك في دين الإله على عمى

خياطة سكران تكلم سادرا

فلن تحمل الصخر ولن ترى

السلاحف يزجين السفين المواخرا

لقد انتقم الغزال من يُخامر انتقامًا شنيعًا، وذلك حين وصفه بالتيس ووصفه بالنقص وقصور الفهم، تلك هي اللوحة الهجائية الساخرة المثيرة للضحك في آن واحد، بما احتوت عليه من صفع قفا القاضي، لكن الشاعر تردد مخافة صولة الجائر، فهذا لعمري أقسى هجاء وأمره، وألذع نقد وأمضه، ولنستمع إليه يقول[٣١]:

لقد سمعت عجيبًا

من أبدات يُخامر

قرأ عليه غلام

طه وسورة غافر

فقال: من قال هذا؟

هذا لعمري شاعر

أردت صفع قفاه

فخفت صولة جائر

أتيت يومًا بتيس

مستعبرا متجاسر

فقلت: قوموا اذبحوه

فقال: إني يُخامر

لقد أوغل الشاعر في كشف فضائح القاضي، والصاق التهم به، كما أمعن في الطعن بالمهجو طعنًا مؤلمًا بالسخرية، لغرض إثارة الضحك، ولم يصدر هذا الشعر من الهجاء إلا عن التردّي الخلقي، والانحطاط الإداري، والتفسخ الاجتماعي، الذي أخذ يدب في نسيج العلاقات الاجتماعية بين الناس في تلك المرحلة، فاللوحة التي رسمها الغزال تمثل ضربًا من التهكم بالقاضي يُخامر، ولعل قيمتها الفنيّة تكمن في طرافتها، وجودة سبكها وجمالها في التشكيل والحركة، مع المبالغة في تهويل الصورة.

ومرة أخرى يعرض الشاعر علينا زيف الصورة التي يطل منها المراؤون على الناس، عندما يتظاهرون بالصلاح والدين سعيًا وراء تضليل العامة، بينما تنطوي نفوسهم على الفساد ونهب الأموال، تجلى ذلك في قوله[٣٢]:

ومراء أخذ الناس

بسمت وقطوب (مقلوب)

وخشوع يشبه السقم

وضعف الدبيب

قلت هل تألم شيئًا؟

قال: أثقال الذنوب

قلت لا تعن بشيء

أنت في قالب ذيب

إنما تبني على الوثـ

ـبة في حال الوثوب

ليس من يخفى عليه

خذل هذا بلبيب

فالمرائي - كما يصوره الغزال - رجل زائف، خداع يشبه الذئب بخداعه، لا يؤمن مكره، ولم يقف هجاء الغزال لهؤلاء القضاة والفقهاء والمرائين، بل تعداه إلى عامة الناس، فإذا أخلف أحد وعده، وحاول تسويف الأمر بالمماطلة انصب عيله بلاذع هجائه، من ذلك قوله[٣٣]:

أنجز فديتك ما وعدت فإن لي
في المطل والإنجاز قولا حاضرا
واعلم بأن من الحزامة للفتى
أن لا يرد بغير نجح شاعرا

وفي ضوء ما تبين من تجاربه السابقة نجد أن القيم العربية الأصيلة تمثل رؤيته وطموحه، بينما رفض الأوضاع المتردية والعادات الزائفة في ذلك المجتمع، وفي البيتين اللذين صور لنا فيهما إخلاف الوعد، قد عمقت شعورنا بلؤم هذا الرجل، وذكرتنا بمواعيد عرقوب، التي ذكرها علقمة بن عبدة الفحل في قصيدة[٣٤]:

لقد وعدتك موعدا لو وفت به
كموعود عرقوب أخاه بيثرب

هجاء العامة ونقدهم:

وممن رماهم الشاعر بهجائه شخص اسمه أبو حازم، فتأمل كيف استطاع الغزال أن يثير فينا الضحك من خلال هذه الصورة، التي رسمها لمهجوه في قوله[٣٥]:

سألت في النوم أبي آدما
فقلت والقلب به وامق
ابنك بالله أبو حازم؟
صلى عليك الملك والخالق
فقال لي: إن كان مني ومن
نسلي فحوا أمكم طالق

الصورة في شكلها الخارجي العام هزيلة مثيرة للضحك والنكتة الطريفة، ولننظر إلى بعض نماذجه الأخرى، فقد جاءت قصيدته بمنزلة تشريح لجسم المجتمع، الذي لا يوجد فيه إنسان يؤمن جانبه، أو يوثق به، فقد عايش الغزال هؤلاء الناس وخبرهم واختلط بهم، وعانى معاشرتهم، وكابد سوء تعاملهم؛ إذ لا يوجد بينهم رجل صالح فيقول[٣٦]:

إذا أخبرت عن رجل بريء
من الآفات ظاهره صحيح
فسلهم عنه هل هو آدمي؟
فإن قالوا نعم: فالقول ريح
ولكن بعضنا أهل استتار
وعند الله أجمعنا جريح
ومن إنعام خالقنا علينا
بأن ذنوبنا ليست تفوح
فلو فاحت لأصبحنا فرادى
هروبا بالفلا ما نستريح
وضاق بكل منتحل صلاحا
لنتن ذنوبه البلد الفسيح

ففي هذه الأبيات يعرض الغزال واقع الناس، ويصفهم بكثرة الذنوب، مشيرا إلى آلاء الله بستر العيوب، بعد كل ذلك ينتقل بنا إلى تصوير حاله حين كان يتضور جوعًا، بسبب فقره، وضيق ذات

تجليات الواقع الاجتماعي في شعر يحيى بن حكم الغزال

يده، متمنيًا أن يذهب إلى الجحيم مخافة الفقر، وقد تقلب الغزال بين اليسر والعسر، وحينما تشتد عليه وطأة الزمن، يطيل شكواه منه في مثل هذه الأبيات[٣٧]:

إني حلبت الدهر أصناف الدرر
فمرة حلو وأحيانًا مقر
وعلقمًا حينًا وأحيانًا صبر
وجل ما يسقيكه الدهر كدر
فلم أجد شيئًا من الفقر أمر
إلا ترى أكثر من فيها يفر
مخافة الفقر إلى نار سقر

ويرسم صورة أخرى نابعة من حكمته، بل تكشف عن تبرمه بالحياة، حتى صار يرى أن المال الحلال لا ينمو، وأن صاحبه دائمًا مجهد من كثرة تنقله صيفا وشتاء، فيقول[٣٨]:

طالب الرزق الحلال لا يقر
نهاره وليله على سفر
في الحر والبرد وأوقات المطر
وماله في ذاك نزر محتقر
إن الحلال وحده لا يختمر
أين ترى مالا حلالا قد ثمر

وخلاصة القول: لقد أوغل الغزال في كشف الذنوب والفضائح، لأنها تكشف عن مظهر من مظاهر التردي الخلقي، الذي ينخر في صلب العلاقات الاجتماعية المتدهورة في ذلك الوقت، وقد أخذ الغزال من انشغال الناس عن عيوبهم، واستثقالهم اللمم الخفيف من نواقص غيرهم، مادة للتندر والسخرية بهؤلاء الناس، وفي هذا الخصوص تكمن قيمتها الفنية في طرافتها، وجدتها، وجودة سبكها، فالشاعر في هذه النصوص يعرض علينا واقع المجتمع، محاولاً تفخيم الصورة، بما كانت يقال في الناس من حقّ وباطل، فقد استطاع الغزال- بشكل دقيق ومحكم- أن يبين في هذه اللوحات الفريدة، والاستئثار بالأموال من لدن الفقهاء والقضاة، واتباعهم شتى الوسائل من أجل الحصول عليها، ونستطيع أن نقول : إنّ شعر الغزال يمثل سجلا أمينا لحياة الناس والمجتمع، وقديمًا قالوا الشعر ديوان العرب، لم يكن لهم علم أصح منه. ■

●●●

الحواشي

١- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس:٢٧٤.
٢- تاريخ الأدب الأندلسي:١٦٥.
٣- مختارات من الشعر الأندلسي:٥٥-٥٦.
٤- تاريخ الفكر الأندلسي:٥٥ - ٦٥.
٥- الإسلام في المغرب والأندلس: ٣٥.
٦- الشاعر الأندلسي، مجلة العربي: ع ٢١٢/ ١٣٥.
٧- الشفا بتعريف حقوق المصطفى:٢٧٥.
٨- قضايا أندلسية.
٩- المطرب في أشعار أهل الأندلس:١٤٤.
١٠- تاريخ الفكر الأندلسي:٥٥-٥٦.

١١- فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث الهجري:٩٧.

١٢- الشعر الأندلسي:٣١.

١٣- قافلة الزيت:٤٠.

١٤- تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي:١٦٢.

١٥- يحيى بن حكم الغزال:٢٠١.

١٦- مجلة الفيصل:ع١/٣٨.

١٧- السفارات الإسلامية إلى أوربا في العصور الوسطى:١١٣.

١٨- يحيى بن حكم الغزال:١٩٠.

١٩- المصدر السابق:١٩٤-١٩٥.

٢٠- المصدر السابق:١٧٦-١٧٨.

٢١- المصدر السابق:١٨٤

٢٢- الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة:١٦١

٢٣- يحيى بن حكم الغزال:١٩٢.

٢٤- المصدر السابق:١٨٨.

٢٥- الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة: ١٦٥.

٢٦- يحيى بن حكم الغزال:٢٠٤.

٢٧- المصدر السابق:٢٠٤-٢٠٥.

٢٨- المصدر السابق:٢١٠.

٢٩- المصدر السابق:١٩١.

٣٠- فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة:٢٢٥-٢٢٦.

٣١- المصدر السابق:٢٢٥-٢٢٦.

٣٢- يحيى بن حكم الغزال:١٩١.

٣٣- فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة:٢٢٢.

٣٤- شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل:٥٣.

٣٥- يحيى بن حكم الغزال:١٩٨.

٣٦- المصدر السابق: ١٨٦.

٣٧- المصدر السابق:١٩٦-١٩٧.

٣٨- المصدر السابق:١٩٦.

المصادر والمراجع

- الإسلام في المغرب والأندلس ، ل.أ. ليفي بروفنسال، تر. سالم وحلمي، مكتبة نهضة مصر.
- تاريخ الأدب الأندلسي، عصره سيادة قرطبة، للدكتور إحسان عباس، ط٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣م.
- تاريخ الأندلس السياسي والعمراني ، لعلي محمد حمودة، ط١، مصر، ١٩٥٧م.
- تاريخ الفكر الأندلسي، لأنخل كونثالث بالنثيا، تر. حسين مؤنس، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م.
- جذوة المقتبس في ذكر ولادة الأندلس، للحميدي، تح. محمد بن ناويت الطنجي، القاهرة، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م.
- الشاعر الأندلسي الغزال، لمحمد خليفة التونسي، مجلة العربي، ع٢١٢، س١٩٧٦م.
- الشعر الأندلسي، بحث في تطوره، لفارسية غومس، تر. حسين مؤنس لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ، ١٩٥٢م.
- فصول في الأدب الأندلسي، للدكتور حكمة علي الألوسي، مطبعة سمات الأعظمي، بغداد، ١٩٧١م.
- قضايا أندلسية، للدكتور بدير متولي حميد، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦٤م.
- مختارات من الشعر الأندلسي، للدكتور محمد رضوان الداية، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٦٩م.
- المطرب في أشعار أهل الأندلس، لابن دحية، تح. مصطفى عوض الكريم، طبعة مصر، الخرطوم،١٩٥٧م.
- يحيى بن حكم الغزال، للدكتور إحسان عباس، ط١، دار الافاق الجديدة، بيروت ، ١٩٧٩م.

البهيج في تاريخ الخليج
خلال القرن الأول الهجري
دراسة تاريخية موجزة

د.عبد الخضر جاسم حمادي
جامعة بابل - العراق

تمتد منطقة الخليج من البصرة شمالاً، إلى مدينة الشحر جنوبيًا، وتضم هذه المنطقة إقليمين مهمين لهما دور مهم في الأحداث السياسية، التي مرّت بالمنطقة، هما البحرين وعمان. وتشمل البحرين الاقليم الممتد على ساحل الخليج بين البصرة وعمان[1]، يحدّها من الشمال رأس الخليج العربي عند مدينة البصرة، وتدخل مدينة كاظمة في أطرافه الشمالية، ويحدها من الجنوب مدينة جلفار، التي تفصلها عن منطقة عمان. ويحد البحرين من الغرب منطقة الدهناء المتصلة باليمامة، ومن الشرق مياه الخليج العربي. أما عمان فإنّها تقع في الجنوب الشرقي لشبه جزيرة العرب، يحدها من الشمال إقليم البحرين، ومن الجنوب الشحر، التي تعدّ من ضمن عمان[2]، ومن الغرب الربع الخالي، ومن الشرق والجنوب الشرقي محاطة بمياه الخليج والبحر العربي، ولذلك قال الهمداني: إنها «منقطع التراب»[3]. إنّ تقسيم هذه المنطقة الواسعة إلى إقليمين أساسيين، هما البحرين وعمان، ينسجم مع الخارطة الجغرافية التي وضعها الجغرافيون العرب لشبه جزيرتهم عندما قالوا: إنّها تتكون من «أربع كور جليلة... أولها الحجاز ثم اليمن ثم عمان ثم هجر»[4].

وتنبسط أرض الخليج في الأقسام الشمالية، وتنحدر قليلا نحو الشرق؛ لتتصل مع حافات المياه، مكونة سهلاً ساحليًا طويلاً، يمتد من الشمال إلى الجنوب، وهي سهول سبخة تكثر فيها الأملاح والحجارة الملساء[5]، وتضيق كلما انحدرت إلى الجنوب، حيث تبدأ الجبال بالظهور والارتفاع لتشكل سلسلة جبلية تطل على مياه الخليج بشكل واضح في منطقة عمان، وقد وصف المسعودي هذه الجبال بأنها «جبال سود ذاهبة في الهواء، لا نبات عليها ولا حيوان فيها، يحيط بها مياه من البحر عظم قعرها، وأمواج متلاطمة تجزع منها النفوس»[6]، ومن هذه الجبال عطالة[7]، وحلحل، وحارث [8]، ومن جبال البحرين جبل باب والقارة ومتالع[9]، وتنتشر في محاذاة المنطقة الساحلية جزر عديدة، منها أوال وحوار وشنار[10]، وابن كاوان[11].

وتتصف هذه المنطقة بالمناخ الصحراوي وقلة الأمطار، ولا توجد فيها أنهار دائمة الجريان، فاعتمد السكان على العيون والآبار في إرواء مزارعهم، كعين الزارة ومحلم[12]، ولا ريب في أن مثل هذا المناخ الحار والزراعة القليلة تدفع السكان

إلى مزاولة الرعي والصيد، ولهذا قالوا: «حرها شديد وصيدها عتيد»[١٣] واعتمدوا أيضا على التجارة وبخاصة في منطقة عمان ومركزها صحار، التي تجمع «بها من التجار والتجارة ما لا يحصى كثرة»[١٤]. فأصبحت مهنتهم الرئيسة في المنطقة المطلة على البحر مزاولة النشاط التجاري، والعزوف عن الزراعة، فكانوا «يقطعون على المراكب ولازرع لهم»[١٥]، والراجح أن هذه الأنشطة التي زاولها السكان أثّرت بشكل أو بآخر في العوامل السياسية التي ظهرت في المنطقة.

السكان وانتشار الإسلام بينهم:

انتشر العرب في الخليج منذ عهود، قبل ظهور الإسلام، ويأتي هذا الانتشار منسجمًا مع حالة التنقل التي اعتادها العرب، وهم يسيحون في أرضهم. ومما لاشك فيه أنّ العامل الاقتصادي في طلب الرزق يأتي في مقدمة العوامل التي دفعت المجاميع البشرية لترحل من مكان إلى آخر، وحسب تغير الظروف المعيشية، ولذلك بدأت القبائل العربية بالاستقرار في البحرين، ومنها بكر ابن وائل وتميم والأزد[١٦]، أما أهم القبائل العربية التي استقرت في عمان فهي بنوسامة بن لؤي[١٧]، وبنو فهم[١٨]، والأزد، الذين شكلوا معظم السكان في عمان فكانوا «الأغلبين على عمان[١٩]».

إنّ وجود العرب في الخليج امتداد طبيعي لما كان منهم في اليمن والحجاز، ومن ثم يشكلون وحدة بشرية وتواصلاً اجتماعيًّا لا يعرف الانقطاع على الرغم من طول الزمن وبعد المسافة.

وبما أنّ طبيعة النشاط التجاري تستوجب وجود حالة الاستقرار والثبات النسبي للسكان، لذلك ظهرت المدن الكثيرة في هذه النواحي، التي يبدو أنّها كانت عامرة، والإشارة إليها وافرة من خلال كثرة تردد أسمائها في المصادر الأولية. ومن الواضح أنّ ورود هذه المدن بوصها تمثل مراكز حضرية، يدلل على وجود نشاط حضاري كبير، تولد من خلال الاستقرار والثبات النسبي للسكان، ودللت أيضًا على أن العرب قد تمكنوا من بناء هذه المدن بتعدد الحاجات إليها، فمنها مدن تجارية وأخرى عسكرية، وهذا يشير إلى حقيقة عدم الاعتماد على عامل واحد في ظهور المدينة وتطورها، ومما يدعم هذا الرأي كثرة المدن في الخليج واختلاف مواقعها الجغرافية، فمن مدن البحرين: هجر، والخط، والقطيف، وجواثا، والمشقر، والزارة، والسابون، ودارين، والغابة[٢٠]، والآرة والفروق، وبينونة، والشنون[٢١]، والاحساء، والعقير، وبيشة، والخرج، وأوال[٢٢]، ومن مدن عمان: صحار ودبا، والشحر[٢٣]، ونزوة، والسر، وسلوت، وجلفار، ومسقط، وضنك[٢٤].

وكانت الديانة الوثنية هي السائدة عند سكان الخليج، ومع ذلك كانت معها ديانات أخرى كاليهودية والنصرانية والمجوسيّة[٢٥]، ويبدو أنّ الإشارة إلى مثل هذه الديانات جاءت من باب ذكر الحالة النادرة، وليس من كونها ديانات عامة عند السكان.

وبعد أن قويت شوكة المسلمين في الحجاز، وعلت مكانتهم بين العرب من خلال الانتصارات السياسية والعسكرية على مناوئيهم، اتجه العرب نحو دعوة الإسلام رهبة أو رغبة، وبخاصة في أيام حكومة الرسول ﷺ في المدينة. ومع أنّ هذين العاملين مختلفان، لكنهما يمثلان في الواقع الدوافع الحقيقية لانقياد العرب إلى الدين الجديد وبخاصة بعد صلح الحديبية وفتح مكة. فالعرب المنتشرون في أصقاع الجزيرة، بعد أن لاحظوا أن قريشًا قد انكفأت كفتها أمام المسلمين الراجحة، بدأت تسعى إلى بناء وسائل للاتصال مع المسلمين، وفي ذلك يقول ابن اسحاق: «وذلك أنّ قريشا كانوا

أمام الناس وهاديهم وأهل البيت الحرام ...وقادة العرب... فلما افتتحت مكة ودانت له قريش...وعرفت العرب أن لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته، دخلوا في دين الله»(٢٦). وهذا الدخول أتى من خلال ظهور الرسول ﷺ على قريش أولاً، مما جعل العرب الآخرين، ومنهم أهل الخليج، ينقادون لعرب الحجاز المسلمين، وهم يحملون مصالح يريدون تحقيقها في الاعتماد على مركز القوة الجديد بالمدينة ضد المطامع الفارسية بالمنطقة العربية المجاورة لمياه الخليج، إضافة إلى كونهم قد عرفوا طبيعة المعتقدات الدينية السابقة للإسلام ومطامعها كالمجوسية واليهودية والنصرانية(٢٧)، فمالوا إلى الإسلام للوقوف أمام تلك المطامع.

وعليه يمكن القول إنّ عرب الخليج كان لديهم الاستعداد الذهني والروحي لتقبل الإسلام والتعامل معه، وبخاصة أنّ القيادة في الجزيرة قد تحولت من قريش إلى المسلمين، فأرادوا أن تبقى قيادتهم تابعة للحجاز، ومعولين عليها في تصديهم للفرس، وللمحافظة على موقعهم ونفوذهم القبلي في المنطقة بعد أن توافرت علاقات وروابط تجارية وثقافية بين الخليج وأهل الحجاز، وإدراكًا منهم أنّ من يقود مكة من العرب لابد أن يقود العرب الآخرين في جزيرتهم، ولذلك توالت وفود البحرين وعمان.

ومن الوفود التي جاءت من البحرين وفد المنذر بن الحارث العَصري، والجارود بن بشر المعلى، وهم من عبد القيس(٢٨)، ويبدو أن هاتين الوفادتين قد تزامن معهما وفود أخرى من عبد القيس؛ إذ قال ابن حزم: «وقدم الجارود العبدي والاشج العصري... وغيرهما من وفود عبد القيس ... فأسلموا»(٢٩)، ومن الواضح أنّ المنافسة بين القبائل العربية للحصول على دعم المركز لها كانت من جملة العوامل التي أدّت إلى تعدد تلك الوفود وكثرتها، مما جعل انتشار الإسلام في البحرين سريعًا، وعلى هذا صار أهل الفتوح، عندما كتبوا عن فتح البحرين، يقولون: «لم يكن بالبحرين في أيام الرسول ﷺ قتال»(٣٠).

أما بالنسبة إلى عمان فإنّ القبائل العربية الساكنة فيها قد حرصت هي الأخرى على الدخول في الدين الجديد، فبعثت وفودها إلى الرسول ﷺ لكسب تأييده من خلال دخولها في الدين الجديد(٣١)، وعليه يمكن القول إنّ الوفود التي ذهبت إلى المدينة كان لها الدور الأساسي في نشر الإسلام بين أهل الخليج، ولذلك قال ابن اسحاق: «وكان رسول الله ﷺ قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان»(٣٢).

ومما لا شك فيه أن طبيعة الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعقائدية لم تكن بعيدة عن تفكير أهل المدينة في أيام الرسول ﷺ عندما تعامل مع أهل الخليج، فلم تتعامل مع تلك الظروف تعاملاً عسكريًّا كما حصل مع معظم أنحاء جزيرة العرب، وإنما تعاملت معهم تعاملاً مرنًا، يقوم على أساس إبقاء هيكلهم الإداري كما هو، وربطهم بالمدينة بشكل غير مباشر من خلال إعلان الطاعة ودفع الجزية، فقال البلاذري: «بعضهم أسلم وبعضهم صالح»(٣٣)، ولذلك لم تزد صلاحية الولاة، الذين بعثهم الرسول ﷺ، عن كونهم يدعون إلى الدين الجديد ويتابعون مبادئه، وضمن هذا الاتجاه كان قد بعث الرسول ﷺ إلى الخليج العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي (٣٤)، وسيبخت مرزبان هجر(٣٥)، وعمرو بن العاص إلى عبيد وجيفر ابني الجلندي(٣٦).

ويبدو أن هنالك تقبلا عامًا للإسلام عند عرب البحرين وعمان، بينما كانت استجابة غير العرب ضعيفة، فعندما ذهب العلاء بن الحضرمي إلى البحرين استجاب له «جميع العرب هناك.. أما ... المجوس واليهود والنصارى فإنهم صالحوا العلاء»[٣٧]. أما عرب عمان فإنهم «أجابوا إليه ورغبوا فيه»[٣٨]. إنَّ هذا التجاوب الواضح للإسلام، من قبل عرب الخليج، يمكن أن يأتي ضمن إطار الاحتماء بالقوة المركزية الجديدة، التي ظهرت في المدينة ضد الأطماع الأجنبية المتاخمة لهم من الجهة الشرقية، ومن ناحية أخرى لم تتعدّ سلطة المدينة عليهم كونها سلطة غير مباشرة، وقد تأكد ذلك من خلال البقاء على استقلال البحرين بزعامة عبد القيس وعمان بزعامة آل الجلندي. وإنَّ العلاء بن الحضرمي وعمرو بن العاص لم يتعدَّ واجبهم المشورة ونشر مبادئ الإسلام، وتنظيم العلاقة مع المدينة، ولذلك لم يتدخلا في الشؤون الداخلية للهيكل الإداري في المنطقة.

الأوضاع السياسية أيام الخلافة الراشدة:

بقيت منطقة الخليج تابعة للمدينة حتى وفاة الرسول ﷺ، وعندما وقع التمرد على سلطة المدينة. والراجح أن وقوع التمرد في هذه المنطقة جاء من بعد المسافة عن السلطة المركزية في المدينة، ومن ضعف الإيمان عند بعض الناس، ولوجود عناصر فارسية تسعى إلى إضعاف النفوذ العربي، ونزوع بعض الأشخاص إلى السلطة وإعادة نفوذ القبيلة.

إن هذه العوامل، مجتمعة أو منفردة، قد دفعت أهل الخليج إلى الارتداد عن الإسلام والتمرد على سلطة المدينة، التي صارت إلى أبي بكر، فارتد بعض أهل البحرين بقيادة الحطم- شريح بن ضبيعة العبدي - والغرور- المنذر بن النعمان -، ومع ذلك بقي قسم آخر من أهل البحرين محافظًا على إسلامه بقيادة الجارود بن بشر. ويبدو أن المرتدين أرادوا ملءَ الفراغ السياسي الذي حصل في البحرين بعد وفاة المنذر بن ساوى[٣٩]، فهو نزوع شخصي للتسابق على استلام قيادة البحرين، ولا سيما أن الحطم والجارود كليهما من قبيلة عبد القيس، التي تشكل أغلبية السكان في المنطقة.

ولذلك لما انحازت عبد القيس إلى الجارود ذهب الحطم إلى قبائل بكر بن وائل وربيعة[٤٠]؛ ليستعين بهم في تمرده ضد قبيلته الأصليّة؛ ليحقق مطامع شخصية في استلام السلطة، حيث «إنّ نفرا من بكر بن وائل كانوا يعادون قبائل عبد القيس»[٤١]، ويمكن القول أيضا إن الجارود كان أكثر إيمانًا بالإسلام، فتمسك به ولم يتمرد على دولته؛ لأنه «مكث بالمدينة حتى فقه»[٤٢]. فصار على جانب كبير من الوعي والإدراك لما يريده الإسلام، و«كان حسن الإسلام صلبا على دينه»[٤٣]، بينما لم يظهر تأثير مثل هذا العامل في الحطم، فارتد عن الإسلام وقاد التمرد ضده. وفي عمان ارتد لقيط ابن مالك الأزدي، فاستولى على معظم الأراضي المنبسطة ، ودفع الذين بقوا على الإسلام، جيفر وعبد الجلنديين إلى «الأجبال والبحر»[٤٤]؛ ليتحصنوا بهما بعد أن أصبحت المناطق المنبسطة من حصة المرتدين.

كان الخليفة أبو بكر قويًّا وحازمًا في معالجة الردة التي حصلت في منطقة الخليج، فبعث الجيوش المنظمة، يقودها أفضل القواد، وهم يحملون ما عزم عليه الخليفة، وهو التمسك المطلق بما جاء به الرسول ﷺ: إذ جاء في رسالته التي حملها هؤلاء القادة: «بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ... أقام على

إسلامه أو رجع عنه... نُقرّ بما جاء به ونكفر من أبى ونجاهده... وإني بعثت إليكم فلانا في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان... ومن أبى أمرت أن يقاتله على ذلك، ثم لا يبقي على أحد منهم قدر عليه»[٤٥]، ومن هؤلاء القادة العلاء بن الحضرمي، الذي كانت وجهته إلى المرتدين، في البحرين، فتعاون مع الجارود في القضاء على المرتدين، ومحاصرتهم في مدينة جواشا، وقتل الحطم فيها[٤٦]، ثم تابع العلاء بن الحضرمي مسيرته مع خالد بن الوليد بقية المرتدين، الذين تحصنوا في مدينة الخط، واستطاع القضاء عليهم وقتل الغرور فيها[٤٧]، واشترك ثمامة بن أثال أيضًا مع العلاء بن الحضرمي في قتال المرتدين في البحرين[٤٨].

ووجه أبو بكر قادة آخرين إلى عمان، منهم حذيفة بن محصن، وعرفجة البارقي، وعكرمة بن أبي جهل[٤٩]. فاستطاعوا القضاء على المرتدين فيها، وقتل زعيمهم لقيط بن مالك -ذو التاج- بمدينة دبا، وملاحقة من ذهب منهم إلى مدينة شحر، وقتلهم فيها[٥٠]، وبذلك بسط أبو بكر سلطة المدينة على هذه المنطقة «ينفذ فيها حكم الإسلام والولاية والعزل، دون معترض، ولم يبق منهم إلا مسلم طائع منقادأو ذمي مُصغَّر كتابي»[٥١].

وبعد القضاء على المرتدين بقيت البحرين تابعة في إدارتها للمدينة، ثم ألحقت بالبصرة زمن عثمان بن عفان، مما أدى إلى توثيق العلاقة بين البحرين والعراق، وشجع قبائل البحرين في الهجرة إلى البصرة، والانسياح منها إلى المناطق الشرقية، عندما أصبحت البصرة قاعدة الفتح الإسلامي والانطلاق العسكري نحو المشرق. أما عمان فبقيت محتفظة باستقلالها الذاتي تحت زعامة آل الجلندي، الذين سبق أن أعطوا الدعم من قبل الرسول ﷺ في سلطتهم بعمان، ولذلك كانت حكومة المدينة ترسل عمالاً يمثلونها في عمان للتعاون مع آل الجلندي، ولهم صلاحيات محدودة.

وتواصل العرب في العبور نحو الشرق عبر مراحل زمنية قديمة، ويبدو أنَّ عبور العلاء بن الحضرمي إلى الساحل الشرقي من الخليج، أيام عمر بن الخطاب، إنما يدخل ضمن الاتجاه العام للعبور العربي إلى هذه المنطقة، ويبدو ذلك واضحًا من خلال سرعة الاستجابة لدعوة العبور. ومع أنَّ معظم الروايات التي ذكرت عبور العلاء إلى المشرق قد عكست عدم رضا الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قالت: «وكان عمر رضي الله عنه لا يأذن لأحد في ركوبه غازيًا استئناسًا بالنبي ﷺ وبأبي بكر رضي الله عنه... وكتب إليه بعزله»[٥٢]، إلا أنَّ عدم الرضا هذا يبدو أنّه كان له ما يسوغه من الناحية الموضوعية، فخشيته من ركوب البحر يدخل ضمن المنهج العام للسياسة العسكرية، التي اختطتها الدولة، أن لا تضع القوات العربية في منطقة قتال مع الفرس، وهذا ما يمكن أن يقع عندما يصبح البحر خلف القطعات العسكرية، ولذلك كانت الأوامر تصدر للقادة العسكريين بأن لا يجعلوا بينهم وبين مركز القيادة في المدينة حاجزًا مائيًا «لا تجعلوا بيني وبينكم بحرًا»[٥٣]، ويبدو أيضًا أن عمر رضي الله عنه أراد أن لا يفتح جبهات عدّة في مواجهة الأعداء، والدولة الإسلامية لا تزال فتية بعد، والأوليّة في سياستها العسكرية التوجه نحو المناطق اليابسة في العراق والشام، حيث يوجد مركز الامبراطوريتين الفارسية والرومية، وليس من الصحيح التعرض لهما من الأطراف. ولكن عندما قويت الدولة الإسلامية، وبنت لها مناطق ارتكاز في البصرة والكوفة والشام، بدأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوجه لركوب البحر عسكريًا، ففي

أيامه ركب الحكم بن أبي العاص البحر إلى فارس «في جيش عظيم.. ففتح جزيرة ابن كاوان، ثم صار إلى تُوَّج، وهي من أرض أردشير... وبنى بها المساجد، وجعلها دارا للمسلمين»[٥٤].

الأوضاع السياسية أيام الخلافة الأموية:

توجهت الحركات المعارضة للدولة الأموية إلى منطقة الخليج لما امتازت به هذه المنطقة من بعد نسبي عن مركز الدولة في دمشق، فأصبحت في منأى عن المراقبة ومعرفة عوامل الخلل فيها. وقدمت الطبيعة الجغرافية حماية جيدة لمن يريد العصيان، حيث الجزر المنتشرة في وسط المياه والسهول الضيقة المتعرجة، التي تشرف عليها جبال طويلة وعالية، شديدة الانحدار نحو المياه في بعض المناطق كعمان. فقال المسعودي، إنها «جبال سود ذاهبة في الهواء ... يحيط بها مياه من البحر عظم قعرها وأمواج متلاطمة تجزع منها النفوس»[٥٥].

لقد استطاعت الحركات المعارضة استغلال الظروف الطبيعية هذه لمصلحتها وخدمة أهدافها العسكرية والفكرية والاقتصادية، وأصبح بمقدور المعارضة أن تنشر عقائدها في ظروف مناسبة، بعيدة عن أنظار السلطة المركزية، ثم إنّ الطبيعة الجغرافية هذه خلقت ظروفًا اجتماعية، تعتمد التنظيم القبلي أساسًا في التحريك الاجتماعي لصالح المعارضة . ولا ريب أنَّ أهم الحركات المعارضة للدولة الأموية في الخليج حركة الخوارج، الذين انحدروا إليها بعد أن خسروا معركتهم أمام علي بن أبي طالب، وتابع زياد بن أبي سفيان والي معاوية على البصرة تعقبهم، واستطاع إخراجهم من البصرة، فانحدروا إلى الأحواز[٥٦]. ولغرض تقوية السلطة المركزية في الخليج جعل معاوية بن أبي سفيان إدارة البحرين وعمان تابعة إلى ولاية البصرة[٥٧].

إنَّ انحدار الخوارج إلى الأحواز وتجمعهم فيها جعل عوامل التواصل بينهم وبين منطقة الخليج مسألة واضحة. وعلى الرغم من انحدار الخوارج في هذه المنطقة على يد المهلب بن أبي صفرة، الذي كان يقاتلهم في أوقات سياسية متباينة، إلا أن أمرهم كان قد اتصل بضعًا وعشرين سنة[٥٨].

ومن الواضح أنَّ الاجتهاد وما يحمله من دوافع متعددة - ظاهرة وباطنة - كان من جملة الأسباب التي أدَّت إلى الاختلاف فيما بين الخوارج، فكثرت المنازعات والمناظرات بينهم، واستمرت إلى زمن طويل، أدت إلى ظهور آراء ومواقف مختلفة وصلت إلى حد التباين والتضاد ورفعوا السيف لدعمها، فكثرت فرقهم ومناطق تمركزهم. وعندما ضعفت هيمنة الدولة الأموية على الخليج أيام الزبيريين توجه الخوارج أول الأمر لمعاونة عبد الله بن الزبير ضد الأمويين، ثم ابتعدوا عنه بعد حين؛ إذ «فارق عبد الله بن الزبير الخوارج الذين كانوا قدموا عليه مكة... فصاروا إلى البصرة، ثم افترقت كلمتهم، فصاروا أحزابًا»[٥٩].

ومما لا شك فيه أنَّ حالة الاختلاف بين الخوارج كانت تدعمها النعرة القبلية بشكل واضح على الرغم من أنها غير جلية في أول وهلة. ويبدو هذا واضحًا من خلال توجه قادة الخوارج إلى منطقة اليمامة والسيطرة عليها عندما «انطلق أبو طالوت من بني زمّان بن مالك... وعبد الله بن ثور أبو فديك من بني قيس بن ثعلبة، وعطية بن الأسود اليشكري إلى اليمامة... ثم أجمعوا بعد ذلك على نجدة بن عامر الحنفي»[٦٠]، الذي اعتمد على العامل القبلي في قيادته للخوارج وانصياع الآخرين له، كونه من بني حنيفة، الذين يشكلون غالبية السكان في اليمامة. ثم استطاع نجدة الحنفي مد نفوذه إلى البحرين مستغلا ضعف الزبيريين في العراق، وانشغال الأمويين في الاعداد لمواجهة الزبيريين في الحجاز والعراق. وقويت شوكة النجدات عندما تمكنوا من غلبة جيش عبد الله بن

عمير الليثي من قبل مصعب بن الزبير في البصرة[٦١].

وبعد هذا النصر، الذي حققه الخوارج على الزبيريين في البحرين واليمامة، بعث نجدة الحنفي «جيشًا إلى عمان، واستعمل عليهم عطية بن الأسود الحنفي»[٦٢]، وبذلك أصبحت منطقة الخليج تحت هيمنة الخوارج، مما اضطر الخليفة عبد الملك بن مروان إلى مكاتبة نجدة الحنفي «يدعوه إلى طاعته، ويوليه اليمامة، ويهدر له ما أصاب من الأموال والدماء»[٦٣]، ولكن الخوارج لم يستجيبوا لهذا الطلب لما كانوا عليه من قوة وبأس في المنطقة.

لقد أثرت النوازع القبلية في رسم معالم الاختلاف بين زعماء الخوارج، وما أفرزته من نتائج بعد ذلك، ومما يدعم هذا الرأي أنه عندما عرضت ابنة المنذر بن الجارود للبيع قدم إليها رجل من قادة الخوارج فقتلها؛ لأنها تنتسب إلى قبيلته، ولذلك قال في سبب قتلها: «إنَّها عصبية قبلية»[٦٤]، وكذلك «خروج أبي فديك الخارجي، وهو من بني قيس بن ثعلبة على البحرين، وقتل نجدة ابن عامر الحنفي»[٦٥].

وبعد أن نجح الأمويون في هدم جدار الزبيريين، الذي كان يحتمي به الخوارج، أصبحوا وجهًا لوجه أمام الخوارج، فأرسل والي البصرة خالد بن عبد الله جيشًا بقيادة أخيه أمية بن عبد الله لمقاتلة الخوارج، فاستطاع أبو فديك من غلبة هذا الجيش[٦٦]، ولما تواردت الأخبار إلى الخليفة عبد الملك بن مروان، أصدر أوامره إلى «عمر بن عبيد الله ابن يعمر أن يندب الناس من أهل الكوفة والبصرة ويسير إلى قتاله... وساروا حتى انتهوا إلى البحرين ... واشتد قتالهم حتى دخلوا عسكر الخوارج ...وقتلوا أبا فديك، وحصروا أصحابه بالمشقر»[٦٧].

إنَّ الضربة الموجعة للخوارج هذه كانت من جملة العوامل، التي أدّت إلى استقرار منطقة الخليج في الحقبة اللاحقة، إضافة إلى قوة الدولة الأموية، التي أهلتها لاحتواء المنطقة، يضاف إلى ذلك انحسار أثر الخوارج بعد مقتل أبي فديك، الذي تزامن مع النصر الحاسم في الجانب الشرقي من الخليج على يد المهلب بن أبي صفرة عندما «هلك قطري وعبيدة بن هلال وعبد ربه الكبير، ومن كان معهم من الأزارقة»[٦٨].

ويبدو أنَّ تمسك المهلب بن أبي صفرة بقبيلته أزد عمان كان من جملة الأسباب التي أدَّت إلى نجاحه في تدمير قوة الخوارج، وهذا ما ذهبت إليه رواية الطبري، التي تقول: «فثاب إليه جماعة من قومه، وثابت إليه سرية عمان، فاجتمع إليه منهم نحو من ثلاثة آلاف»[٦٩]. وعلى هذا شهدت منطقة الخليج هدوءًا نسبيًّا استمر حتى ظهور الدولة العباسية. ■

●●●

الحواشي

١- معجم البلدان:١/٥٠٦-٥٠٧.
٢- مسالك الممالك:٢٧.
٣- الاكليل:٢/٢٧٠.
٤- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: ٩٢.
٥- معجم البلدان:٤/٣٥٨.
٦- مروج الذهب ومعادن الجوهر:١/١٢٩.
٧- معجم ما استعجم:٣/ ٩٧٤.
٨- معجم البلدان:٢/٣١٦، ٤/٣٨٩
٩- المصدر نفسه:٢/٨١٤، ، ٤/١٣، ٤١١.
١٠- المصدر نفسه:١/٣٩٥ ، ٢/٢٥٤، ٣/٣٠٤.
١١- المسالك والممالك:٦٢.
١٢- معجم البلدان:٢/٩٠٧، ٣/٧٦٤
١٣- المختصر كتاب البلدان:٩٢
١٤- صورة الأرض: ٣٨.
١٥- المسالك والممالك:٦٠.
١٦- فتوح البلدان:٨٩.

١٧- معجم ما استعجم: ٤٦/٣.
١٨- تاريخ الرسل والملوك:١/ ٦١٠
١٩- فتوح البلدان:٨٧.
٢٠- المصدر نفسه: ٨٩-٩٦.
٢١- المسالك والممالك:٦٠، ١٥٢.
٢٢- صورة الأرض:٣٣.
٢٣- فتوح البلدان:٧٨.
٢٤- أحسن التقاسيم:٩٢-٩٣.
٢٥- فتوح البلدان:٨٨-٨٩.
٢٦- السيرة النبوية:٢/ ٥٦٠.
٢٧- فتوح البلدان:٨٩.
٢٨- السيرة:٢/٥٧٥.
٢٩- جوامع السيرة:٢٥٩.
٣٠- فتوح البلدان:٩٠.
٣١- الطبقات الكبير:٢/٢٧.
٣٢- السيرة:٢/ ٦٠٠.
٣٣- فتوح البلدان:٩١.
٣٤- السيرة: ٢/ ٥٧٦.
٣٥- فتوح البلدان:٨٩.
٣٦- السيرة:٢/٦٠٧.
٣٧- فتوح البلدان:٨٩.
٣٨- المصدر نفسه:٨٧.
٣٩- المصدر نفسه: ٩٤.
٤٠- فتوح البلدان:٩٤، وتاريخ الطبري:٣/٣٠١.
٤١- الفتوح:١/ ٤٥.
٤٢- تاريخ الطبري:٣/٣٠١.
٤٣- السيرة: ٢/٥٧٥.
٤٤- تاريخ الطبري: ٣/ ٣١٤.
٤٥- المصدر نفسه: ٣/ ٢٥٠-٢٥١.
٤٦- فتوح البلدان:٩٤.
٤٧- المصدر نفسه: ٩٥.
٤٨- تاريخ الطبري: ٣ /٣٠٤.
٤٩- فتوح البلدان:٨٧، تاريخ الطبري: ٣/٣١٢.
٥٠- فتوح البلدان:٨٧.
٥١- جوامع السيرة: ٣٤٠.
٥٢- تاريخ الطبري:٤/ ٨٠-٨١.
٥٣- فتوح البلدان:٣٣٦.
٥٤- المصدر نفسه: ٣٧٨-٣٧٩.
٥٥- مروج الذهب ومعادن الجوهر:١/١٢٩.
٥٦- الكامل في التاريخ: ٣/٢٢٨.
٥٧- المصدر نفسه.
٥٨- المصدر نفسه: ٤/ ٦٩.
٥٩- تاريخ الطبري: ٥/٥٦٢.
٦٠- المصدر نفسه: ٦/ ٥٦٦.
٦١- الكامل في التاريخ: ٤/ ٢١.
٦٢- المصدر نفسه:
٦٣- المصدر نفسه: ٤/ ٢٣.
٦٤- المصدر نفسه: ٤/ ١١٧.
٦٥- المصدر نفسه: ٤/ ٢٠.
٦٦- تاريخ الطبري:٦/ ١٧٤.
٦٧- الكامل في التاريخ: ٤/ ٢٨.
٦٨- تاريخ الطبري: ٦/ ١٧٤.
٦٩- المصدر نفسه: ٥/ ٦١٨.

المصادر والمراجع

- **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، لشمس الدين محمد المقدسي، مكتبة خياط، بيروت ١٩٠٦م.
- **الإكليل**، للحسن بن أحمد الهمداني، تح. محمد علي الأكوع، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٧م.
- **تاريخ الرسل والملوك**، لمحمد بن جرير الطبري، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢م.
- **جوامع السيرة**، لابن حزم، تح. إحسان عباس ، وناصر الدين الأسد، دار المعارف، القاهرة.
- **السيرة النبوية** ، لابن هشام ، تح. طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥م.
- **الطبقات الكبير**، لمحمد بن سعد، تصح. إدوارد سخاو، بريل ليدن.
- **الكامل في التاريخ**، لابن الأثير، علي بن محمد، دار صادر، بيروت ، ١٩٧٩م.
- **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، للمسعودي، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٦٤م.
- **مسالك الممالك**، لإبراهيم بن محمد الاصطخري، تح. محمد جابر عبد العال ، دار القلم، القاهرة ، ١٩٦١م.
- **المسالك والممالك**، لابن خرداذبة، بريل، ليدن، ١٨٨٩م.
- **معجم البلدان**، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت ، ١٩٥٧م.

شيخ الإسلام محمد المكي بن عزوز

نضاله السياسي ونشاطه العلمي

الدكتور/ محمد زرمان
جامعة باتنة - الجزائر

يعدُّ الشيخ محمد المكي بن عزوز شخصية جزائرية بارزة في العصر الحديث، ساهمت في النهضة الثقافية والعلميّة والأدبيّة في كلّ من الجزائر وتونس وأقطار العالم الإسلامي، وتركت آثارها الواضحة في ميادين كثيرة. اشتُهر بنبوغه في علم الحديث، وكان أكبر راوية فيه، كما اشتُهر بمواقفه الشديدة من الاستعمار الفرنسي، بجهوده الإصلاحية والتربوية التي قام بها طوال حياته. وكان رمزا للعالم المجاهد الغيور على دينه وأمته ووطنه، وهو من العلماء الأجلاء، الذين تفتخر الجزائر بهم، وتعتز بانتمائهم إليها، وتدين لهم في نهضتها العلميّة الحديثة.

وسنحاول في هذا البحث أن نكتشف هذه الشخصية، ونجلّي بعض جوانب العظمة والعبقرية فيها، من خلال التعرض – في البداية – إلى نسبه وأسرته، ومولده ونشأته، ثم ننتقل إلى الحديث عن نضاله، ومواقفه الجريئة من الاستعمار الفرنسي، التي كانت سببًا في هجرته إلى الآستانة، ثم نتحدث عن مكانته العلمية المرموقة في المشرق والمغرب، وأبرز تلامذته، وجهوده في خدمة علوم الحديث والقرآن، ونشاطه الأدبي، ونختم البحث بالحديث عن آثاره ووفاته.

نسبه وأسرته:

هو محمد المكي بن مصطفى بن محمد بن عزوز بن أحمد بن يوسف بن إبراهيم بن عبد المؤمن بن محمد بن محمد بن بلقاسم بن علي بن عبد العزيز بن سليمان بن بلقاسم بن أحمد بن أدليم بن عزوز بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن منصور بن عبد الرحمن بن علي بن يعلى بن محمد ابن بوسعيد بن عبد الله بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن محمد الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عن الجميع[١].

ومحمد المكي سليل أسرة آل عزوز العريقة التي اشتُهرت بالعلم والتقوى والصلاح والجهاد ضد الاستعمار الفرنسي. وكان والد جدّه محمد بن يوسف من الأولياء الصالحين[٢]، أما جده محمد ابن عزوز (١٧٥٧-١٨١٨م)[٣]، فقد كان من كبار المتصوفة في منطقة الزاب، أخذ مبادئ الطريقة الرحمانية على يد الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري (١٧١١-١٧٩٤م)[٤] مؤسس الطريقة، واشتُهر بالعلم والورع والصلاح، وكان من أجلّ أعماله إنشاؤه زاوية في قرية البرج بضواحي طولقة بولاية بسكرة؛ لنشر العلم والدين.

وقد تخرج على يديه طلاب كثيرون نبغوا في علوم جمّة، وأخذوا عنه الطريقة الرحمانية، وانتشروا في أطراف الصحراء، وأسسوا هم كذلك زوايا نشرت العلم ومبادئ الطريقة، ومنهم علي بن عمر صاحب زاوية طولقة، والشيخ المختار صاحب زاوية أولاد جلال، والشيخ علي الشؤوني صاحب زاوية سيدي خال، والشيخ عبد الحفيظ الخنقي (ت١٨٥٠م)(٥) صاحب الزاوية الرحمانية بخنقة سيدي ناجي، والشيخ مبارك بن خويدم البوزيدي، والشيخ أبو ستة الدراجي، والشيخ المدني التواتي(٦)، وغيرهم.

وقد وافته المنية قبل الاحتلال الفرنسي بثلاث عشرة سنة (١٨١٨م) تاركاً ثمانية أولاد، أدركوا الغزو الفرنسي، وجاهد أكثرهم إلى جانب الأمير عبد القادر، حتى إنّ الحسن بن محمد بن عزوز - أكبر أعمام الشيخ محمد المكي - كان خليفة للأمير في جبال أوراس الشرقية(٧)، وقد ظلّ صامدا بعد هزيمة الأمير واستسلامه، معتصما بالجبال، إلى أن تم القبض عليه، وأودع سجن عنابة حيث قضى نحبه(٨)، واستشهد ثلاثة من اخوته في ميدان الشرف، بينما هاجر الأربعة الباقون، وهم: مصطفى، والتارزي، وعباس، ومحمد، إلى تونس، واستقروا بقرية نفطة(٩) بالجريد التونسي عام ١٨٢٧م.

وكان والده مصطفى بن محمد بن عزوز (ت١٧٦٨م)(١٠) عالماً، صالحًا، تقيًا، لم يلبث كثيرا بعد استقراره بنفطة حتى تصدّى لنشر العلم، وبث الطريقة الرحمانية، ثم أسس زاوية نفطة، وألحق بها عدة مبانٍ لإيواء طلبة العلم، ومدرسة لتحفيظ القرآن، وتلقين العلوم الشرعية، واستقدم لها الأساتذة والعلماء من كلّ جهة، فكثر أتباعه ومريدوه، وقد أشار إلى ذلك الشيخ إبراهيم خريف عندما قال: «وفي خلال سنة ١٢٥٧هـ ورد على بلد نفطة، من بلاد الزاب، المهاجر القدوة المرشد صفوة البررة، وخلاصة الصالحين الخيرة، صاحب المآثر العديدة، والأخلاق الحميدة، الشيخ السيد مصطفى بن عزوز البرجي، فاستوطن مع عائلته وعدد كبير من أتباعه وأشياعه، فأقبلت عليه البلاد، وهربت إليه العباد يلتمسون بركته ويستمدون فيوضاته، ثم أحدث زاويته المشهورة المشتملة على عدد كبير من المساكن؛ لإيواء الواردين عليه من كلّ صقع... وأحدث بها مدرسته الحافلة، وأنشأ بها بيوتا لسكنى المنقطعين لقراءة القرآن وتعلم العلم، وحشر لها العلماء والأعلام من كلّ جهة؛ ليدرسوا بها فنون العلم على تنوع مشاربها»(١١).

كما كانت هذه الزاوية ملجأ للمجاهدين الجزائريين الثائرين على الاستعمار الفرنسي. وقد وجد فيها المجاهد الجزائري ابن ناصر بن شهرة(١٢) التأييد والدعم والملجأ، الذي مكّنه من استعادة قواه، وإعادة تنظيم صفوفه؛ للهجوم مرة أخرى على قوات الاحتلال، التي حشدت للقضاء على ثورته جيشًا كبيرًا، ولم تتمكن من إخماد نيرانها إلا بعد أربع وعشرين سنة، تكبّدت خلاها خسائر جسيمة(١٣).

وقد أهّلته أخلاقه العالية، وعلمه الواسع، لأن يحظى بمنزلة خاصة لدى السلطة الحاكمة بتونس، وبخاصة لدى المشير أحمد باشا، والباي محمد الصادق، الذي كثيرًا ما استدعاه ليتوسط له لدى بعض الثائرين عليه(١٤)، وقد نجح الشيخ مصطفى ابن عزوز - في أحيان كثيرة - في إخماد نار الفتنة والإصلاح بين المتنازعين(١٥)، بما كان يتمتع به من شهرة دينية وعلمية(١٦) واسعتين.

وقد بقيت هذه الأسرة - عقودًا طويلة - رمزا من

رموز العلم والجهاد، وكان لها الفضل الكبير في نشر الطريقة الرحمانية في أجزاء واسعة في الشرق الجزائري وتونس وليبيا، بل كادت أن تسمى الرحمانية بالعزوزية[١٧]، وقد أنجبت أعدادا كبيرة من العلماء، والأدباء، ومنهم الشيخ محمد المكي بن عزوز.

مولده ونشأته:

وفي أحضان هذه الأسرة العريقة، التي توارثت العلم والمجد كابرًا عن كابر، ولد محمد المكي بن عزوز يوم ١٥رمضان عام ١٢٧٠هـ الموافق عام ١٨٥٤م بنفطة بالجنوب التونسي. وسماه بالمكي عمّه محمد المدني بن عزوز، وكناه بأبي طالب تيمنًا بأبي طالب المكي، صاحب كتاب (قوت القلوب)[١٨]، فتولاه والده بالعناية، حيث أخذ مبادئ العلوم الأولى في زاوية الأسرة، وحفظ القرآن الكريم بها، على يد الشيخ اللخمي ابن الصبحي بن الصغير، وظهرت عليه -منذ صغره- مخايل النبوغ والفطنة، ثم غادر زاوية أبيه قاصدًا توزر، حيث كانت الحركة الأدبية والعلمية بها تعرف ازدهارًا كبيرًا، وفيها تلقى العلم عن ثُلّةٍ من الشيوخ، منهم الشيخ قاسم الخيراتي، الذي أخذ عنه (شرح الشيخ خالد الأزهري على الآجرومية) و(شرح ميارة على ابن عاشر) في الفقه، كما أخذ ألفية ابن مالك بشروحها، ومختصر خليل بشروحه عن الشيخ النوري بن أبي القاسم الزيدي النفطي[١٩].

وانتقل بعدها إلى جامع الزيتونة؛ لإتمام دراسته، وفيه استكمل رحلته العلمية، فلازم نخبة من علمائه، أمثال شيخ الإسلام أحمد بن الخوجة (ت ١٣١٣هـ)، والشيخ محمد البشير التواتي (ت١٣١١هـ) الذي أخذ عنه القراءات السبع، والشيخ عمر بن الشيخ (ت١٣٢٩هـ)، والشيخ محمد النجار (ت١٣٣١هـ)، والشيخ مصطفى بن علي رضوان (ت١٣٢٢هـ)، والشيخ محمد الشاذلي بن صالح (ت١٣٠٨هـ)، والشيخ سالم بوحاجب (ت١٣٤٢هـ)[٢٠]، وغيرهم. فنبغ في علوم كثيرة، وبرع - بصفة خاصة - في علم الحديث، الذي صار من كبار علمائه الأعلام[٢١].

وبعد أن أنهى تحصيله العلمي تصدّر للتدريس بالزيتونة متطوعًا، فأقرأ بها (شرح الدردير على خليل)، و(صحيح البخاري)، و(الجامع الصغير). وقد شدت دروسه أعدادا غفيرة من الطلبة وغيرهم، وكان عددهم يزداد يوما بعد يوم لما امتاز به من غزارة المادة وفصاحة القول وعلو الأسلوب[٢٢]. ثم عاد إلى مقر سكناه بنفطة حيث ولاه خير الدين باشا خطة الإفتاء عام ١٢٩٧هـ - ١٨٧٩م، وهو في عهد الشباب، لم يتجاوز حينها السادسة والعشرين من عمره، ثم تقلّد - في المدينة نفسها - منصب القضاء[٢٣]، وفي عام ١٣٠٩هـ- ١٨٩١م شدّ الرحال إلى مدينة تونس، التي استقر بها، وجلس للتدريس بجامع الزيتونة، وكان يعدّ من أبرز علمائه، على الرغم من أنه لم يتقلد منصب المدرّس فيه بصفة رسمية[٢٤].

نضاله ضد الاستعمار الفرنسي

بعد استقراره بتونس، وذيوع شهرته الدينية والعلميّة، دأب على زيارة الجزائر كلّ عام، حيث يصل رحمه من أخواله، ومنهم جده لأمه الشيخ ابن عروس، وخاله الشيخ أبو القاسم الحفناوي صاحب كتاب (تعريف الخلف)، ويتصل ببني عمومته في برج ابن عزوز وبوسعادة[٢٥]، ويجتمع بكثير من العلماء والطلبة. وقد تمتد زيارته إلى شهور عديدة، يقضيها في الوعظ والإرشاد، ورواية الحديث وسنده، وإلقاء الدروس[٢٦] بالمعهد الهاملي[٢٧].

وكان كثيرا ما ينبّه الناس - في حلقات درسه -

إلى مظالم الاستعمار، ويحثّهم على الاستعداد للتخلص منه، ويثير في النفوس الغيرة الدينية، والحمية الوطنية، ويؤجج فيها الثورة على سلطات الاحتلال. بل إنه أصدر فتوى حرّم بموجبها شراء كل ما يرد من فرنسا من صناعات دهنية، كالشمع، والشحم، والصابون، وشكك في كونها مصنوعة من مواد حلال. وشجع - في المقابل - الجزائريين على الاجتهاد والسعي الدائب؛ لإنتاج احتياجاتهم محليًّا، والاستغناء عن العدوّ. وكان يرمي - من وراء ذلك - إلى دفعهم إلى مقاطعة الاستعمار اقتصاديًّا[٢٨].

وهذا الموقف الذي وقفه محمد المكي بن عزوز من الاستعمار الفرنسي ليس موقفا غريبًا. فقد ورث عن أسرته كبرياءها وشموخها وشجاعتها في مواجهة الباطل، وجرأتها على اقتحام الصعاب، كما أخذ عنها كرهها الشديد للاستعمار، وبغضها لوجوده في وطنها: «وكان اسم العائلة (ابن عزوز) يحمل عند المستعمرين معنى الثورة والعداوة لهم، وكانت ضربات الحسن بن عزوز لا تزال تلتهب بها جنوبهم وقفاهم»[٢٩].

وإضافة إلى ذلك ينتمي إلى الطريقة الرحمانية، التي كانت من أكثر الطرق الصوفية في الجزائر ثورة على الاستعمار[٣٠]، وقد كتبت صفحات مجيدة في ميدان الجهاد والتضحية، وظلت سنوات طويلة نارا على العدو، ولم يتوان الإخوان الرحمانيون عن تقديم قوافل الشهداء الواحدة تلو الأخرى، التي أقضّت مضاجع الغزاة. ولم يستقر المقام بفرنسا في المناطق التي كانت تحت نفوذ الزوايا الرحمانية إلا بعد جهد جهيد، في أواخر القرن التاسع عشر.

لذلك كان الاستعمار الفرنسي يحيط زياراته بكثير من الحيطة والحذر، ويتتبع خطواته، ويضيّق عليه تنقلاته. وعندما أحس بازدياد خطره، وإقبال الناس عليه، وتأثرهم بآرائه، وكثرة طلبته والمعجبين به، سعى إلى اعتقاله، ونصب له كمينًا في زريبة الوادي بضواحي بسكرة، وكلّف القائد زروق بالقبض عليه، غير أن هذا الأخير أنذره، وسهل له سبيل الهروب، فنجا من قبضة سلطات الاحتلال، وفرّ إلى تونس، لكن الإدارة الاستعمارية ظلت تطارده في تونس، وتضيّق عليه الخناق، وعندما ضاق بذلك ذرعًا اضطر إلى الهجرة[٣١].

هجرته إلى تركيا

لقد أحالت المطاردة الاستعمارية حياة محمد المكي جحيما لا يطاق، فلم يعد يشعر بالأمان في بلاد يبسط عليها المحتل سيطرته، ويبث فيها الجواسيس والعيون في كلّ مكان؛ لتترصّد خطواته، ففضل الهجرة، وشدّ الرحال نحو المشرق، وكان أول منزل نزله مدينة بنغازي بليبيا، التي أقام بها مدة، ثم استأنف رحلته، فزار مصر والحجاز والشام، واجتمع بكثير من العلماء والأعلام[٣٢]، وأفاد واستفاد.

وفي عام ١٣١٣هـ -١٨٩٥م حط الرحال أخيرا بالآستانة، التي سبقته إليها شهرته، فاستدعاه السلطان عبد الحميد، وقلّده منصب مدرس الحديث والفقه في دار الفنون بدار السعادة، وإثر وفاة الشيخ إسماعيل حقي (ت١٣٣١هـ) أسند إليه منصب تدريس التفسير خلفًا له، كما استدعي للتدريس في مدرسة الواعظين[٣٣]. وبقي بالآستانة إلى أن وافته المنية عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م، بعد عشرين سنة من النشاط العلميّ المكثّف، لم يكتف فيه بعلمه التعليمي، بل ظل يطوف الأقطار الإسلامية كالحجاز وسوريا وفلسطين ولبنان، يتعرف علماءها، ويبذل العلم لطلابها.

ولعل اختياره للآستانة عاصمة الخلافة الإسلامية يعود إلى إيمانه بفكرة الجامعة الإسلامية، التي دعا إليها جمال الدين الأفغاني في نهاية القرن الماضي، وكانت دار الخلافة تشجعها؛ لتحفظ بها كيان البلاد الإسلامية من المؤامرات الاستعمارية المتربّصة بها، حيث كان من أنشط العاملين في مجال الدعوة للجامعة الإسلامية[٣٤].

مكانته العلمية

كان محمد المكي بن عزوز محدثا من كبار المحدثين، مفسّرًا، مقرئًا، فقيهًا، قاضيًا، أديبًا، شاعرًا، صوفيًّا، ومصلحًا مُجَدِّدًا، له شهرة واسعة في العالم الإسلامي، فقد ساهم بقسط وافر في النهضة الأدبية والعلمية في كلّ من الجزائر وتونس والعالم الإسلامي. تجاوز عدد شيوخه الذين أخذ عنهم العلم ثمانين شيخا، منهم : مسند الجزائر أبو الحسن علي بن أحمد بن موسى الجزائري (١٨٢٨-١٩١٢م)، وشيخ الإسلام حميدة بن الخوجة التونسي (١٢٤٥ ١٣١٣ -هـ)، ومحمد بن أبي القاسم (١٨٢٣-١٨٩٧م) شيخ زاوية الهامل ببوسعادة، ومحمد المكي بن الصديق الخنقي الجزائري، والحاج محمد النوري بن أبي القاسم النفطي، وإبراهيم البختري قاضي توزر، ومحمد النجار (ت١٣٢٩هـ-١٩١١م) المفتي المالكي التونسي، وأحمد السنوسي كبير مفاتي قفصة، ومحمد البشير بن الطاهر التواتي (ت١٣١١هـ - ١٨٩٣م) شيخ القراء بتونس، وأحمد العمري مفتي العسكر العثماني في الآستانة وشيخ الإسلام أحمد زيني دحلان (١٢٣١ ١٣٠٤ -هـ)، وبكري بن حامد العطار الدمشقي، وغيرهم كثير[٣٥].

وجمع إلى كثرة الشيوخ مكتبة ضخمة، تعدّ من أندر ما عرف من المكتبات الخاصة في العالم الإسلامي، ضمنها ما ورث عن جده ووالده، وأضاف إليها ما طالت يداه من النفائس التي اقتناها في أثناء رحلاته الكثيرة، التي شملت عددا مهمًّا من البلدان العربية والإسلامية. وقد نقل هذه المكتبة الثمينة إلى الآستانة بعد استقراره بها، ووسعها، حتى نالت شهرة كبيرة[٣٦].

تخرّج على يديه تلامذة كثيرون، ومن أشهر الطلبة الجزائريين، الذين أخذوا عنه العلم، وصار لهم فيما بعد شأن كبير، الشيخ المصلح عبد الحليم ابن سماية (١٨٦٦- ١٩٣٣م)، والمؤرخ أبو القاسم محمد الحفناوي (١٨٥٢ - ١٩٤١م)، والمحدث الشيخ علي بن الحاج موسى (١٨٢٨-١٩٠٩م)[٣٧] وشيخ الأزهر محمد الخضر حسين (١٨٧٣- ١٩٥٨م)[٣٨]، وجمع غفير من طلبة العلم، الذين كانوا يقصدون دروسه من كل حدب وصوب، يأتي على رأسهم الزعيم السياسي عبد العزيز الثعالبي (١٨٧٤-١٩٤٤م)، الذي يعده من شيوخه الذين أثر فيه فكرهم الحر، ونزعتهم الإصلاحية، وغيرتهم الوطنية[٣٩].

شهد له معاصروه بنبوغه في العلم، وعلو كعبه فيه، وقد ذاع صيته في أرجاء العالم الإسلامي، وطبقت شهرته الآفاق ، فممن أشار إلى فضله ومكانته شيخ الإسلام بمكة زيني أحمد دحلان، الذي حلاه في إجازته بقوله: «قد اشتهر في الأقطار بلا شك ولامين، ولا سيما في الحرمين الشريفين بالعلم والحلم، نخبة العلماء الأعيان، وخلاصة الأعيان من ذوي العرفان، سراج إفريقيا، بل بدر تلك الأصقاع الغربية، الأستاذ الكامل، جامع ما تفرّق».

كما أشاد محمد مخلوف صاحب (شجرة النور) بنبوغه في العلوم المتعددة، وأشاد بعنايته الشديدة بعلم الحديث، فقال: «هو إمام نشرت ألوية فضله على الآفاق، وفاضل ظهرت براعة

علومه، فتحلى بها الفضلاء الحذاق، له عناية بالأسانيد والرواية، واليد الطولى في العلوم العقلية والنقلية، والراحة البيضاء في تعاطي أنواع التعاليم الرياضية، الرحال الأديب، الشاعر اللغوي الأريب، الماهر العارف بأشعار العرب وأخبارها والنوادر، أما التصوّف فقد رزق فيه الذوق الغريب، والحذق العجيب، كان عالي الهمّة، كريم الأخلاق، مع كرم يضرب به المثل»[٤٠].

وقرّظة العلامة عبد الحفيظ القارئ - عالم الطائف - بأبيات شعرية، ذكر فيها مكانته العلمية المرموقة، وتضلّعه في علوم الشريعة، ووصفه بعلامة العرب والروم، الأستاذ الكامل، جامع الفضائل، مقدم العلماء الأفاضل، وقال فيه:

من نرتجي للدين يكشف غمّه
عمّت على الإسلام بالإغماء
غير ابن عزوز إماما للهدى
بالحقّ يفتي لا بأخذ رشاء
من مغرب في مشرق يبدي السنا
في المطلعين له ضيا كذكاء
إن كان فينا قائم فهو الذي
بالعلم يرقى ذروة الجوزاء[٤١]

بينما تحدث عنه عبد الحميد بن باديس (١٨٨٩-١٩٤٠م) ونوّه بعلمه وجهاده هو وابن أخته محمد الخضر حسين في محاربة البدع الطرقية وانحرافاتها، فقال: «ولا يخفى أن الأستاذ أبقاه الله ابن أخت العلامة الجليل الشيخ المكي بن عزوز رحمه الله، وكلاهما من أبناء الطرقية، ولكن العلم سما بهما إلى بقاع التفكير والهداية والإصلاح، ولكليهما - أحسن الله جزاءهما - كتابات في التحذير مما عليه الطرقية اليوم - تارة بالتصريح، وتارة بالتلميح»[٤٢]. و أشار ابن اخته محمد الخضر حسين إلى فضله في تكوينه فقال: «أستاذي الذي شبَّت في طوق تعليمه فكرتي، وتغذيت بلبان معارفه في أول نشأتي، العلامة الهمام القدوة خالي الشيخ سيدي محمد المكي بن عزوز»[٤٣].

نبوغه في علم الحديث

يعدّ الشيخ محمد المكي بن عزوز واحدًا من كبار المحدثين والرواة في العصر الحديث. فقد أجمع الدارسون لجهوده وآثاره على نبوغه في هذا العلم؛ إذ ظهرت عنايته الشديدة به، واهتمامه البالغ بتحصيله منذ صغره، وكان حريصا على أن يلمّ بأطرافه، فلم يكن يدع فرصة تمكّنه من الاستفادة من عالم من علماء الحديث إلا اغتنمها، سواء باللقاء المباشر أو الإجازة، وكان أكثر شيوخه الذين تلقّى عنهم من الضالعين في علم الحديث والمشهورين به، حتى صار فيه أشهر من علم في رأسه نار، وقد أشار بنفسه إلى الجهود الجبارة التي بذلها لتحصيله في كتابه (عمدة الأثبات) فقال: «أمضيت فيه العمر الثمين، وجلبته من مشارق الأرض ومغاربها في الاتصالات بأئمة الإسلام في تصانيفهم ومسلسلاتهم، ولطائف ما أنتجت مساعيهم بالجد والاجتهاد، وما إلى ذلك من الإفادات»[٤٤]. وأهّله ذلك لأن يتصدى لتدريس الحديث - منذ وقت مبكر - في تونس والجزائر، وأن يكون أستاذ هذه المادة البارز في دار الفنون ومدرسة الواعظين بالآستانة.

وقد أشاد المحدّث المغربي عبد الحي الكتاني في كتابه فهرس الفهارس بطول باع الشيخ محمد المكي في هذا الميدان، واعترف له بعلوّ المكانة فيه. وكانت تربط الرجلين علاقة صداقة وثيقة، تمثلت - بشكل خاص - في المراسلات الكثيرة التي كانت بينهما، حيث لو جمعت المكاتبات التي جرت بينهما

لخرجت في مجلّد[45]، وتم تتويجها بإجازة طلبها عبد الحي الكتاني من ابن عزوز وحصل عليها، ومما قاله فيه: «هذا الرجل كان مسند أفريقية ونادرتها»، ولم نر ولم نسمع فيها بأكثر اعتناء منه بالرواية والإسناد والإتقان والمعرفة ومزيد تبحر في بقية العلوم، والاطلاع على الخبايا والغرائب من الفنون والكتب والرحلة الواسعة وكثرة الشيوخ، إلى طيب منبت وكريم أرومه... وأعجب ما كان فيه الهيام بالأثر، والدعاء إلى السنّة، مع كونه كان شيخ طريقة، ومن المطلعين على الأفكار العصرية، وهذه نادرة النوادر في زماننا هذا، الذي كثر فيه الإفراط والتفريط[46].

والمتصفح لآثاره في علم الحديث يكشف عن مساهماتها الجادة في هذا العلم، فقد ألّف فيه عدّة كتب منها: الصفح السعيد في اختصار الأسانيد (منظومة)، الثبت الجامع للأسانيد، ورسالة في أصول الحديث وغيرها. ولعل أشهر كتبه في هذا المجال كتاب: «عمدة في الأثبات في الاتصال بالفهارس والأثبات»، الذي ألفه عام ١٣٣٠هـ بالآستانة، ويعد آخر كتبه في علم الحديث، فقال عنه الكتاني إنه : «أفيد وأوسع ما كتب في هذه الصناعة»[47]. افتتحه بقوله: «الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد، فإن أندر العلوم في هذا الزمان علم الحديث ومعالم السنة، مع كونه أرفعها وأشرفها وأنفعها؛ إذ لا يقبل تحرير أي مسألة من مسائل الدين ومطالع اليقين إلا به، ولا يعتدّ بعمل صالح إلا ما كان السير فيه على منهاجه، حتى إنّه لا يقال زيد عالم في الحقيقة إلا إذا كان عالما بهذا الشأن، وما سواه فعالم مجازا:

وما قلّت الطلاّب إلا لأنّه

إذا عظم المطلوبُ قلّ المساعدُ[48]

ويرى عبد الحي الكتاني أن هذا الكتاب بخاصة من أشهر كتبه التي تنبئ عن علمه الغزير، وتمكّنه من ناصية الحديث والرواية، وتجعله علما متفرّدا في عصره، حيث يقول : «وبوقوفك على العمدة المذكورة تعلم وتتحقق أن الأستاذ ابن عزوز كان فذّ مصره في سعة الرواية والاعتناء وعلو الاهتمام والهمة»[49].

وفاته وآثاره

وبعد عمر حافل بجلائل الأعمال، قضاه بين بذل العلم، ومحاربة الاستعمار، واستنهاض الهمم، والسعي للمّ شمل المسلمين، وافته المنية بالآستانة في صفر ١٣٣٤ هـ- ١٩١٥م، بعد أن ناهز الحادية والستين من عمره، ودفن في مقبرة (يحيى أفندي).

وكان لوفاته وقع كبير على العالم العربي والإسلامي، الذي عرف فيه المجاهد الصادق، والعالم القدوة، وتأثر لفقده معاصروه، وقد رثاه ابن اخته الشيخ محمد الخضر حسين بقصيدته[50]: ((هاهنا شمس علوم)) مطلعها:

رب شمس طلعت في مغرب

وتوارى في ثرى الشرق سناها

هاهنا شمس علوم غربت

بعد أن أبلت بترشيش ضحاها[51]

ومما قال فيها:

بفؤادي لوعة من فقدها

كلما أذكره اشتدّ لظاها

أيها الراحل قد روعتنا

بفراق حرم العين كراها

عرج الناعي على أندية

كنت إن وافيتها قطب رحاها

طب مقاما (يا ابن عزوز) فقد

كـنت تـعـطـي دعـوة الحق مـنـاهـا

كما رثاه الشيخ الطيب العقبي عند وفاته، وكانت هذه القصيدة أول مرثية له، حيث ذكر أنّه لم يرث أحدا قبله، وأنها تعبير عن عمق الصداقة التي ربطت بينهما «وكان ممن يعزّ عليّ كثيرا لما بيني وبينه من المؤانسة وعظيم الوداد» ومما قال فيها:

هي الدار في أحداثها تتجرّم
سرور فأحزان فعرس فمأتم
حنانيك! إنا للمنية عرضة
وكل ابن أنثى فَهْوَ للموت مسلم
أمات (ابن عزوز) وأودت علومه
أم الركن ركن الدين أمسى يهدّم
أبا مصطفى قد هاضني فيك حادث
لأمثاله قد كنتَ ترجى فيحسم
فقد غربت شمس الحقيقة بعده
وقد غاض بحر بالعلوم غطمطم
فابكيه يا دار الخلافة واندبي
فقد كان في تلك البروج يقدم
وابكيه يادار الفنون فقد غدا
بأرجائك القصوى وليدك يحرم
يبكي ويبكي درس وعظ وحكمة
وآيات تفسير تشاد وتحكم
كما قد بكى درس الحديث لفقده
وكيف ومن أخلاقه يتعلم
عليك سلام الله حيًا وميتا
فآخر عدي أنني بك مغرم[52]

كان الشيخ محمد المكي بن عزوز علامة عصره في مختلف العلوم والفنون، حوى صدره معارف جمّة، فكان أشبه بموسوعة علمية حوت بين دفتيها كلّ عجيب وطريف ونادر، كما كان غزير التأليف أيضا، وقد خلف آثارا كثيرة في مختلف العلوم : كالحديث، وعلوم القرآن، والفقه، والتوحيد، والتصوّف، والفلك، والأدب، والشعر، والسيرة، والتاريخ، وغيرها، ومن بين مؤلفاته:

١- رسالة في أصول الحديث[53].

٢- السيف الرباني في عنق المعترض على الغوث الجيلاني[54].

٣- الجوهر المرتب في العمل بالربع المجيب، في الفلك.

٤- إقناع العاتب في آفات المكاتب .

٥- بروق المباسم في ترجمة محمد بن أبي القاسم، صاحب زاوية الهامل ببوسعادة.

٦- تلخيص الأسانيد: في الحديث.

٧- عمدة الأثبات في الاتصال بالفهارس والأثبات: في رجال الحديث، ألفه عام ١٣٣٠هـ.

٨- شرح بهجة العاشقين وروضة الأنوار للعارفين، وهي شرح لمنظومة والده.

٩- هيئة الناسك في أن القبض في الصلاة مذهب الإمام مالك : في الفقه[55].

١٠- الصفح السعيد في اختصار الأسانيد: منظومة في الحديث.

١١- طريق الجنة في تحليات المؤمنات بالفقه والسنة .

١٢- الذخيرة السنية في الخزانة المدنية[56].

١٣- مورد المحبين في أسماء سيد المرسلين[57].

١٤- مغانم السعادة في فضل الإفادة على العبادة.

١٥- الرحلة الهاملية.

١٦- اختصار الشفا للقاضي عياض.

١٧- النصح المتين في زلقات العامة وبعض المتطلبين.
١٨- نظم جمع الجوامع.
١٩- تعديل الحركة في عمران المملكة.
٢٠- التفصيل الجامع في رفع الأصوات بالأمداح في المجامع.
٢١- نظم الجغرافيا التي لا تتحوّل بمبالغة الدول.
٢٢- الحق الصريح في المناسك على القول الصحيح: في مناسك الحج.
٢٣- الذخيرة المكية: في الهيئة.
٢٤- إسعاف الإخوان في جواب السؤال الوارد من داغستان.
٢٥- أصول الطرق وفروعها وسلاسلها.
٢٦- انتهاز الفرصة في مذاكرة متفنن قفصة.
٢٧- الإيوان في مذاكرة الأحبة بالقيروان
٢٨- التنزيه عن التعطيل والتشبيه في التوحيد.
٢٩- الفائدة في معنى وإعراب سورة المائدة.
٣٠- تهذيب التفاسير القرآنية.
٣١- مما لم يتم: عمدة الشيوخ في الناسخ والمنسوخ.
٣٢- إرشاد الحيران في خلافة قالون لعثمان: في القراءات.
٣٣- السقاية فيما ليس برأس آية.
٣٤- الأجوبة المكية عن الأسئلة الحجازية، وهي أسئلة رفعها إليه الشيخ عبد الحفيظ القارئ عالم الطائف، والتمس الجواب عنها في القراءات[٥٨].
٣٥- ديوان شعر، يبلغ عدد أبياته ثلاثة آلاف بيت، سماه حفيده (شعاع الأدب).
٣٦- الاحتواء في جواب من سأل عن الاستواء: في التوحيد.
٣٧- إنارة الحوالك في أن الرفع في الصلاة مذهب الإمام مالك .
٣٨- الإنصاف في تحريم الصور ولو مأخوذة بالفوتوغراف.
٣٩- تذكرة المنصفين في أن المكتشفات الجديدة لا تكذب الدين.
٤٠- حزم اليقظان في أن الصلاح والفساد يسريان من الخلان.
٤١- رد الذاهب فيما يقلد وما لا يقلد من مسائل المذاهب.
٤٢- شرح حديث كميل بن زياد في الرد على الطبيعيين.
٤٣- عقيدة الإسلام : في التوحيد[٥٩].
٤٤- فتح الخلاق في استكمال الإسلام لمحاسن الأخلاق.
٤٥- رفع النزاع في بيان معنى التقليد ومعنى الاتباع.
٤٦- التفريح بحل الإشكال في صلاة التراويح.
٤٧- حقيقة الأمر في تحريم البيرة والتداوي بما فيه الخمر .
٤٨- تنظيف الوعا من سوء الفهم في آية **﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾**.
٤٩- رائد النجعة فيمن تعجب من قولنا السدل بدعة.
٥٠- فتح السلام في نجاة من لم تبلغهم دعوة الإسلام.
٥١- الرياض البواسم في رواية حفص عن عاصم: في القراءات.
٥٢- القول القيم في حال ابن تيمية وابن القيم.
٥٣- طريق السلامة في هيئات الناس يوم القيامة.

٥٤- السلوى والمن في مواضع حسن الظن وسوء الظن.

٥٥- كشف الباس في كلمات يقولها كثير من الناس.

٥٦- فتح القيوم في وجوب الفاتحة على المأموم.

٥٧- الزلف في ترجيح تقويض السلف على تأويل الخلف.

٥٨- التقرار المهذب في حل تراجم الجوهر المرتب[10].

٥٩- مروي الظماء في قوله تعال: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾.

٦٠- النسمة الحجازية في المذاكرة البنغازية.

٦١- الهلال في بيان حركة الإقبال.

٦٢- طي المسافة إلى دار الأمن من المخافة.

٦٣- مزيل الإشكال في آية ﴿**ولو أسمعهم**﴾ في سورة الأنفال.

٦٤- النفح المسكي في قراءة ابن كثير المكي.

٦٥- المسك الأزفر في بيان الحج الأكبر.

٦٦- النجدة في زجر من تهاون بأحكام العدة.

٦٧- النصيحة في الصلاة المفروضة صحيحة.

٦٨- المقالات العزوزية في الأدب.

٦٩- المنبهات لحكم ذبائح القبور والمزارات.

وله - إضافة إلى هذه المؤلفات الغزيرة - مقالات كثيرة، كان ينشرها في عدد من الجرائد والمجلات، التي كانت تصدر في عدد من العواصم العربية والإسلامية كالحاضرة، والزهرة، وثمرات الفنون، والمقطم، والأهرام، والمؤيد، والهلال، وغيرها، عالج فيها صاحبها مواضيع متنوعة: دينية وأدبية واجتماعية وتاريخية.

وبعد، فهذه قراءة سريعة، حاولنا فيها أن نجلي بعض جوانب شخصية الشيخ محمد المكي بن عزوز، الذي كان - بحق - مفخرة من مفاخر الجزائر في العصر الحديث. فقد كان - رحمه الله - عالما فذًا، متعدد المواهب، مصلحا مجددًا، مناضلا غيورا على أمته ودينه ووطنه، وهب حياته للعلم والدين والثقافة، وظلّ - سنين طويلة - يربي الأجيال، ويبث العلم في الصدور، ويجاهد بلسانه وقلمه، حتى شاع ذكره في الآفاق، وترك آثارا طيبة في النهضة العربية الحديثة في شمال إفريقيا بخاصة، والعالم الإسلامي بعامة. ■

●●●

الحواشي

١ الدر المكنوز:٢.

٢- تعريف الخلف برجال السلف: ٤٨٢/٢.

٣- راجع ترجمته في: معجم أعلام الجزائر:٢٣٢، تعريف الخلف برجال السلف:٤٨٢/٢، التحفة المرضية في الدولة البكداشية:٧٩، نهضة الجزائر الحديثة: ١٤٥/١، مجلة الثقافة: ع١٠٧-١٠٨/١٤٦.

٤- تعريف الخلف برجال السلف:٤٨٢/٢.

٥- راجع ترجمته في: معجم أعلام الجزائر:١٠٢، هدية العارفين: ٥٠٣/١، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون: ١٥٠/٢، معجم المؤلفين:٩٠/٥.

٦- تعريف الخلف برجال السلف: ٤٨٣/٢، ونهضة الجزائر الحديثة: ١٤٥/١.

٧- تاريخ الجزائر العام: ٢٤٩/٤.

٨- نهضة الجزائر الحديثة: ١٤٥/١.

٩- المصدر نفسه: ١٤٥/١.

١٠- راجع ترجمته في: معجم أعلام الجزائر: ٢٣٢، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية:٣٩١.

١١- المنهج السديد في التعريف بقطر الجريد:١٣١، مخطوط.

١٢- راجع ترجمته في: تاريخ الجزائر العام: ٢٢٠/٤.

١٣- المصدر نفسه:٣٢٣/٤.

١٤- إتحاف أهل الزمان:١٦٨/٥

١٥- محمد الخضر حسين حياته وآثاره :٢٤، ٢٥.
١٦- تراجم الأعلام :١٩٠.
١٧- تعريف الخلف برجال السلف: ٤٨٣/٢.
١٨- فهرس الفهارس والأثبات: ٨٥٦/٢.
١٩- العقيدة الإسلامية : ٢١.
٢٠- المرجع نفسه :٢٢.
٢١- نهضة الجزائر الحديثة:١٤٦.
٢٢- شرح العقيدة الإسلامية . :٢٣.
٢٣- فهرس الفهارس والأثبات :٨٥٦/٢.
٢٤- محمد الخضر حسين حياته وآثاره:٢٥.
٢٥- تاريخ الجزائر العام :٤٠٦/٤، نهضة الجزائر الحديثة:١٤/١.
٢٦- نهضة الجزائر الحديثة:١٤٦.
٢٧- هو معهد تابع لزاوية الخامل التي أسسها محمد بن أبي القاسم الهاملي (١٨٢٣ ١٨٩٧-م) قرب مدينة بوسعادة جنوب الجزائر عام(١٢٨٠هـ - ١٨٦٣م). وقد اكتسب شهرة واسعة لما كان يشتمل على مختلف مراحل التعليم الابتدائي، والثانوي، والعالي. تخرّجت فيه أجيال عديدة من العلماء والفقهاء والدعاة والمربين، وقد بلغ أوج شهرته وازدهاره وذاع صيته في المغرب العربي كله أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الهجري (راجع: نهضة الجزائر الحديثة :٥٤/١، زوايا العلم والقرآن بالجزائر:١٥٧.
٢٨- نهضة الجزائر الحديثة :١٤٦/١.
٢٩- المصدر نفسه:١٤٦/١.
٣٠- من أشهر ثورات الطريقة الرحمانية : ثورة محمد المقراني والشيخ بلحداد عام ١٨٧١م، وثورة لالا فاطمة نسومر، وثورة الشريف محمد الأمجد المعروف ببوبغلة وغيرها كثير.
٣١- نهضة الجزائر الحديثة :١٤٦/١.
٣٢- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية : ٤٢٣.
٣٣- فهرس الفهارس والأثبات :٨٥٦/٢، نهضة الجزائر الحديثة:١٤٦/١.
٣٤- شعراء الجزائر في العصر الحاضر:١٣٨/٢.
٣٥- فهرس الفهارس والأثبات :٨٥٧/٢.
٣٦- شرح العقيدة الإسلامية:٢٧.
٣٧- تاريخ الجزائر العام:٤٠٠/٤, ٤٢٥، ٤٤١.
٣٨- محمد الخضر حسين، حياته وآثاره:٣٣.
٣٩- محمد المكي بن عزوز حياته وآثاره: ١٥٦/١.
٤٠- شجرة النور الزكية:٤٢٣.
٤١- فهرس الفهارس والأثبات :٨٧٨/٢.
٤٢- أولو الأمر، مجلة الشهاب، مج ١٥/ج٨. وآثار عبد الحميد بن باديس :٤٢٣/٥.
٤٣- الرحلات :٩٤.
٤٤- فهرس الفهارس والأثبات :٨٧٨/٢.
٤٥- المصدر نفسه:٨٦١/٢.
٤٦- المصدر نفسه :٨٥٦/٢.
٤٧- المصدر نفسه:٨٦٠/٢.
٤٨- المصدر نفسه:٨٧٧/٢.
٤٩- المصدر نفسه:٨٧٩/٢.
٥٠- خواطر الحياة:١٨٠.
٥١- يقصد بها تونس.
٥٢- شعراء الجزائر في العصر الحاضر: ١٣٨/٢.
٥٣- طبعت في الآستانة سنة ١٣٣٢هـ، ونشرت أيضا ضمن ((رسائل ابن عزوز)) بدمشق سنة ١٤٠٤هـ.
٥٤- طبع في المطبعة الرسمية في تونس سنة ١٣١٠هـ، وطبع مرة ثانية ضمن((رسائل ابن عزوز)) بدمشق سنة ١٤٠٤هـ.
٥٥- طبعت بمطبعة روشن بالآستانة سنة ١٣٢٧هـ، وطبعت مرة ثانية ضمن كتاب ((مرشد الخائض في صلاة العادل والقابض)) بالقاهرة سنة ١٣٨٢هـ، وطبع مرة أخرى ضمن((رسائل ابن عزوز)) بدمشق سنة ١٤٠٤هـ.
٥٦- نشر ضمن كتاب((رسائل ابن عزوز)) التي أشرف على جمعها علي رضا الحسيني، وصدرت الطبعة الأولى منها عن الدار الحسينية بدمشق سنة ١٤٠٤هـ.
٥٧- طبع ضمن كتاب (محمد المكي بن عزوز حياته وآثاره)، لصاحبه علي رضا الحسيني، الصادر بدمشق سنة ١٤١٧هـ.
٥٨- طبعت في القاهرة سنة ١٣٢٢هـ بالمطبعة الحميدية، ونشرت مرة ثانية ضمن ((رسائل ابن عزوز)) بدمشق سنة ١٤٠٤هـ.
٥٩- ضبطها وصححها وشرحها مجد بن أحمد مكي، ونشرتها دار البشائر ببيروت، صدرت طبعتها الأولى سنة ١٤٢١هـ.
٦٠- طبع بالمطبعة التونسية الرسمية سنة ١٣٠٢هـ.

المصادر والمراجع

- آثار ابن باديس لعبد الحميد بن باديس، ط١، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، لأحمد بن أبي الضياف، تح. أحمد عبد السلام، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٨٥م.
- **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**، لإسماعيل باشا البغدادي، ط٢، استانبول، ١٩٤٧م.
- **تاريخ الجزائر العام**، لعبد الرحمن الجيلالي، ط٦، دار الثقافة، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- **التحفة المرضية في الدولة البكداشية**، لمحمد بن ميمون، ت. ابن عبد الكريم، ط٢، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ١٩٨١م.
- **تراجم الأعلام**، لمحمد الفاضل ابن عاشور، تونس، ١٩٧٠م.
- **تعريف الخلف برجال السلف**، لأبي القاسم الحفناوي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- **ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين**، ليحيى بوعزيز.
- **الدر المكنوز في سيدي علي بن عمر، وسيدي ابن عزوز**، لعبد الرحمن بن الحاج، مطبعة النجاح، قسنطينة - الجزائر، د.ت.
- **ديوان خواطر الحياة**، لمحمد الخضر حسين، القاهرة، ١٩٥٣م.
- **الرحلات**، لعلي الرضا الحسيني، ط١، الدار الحسينية للكتاب، دمشق، ١٣٩٦هـ.
- **زوايا العلم والقرآن بالجزائر**، لمحمد نسيب، دار الفكر، الجزائر، د.ت.
- **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، لمحمد مخلوف، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- **شعراء الجزائر في العصر الحاضر**، لمحمد السعيد الزاهري، مطبعة النهضة، تونس، ١٩٢٧م.
- **العقيدة الإسلامية**، لمحمد المكي ابن عزوز، تح. مجد بن أحمد مكي، ط١، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢١هـ.
- **فهرس الفهارس والأثبات**، لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- **محمد الخضر حسين**، حياته وآثاره، لمحمد مواعدة، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٤م.
- **محمد المكي بن عزوز حياته وآثاره**، لعلي الرضا الحسيني، ط١، الدار الحسينية، دمشق، ١٤١٧هـ.
- **معجم أعلام الجزائر**، لعادل نويهض، ط٣، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- **معجم المؤلفين**، لعمر رضا كحالة، طبعة دمشق، ١٩٥٧م.
- **المنهج السديد في التعريف بقطر الحديد**، لإبراهيم خريف، مخطوط مكتبة السيد البشير خريف - تونس.
- **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، لمحمد علي دبوز، ط١، المطبعة التعاونية، الجزائر، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.
- **هدية العارفين أسماء المؤلفين**، لإسماعيل باشا البغدادي، ط٢، المكتبة الإسلامية، طهران - إيران، ١٣٨٧هـ.

شيخ الإسلام محمد المكي بن عزوز نضاله السياسي ونشاطه العلمي

القذائف والأسلحة النارية في الحضارة الإسلامية

الدكتور/ **علي جمعان الشكيل**
جامعة صنعاء - اليمن



ترددت أقوال متباينة حول اختراع البارود. وشاع في زمن مضى الرأي القائل: إن الصينيين هم الذين اخترعوه. والحقيقة أن الصينيين عرفوا البارود في القرن التاسع قبل الميلاد، إلا أن للمسلمين قصب السبق في استخدامه في الأمور الحربية، منذ حوالي القرن السادس الهجري، وهم الذين وضعوا نظرية تركيب البارود المندفع، وأول من استخدموه في الحروب[1][2].

وترددت أقوال كثيرة أخرى منها أن روجر باكون الإنجليزي، أو شوارتز الألماني، أو مارك اليوناني المجهول، هو صاحب الاختراع، إلا أن الأيام برهنت زيف هذا القول. وأكد رينو وفافيه بعد اكتشاف مخطوطات قديمة اختراع المسلمين للبارود كقوة دافعة، وبذلك اخترعوا الأسلحة النارية[3]. ودافع كثير من الكتّاب عن هذا القول لوهن الحجج التي يستند إليها ناسبو هذا الاختراع للأوروبيين على وجه الخصوص.

لقد استخدم البارود في سنة ١٢٧٣م عندما فتح السلطان أبو يوسف بلاد المغرب. ويستشهد جوستاف لوبون وغيره، تأييدا لاعتناقهم القول: إنّ المسلمين أول من استخدم البارود، بفقرة من تاريخ ابن خلدون، يقول فيها في وصف هجوم السلطان أبي يوسف على سجلماسة:

«ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق والعرادات وهندام النفط (استعمل العرب كلمتي

نفط وبارود بمعنى واحد) القاذف بحصى الحديد، ينبعث من خزانة أمام النار الموقدة في البارود، بطبيعة غريبة ترد الأفعال إلى قدرة بارئها. فأقام حولها، يفاديها القتال ويراوحها، إلى أن سقطت ذات يوم على حين غفلة طائفة من سورها، بإلحاح الحجارة من المنجنيق عليها، فبادروا إلى اقتحام البلدة، فدخلوها عنوة من تلك الفرجة».

وقيل إن أهل مراكش استعملوا الأسلحة النارية في محاربتهم سرقوسة عام ١١١٩م[٤].

وتتساءل المستشرقة زيغفريد هونكه[٥] في كتابها الرائع (شمس العرب تسطع على الغرب) هل كانت القذائف التي استقبل بها القائد المصري فخر الدين، صديق فريدريك الثاني، الجيوش الإفرنجية وملكها القديس عام ١٢٤٩م بحفاوة وحرارة شديدتين، لدى الحملة الصليبية السابعة البائسة، هل كانت هذه القذائف إسلامية؟. لقد كتب رسول أندلسي محارب يقول:

«إنه كلما انطلقت قذيفة في الفضاء، كان التأثر يبلغ بملك فرنسا مبلغا كبيرا فيصيح بأعلى صوته:

سيدي الحبيب ، احمني وشعبي من الكارثة».

وتؤكد الدكتورة هونكه[٦] أنه لحاجة المسلمين الماسة إلى البقاء دوما في حالة دفاع واستعداد ضد العدوان الغربي دفع الحكام المسلمون كيميائييهم الطائري الشهرة إلى إجراء التجارب، وبخاصة على البارود، وغيره من المواد الكيميائية المفيدة في ساحة المعركة بشواظها ونيرانها وقوة اندفاعها وانفجارها. ففي كتاب (الحرب) لحسن الرماح[٧]، وفي غيره من الكتب التي تعالج شؤون الحرب في ذلك الزمان، دار الحديث حول المواد المتفجرة والأسلحة النارية، وحول «بيض متحرك حارق» كان ينطلق كقذائف نارية قاصفة كالرعد، «وهي أولى الرعادات (طوربيدات) المزودة بمحركات صاروخية». وعن طريق ترجمات لاتينية وصلت أولى المعلومات عن أنواع المزيج القاصف اللامع، وعن «الألاعيب السحرية في بلاد أوروبا إلى أسماع باكو وشوارتز وغيره».

لقد كتب السوري حسن الرماح، الذي كان أستاذا في العلوم الحربية، وكان سليل عائلة من المتخصصين في الفنون الحربية، كتابه عن الحرب أو الناريات حوالي ١٢٨٠م، ووصف طريقة تنقية نترات البوتاسيوم، وهي المادة المتفجرة في صناعة البارود، وشرح ضرورة تنقيته، وجعلها العملية الجوهرية في تلك الصناعة، وعزا قلة استعمال البارود لصعوبة تنقيته[٨].

وعرب الأندلس هم أول من استعمل القذائف النارية في أوروبا لأهداف عسكرية، فأصبحوا بذلك أساتذة الأوربيين أيضاً في هذا الحقل، وبهذا بلغوا في التعليم حدًّا أثار العجب. ففي الأعوام ١٣٢٥،١٣٣١،١٣٤٢، أثارت القذائف العربية النارية في كل من معركة بازا وأليكانت والجزيرة الهلع الكبير، والخوف الكاسح المؤذن بنهاية العالم بين صفوف الأعداء. وبعد أربع سنوات؛ أي في عام ١٣٤٦م، وفي معركة كرى الشهيرة، قررت مصير المعركة أنبوبة الشيطان، تلك التي بثت الذعر في قلوب الإنكليز لدى معركة الجزيرة، فحسمت تلك المعركة بالانتصار الكاسح على جيوش الفرسان الفرنسية. وبهذا السلاح الجديد العجيب ابتدأ عصر جديد أيضا بالنسبة

إلى الحروب، ووقف العالم فاغرًا فاه تعجباً من سرعة تقدمه الهائلة، كما هي الحال منذ الحرب العالمية الثانية[٩].

وكتب الأستاذ عيد ضيف العبادي[١٠] عن عثوره على بعض المخطوطات العربية القديمة، وعلى بعض الأدوات الحربية، التي كانت تستخدم في القرن الثامن الهجري، مما يثبت الفضل للمسلمين في استخدام أسلحة في الحروب منها القنابل والسهام النارية. وتشير المخطوطات العسكرية العربية إلى أن فكرة (الطلقة) وجدت عند المسلمين، واستخدمت بصورة بدائية، حيث كان يوضع رمح طويل، بجانبه أجنحة، على شكل قواعد، ومساند للسهام التي توضع عليها، وتجعل هذه السهام، التي تكون صغيرة الحجم بالنسبة للقاعدة التي تحملها، على كبسولة بارود، مربوطة فوقها، معبأة وفق مقاييس دقيقة من المواد الكيميائية، إضافة إلى أن البارود مربوط بفتيلة إشعال، تحرق عندما يراد إطلاق السهم، وتنطلق العبوة مع السهم، الذي يحملها بقوة الدفع البارودي، ويندفع السهم بقوة نحو العدو، بصورة تشبه الطلقات النارية الحديثة. أما تركيب العبوة التي تحمل السهم فهو:

١٠	دراهم	بارود
٣	دراهم	كبريت
١	درهم	فحم

ووجدت تراكيب أخرى تحمل المواد نفسها مع إضافات أخرى واختلافات قليلة في الوزن.

ومن سمات الحضارة الإسلامية البارزة تلك الأخوة بين المسلمين، وذلك الانصهار والتلاحم التام، حتى لا يكون فضل لأحمر على أسود إلا بالتقوى. تذوب بذلك القوميات والعصبيات والأجناس، ولا يبقى إلا الانتماء إلى الإسلام، والعمل على المشاركة في بناء صرحه الشامخ، وازدهار دولته. يقدم المسلم كل ما عنده من سخاء وتجرد. ويتيح أداء فريضة الحج، ولو مرة واحدة في العمر، فرصة التقاء آخرين من جنسيات أخرى، ولكنهم جميعا مسلمون. فتتراوح الأفكار وتتلاقح القرائح، وتنتقل التقنيات والمعارف من جنس إلى جنس، ومن قطر إلى آخر، دون حدود أو حواجز. هكذا انتقل كثير من المعارف من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب.

من الأفكار التي انتقلت فكرة بناء خندق حول المدينة في غزوة الخندق . تلك الفكرة التي نقلها سلمان الفارسي رضي الله عنه من بلاد فارس ،وانتقلت في مجال الحروب أفكار أخرى وتقنيات، منها القذائف النفطية، والأسلحة النارية والمحرقة، التي لم تظهر في الجيوش الإسلامية إلا في أثناء حكم العباسيين من القرن الثاني إلى القرن السابع الهجري، حيث ظهرت في الجيوش الإسلامية فرق النفاطين، الذين يحاربون باستخدام المواد المحرقة، ويرتدون ملابس غير قابلة للاشتعال.

لخص الدكتور أحمد الحسن والدكتور دونالد هل[١١] المواد المحرقة التي استخدمت قبل العصر الإسلامي فيما يأتي:

١- النفط السائل المتوافر في العراق وإيران وسواحل بحر قزوين.

٢- سوائل القار.

٣- خلائط القار والصمغ والكبريت.

٤- خلائط من الجير والكبريت تشتعل بملامسة الماء.

٥- خلائط من الجير والكبريت مع مواد مشتعلة أخرى كالقار والنفط وغيرها.

انتقلت تقنيات هذه المواد واستخداماتها إلى المسلمين منذ القرن الثاني الهجري، ولكن تمت تطورات مهمة على المسلمين في هذا المجال، وظهرت في كثير من الحروب المحلية، أو الحروب ضد الروم، وفي الفتوحات الإسلامية. ورث المسلمون تقنيات المواد الحربية من الحضارات التي سبقتهم، فصنعوا منها قذائف محرقة ومتفجرة، وأسلحة نارية متطورة وراقية، مقابلة بما هو معروف في زمانهم.

الأسلحة النارية الإسلامية:

يعزو بعض المؤرخين[١٢] السر الجديد في القذائف المحرقة والمتفجرة الإسلامية إلى وجود البارود، إضافة إلى إتقانهم تصفية النفط، والحصول منه على مواد سريعة الاشتعال واختراع تطبيقات جديدة مريعة[١٣] كالقدور النارية، والسهام، والأحجار، والصناديق، والأكر، والكرازات، والرماح، والدبابيس، والقوارير، والنصول المرسمة بالنفط، والزاقات، والكلس وغيرها.

استخدم المسلمون عقول علمائهم ومهندسيهم البارعين في تطوير الأسلحة النارية والمتفجرة، وحصلت تطورات غير عادية في القرن الخامس الهجري بصورة خاصة، حتى قيل: إن القنابل والمتفجرات استخدمت في كل المعارك التي خاضها صلاح الدين الأيوبي منذ٥٦٧هـ(١١٣٩م)، وأن القنابل المتطورة التي استخدمها أدت إلى وضع نهاية حقيقية للحروب الصليبية.

سنستعرض فيما يأتي بعض أهم الأسلحة النارية في الإسلام، كالقدور، والسهام، وأحجار المنجنيق النارية، والمزاريق، والسهام، والكرازات، والبرطام، وغيرها.

قدور النفط:

تعدّ قدور النفط من أشهر الأسلحة النارية الإسلامية، وكانت في زمانها أكثر رعبا من صواريخ سكود في عصرنا الحاضر. استخدمت هذه القدور في معركة المنصورة عام ٦٤٧هـ(١٢٤٩م) عندما وقع لويس التاسع ملك فرنسا أسيرا في أيدي المسلمين. قال أحد ضباط لويس التاسع واصفا ذلك السلاح الناري[١٤]:

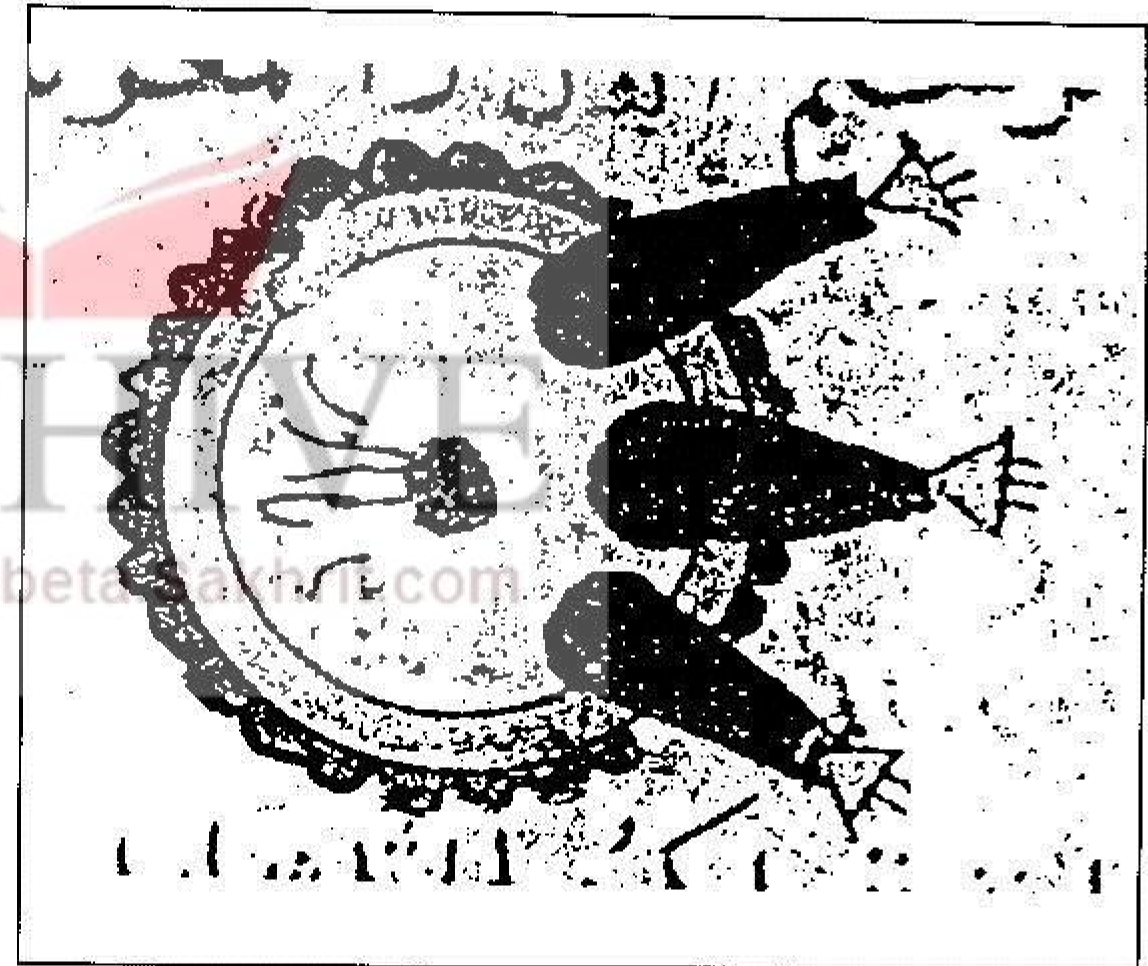
«إنها أداة ضخمة، لها ذيل في طول الرمح العظيم، ويشبه صوتها الصوت الذي أحدثه الرعد الهادر، وبدت كغول مرعب عظيم، يطير في الهواء، معطية ضوءًا شديدًا، نستطيع به الرؤية في معسكرنا بوضوح كضوء النهار الساطع، وعندما سقطت انفجرت وانسكب منها سائل اشتعل كلسان من اللهب كبير.. إن من يرى هذا يشعر أنه فاقد عمره لا محالة».

استخدمت قدور النفط في الحصار، وعرف منها القدور العراقية والمغربية والعجمية.

يصف أرنبغا الزردكاش[١٥] كيفية صناعة القدر العراقي، فيقول:

«يؤخذ أربعون قنا (صمغ قنا)، وأربعون وشق، وأربعون حصى لبان، وأربعون حلتيت، وأربعون علك صنوبر، وأربعون سندروس، يحل الزقات كلهم بقليل من النفط الخوزي، يطعم العشار،

يدهن الرخامة بالنفط، وينزل الجميع إلى الرخامة، ويخدمه (يخلطه) عليها، ويأخذ سندروس مجرمش (محبب، غير مسحوق) ويعلفه، ويأخذ قدرة (مدورة) من الفخار، ويفتح لها ثلاث شواريق (جمع شاروق، أي فتحة داخلية جانبية) وثلاث منافس، ويبيضها بالزفت، ويصب الزاقات في القدرة، ويأخذ ثلاث عزاور مطاولات يملؤها نفطاً، ويعمل على رأس كل عزور وردة اللباد- ولا يسد فم العزور - ويغرز في الزاقات، ويطلع الوردات من الشواريق، ويطلع من كل شاروق أكريخ (فتيلة) عراقي مقلي بكبريت، ويضرب عليها شبك من الشريط»



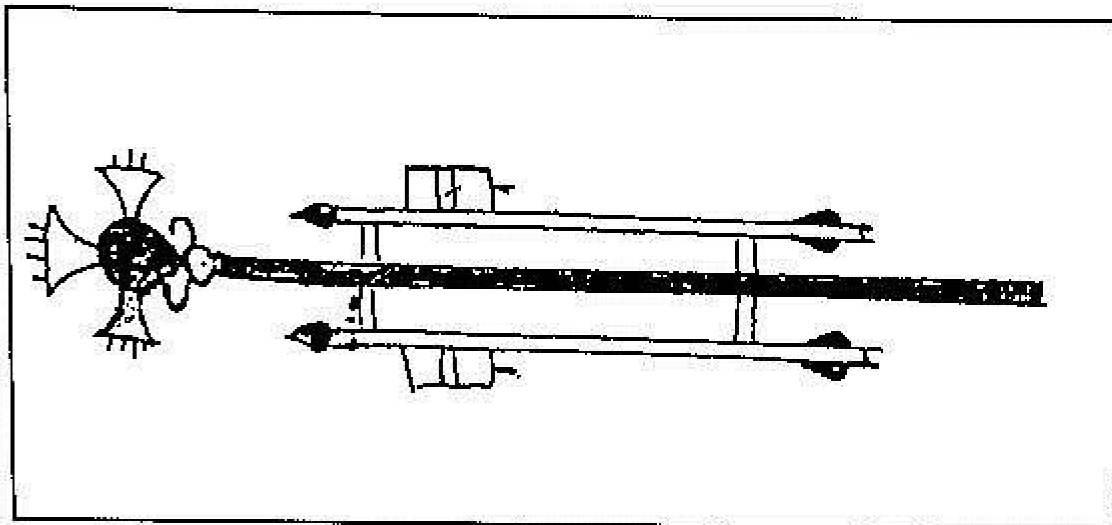
شكل (١) قدر عراقي

ويذكر أرنبغا الزردكاش[١٦] أنواعاً أخرى من القدور، استخدمت كأسلحة نارية، منها قدر مخاسفة مضربين، وقدر منتن المخاسفة، وقدرة الجير التي تملأ بكلس مصفى يطلع غباره إلى مناخير الأعداء وعيونهم، فلا يستطيعون القتال، ويؤخذون قبضًا باليد، وقدرة المخرم، وقدرة الصنوبر، وقدر مخفي، وقدر سقوط، والمركب: وهو قدر ترمى فيها حيات تستخدم في مهاجمة العساكر في المراكب. وهناك قدرة الخلط للمراكب، ترمي الكيماويات المخلوطة بالصابون فيتزحلقون في المراكب، وهذه ترمى قبل قدرة الحيات»[١٧].

وترمى القدور[١٨] على العدو من المنجنيقات والعرادات، وهي قدور مدورة لا أعناق لها، لها فم داخلي من حديد أو نحاس، ليمسك الصمام على نحو حجر المنجنيق، وكان يوضع فيها نفط بعد ماء مدبر. ثم تشعل فيها النار، ويسد ثقبها، ثم يرمى بها عن المنجنيق، فإنها إذا وقعت انفتحت عن نار مهلكة، لا تأتي على شيء إلا جعلته كالرميم. يضاف إلى هذا أن النفاطين كان يرشون أرض بلاد العدو وحصونه بذلك الماء، فإنه إذا اشتم رائحته من أي جهة مثل الشمع أو القنديل، فإنه يشتعل في الحال.

السهام والصواريخ:

عرف المسلمون الصواريخ التي تحمل المواد النارية، واستخدموها بكثرة وصنعوها، واستخدموا النفط والبارود كقوة دافعة لها؛ لتحملها إلى أهدافها، وتحمل معها القنابل والمتفجرات. وتشعل الفتائل للقنابل والسهام قبل إطلاقها. وقد أعطوا تعليمات دقيقة وواضحة عن المواد المصنوعة منها، والمتفجرات المستخدمة، والمسافات التي تقطعها، والأوزان التي تحملها[١٩]. ويوضح شكل (٢) أحد هذه السهام.



شكل (٢) يمثل السهام المستخدمة في الحرب

ووصف صاحب كتاب (الأنيق في المناجيق) بعض هذه السهام، وطريقة صنعها وتدبيرها[٢٠]، وكيفية إرسالها، فذكر سهم منجنيق مخفيًّا، وسهم منجنيق نجميًّا، وسهم منجنيق بتسييع، وسهم خطائي وغيرها. وقيل عن السهم الخطائي إنه يكاد أن يخرق الحجر من قوته[٢١]، ويستخدم البارود والفحم والكبريت في صناعته[٢٢].

أحجار المنجنيق:

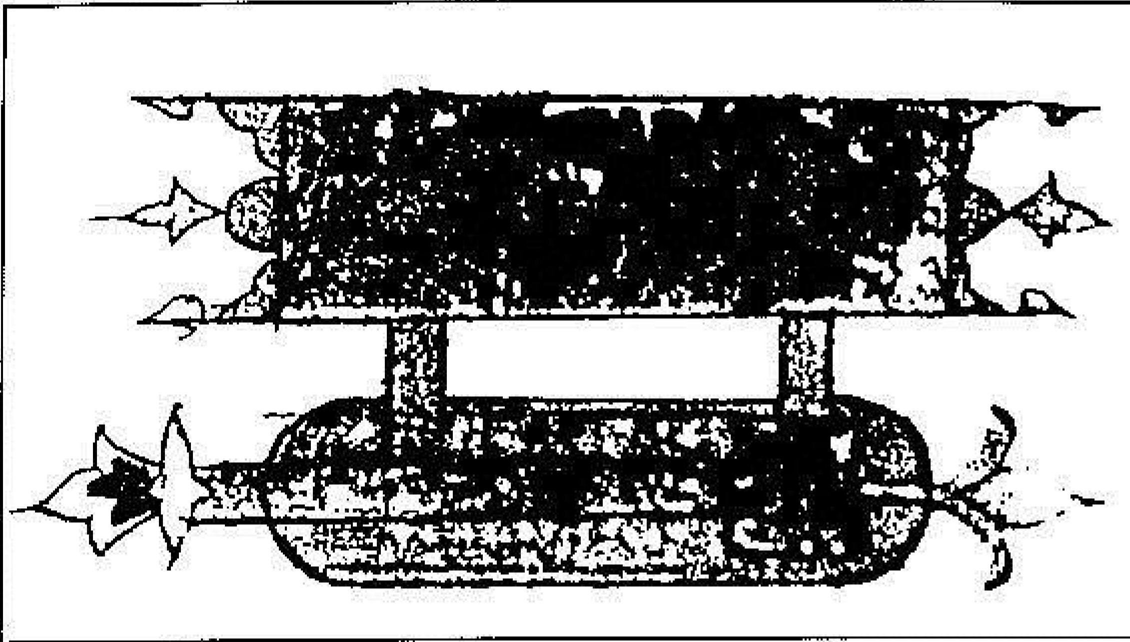
كانت المنجنيقات في بداية اكتشافها ترمي أحجاراً كبيرة إلى مسافات قصيَّة، ولكن المسلمون طوروا هذه القذائف، وأدخلوا فيها النفط أحيانا، والبارود أحيانًا أخرى، وهما معًا في بعض الأحيان. وصنعوا أحجارًا متفجرة قاتلة[٢٣].

وصف ارنبغا الزردكاش[٢٤] حجر منجنيق مخرم، فقال:

«تأخذ نحاساً وتسبكه مثل حجر المنجنيق المجوف، وتملؤه دواء حد (بارود!!)، وتجرنه (أي تصنع فيه جرنًا في باطن الحجر) بذخيرة مؤقتة في باطنه، وتعطيه النار، فإنه إذا صرخ يطلع منه كل شقفة، وترسله يقتل الجماعة». كما ذكر أحجاراً أخرى متفجرة للمنجنيق[٢٥]، مثل حجر منجنيق لزاقة الدبقي خام حجر منجنيق دبقي خام، وأحجار مجانيق مختلفة.

المزاريق:

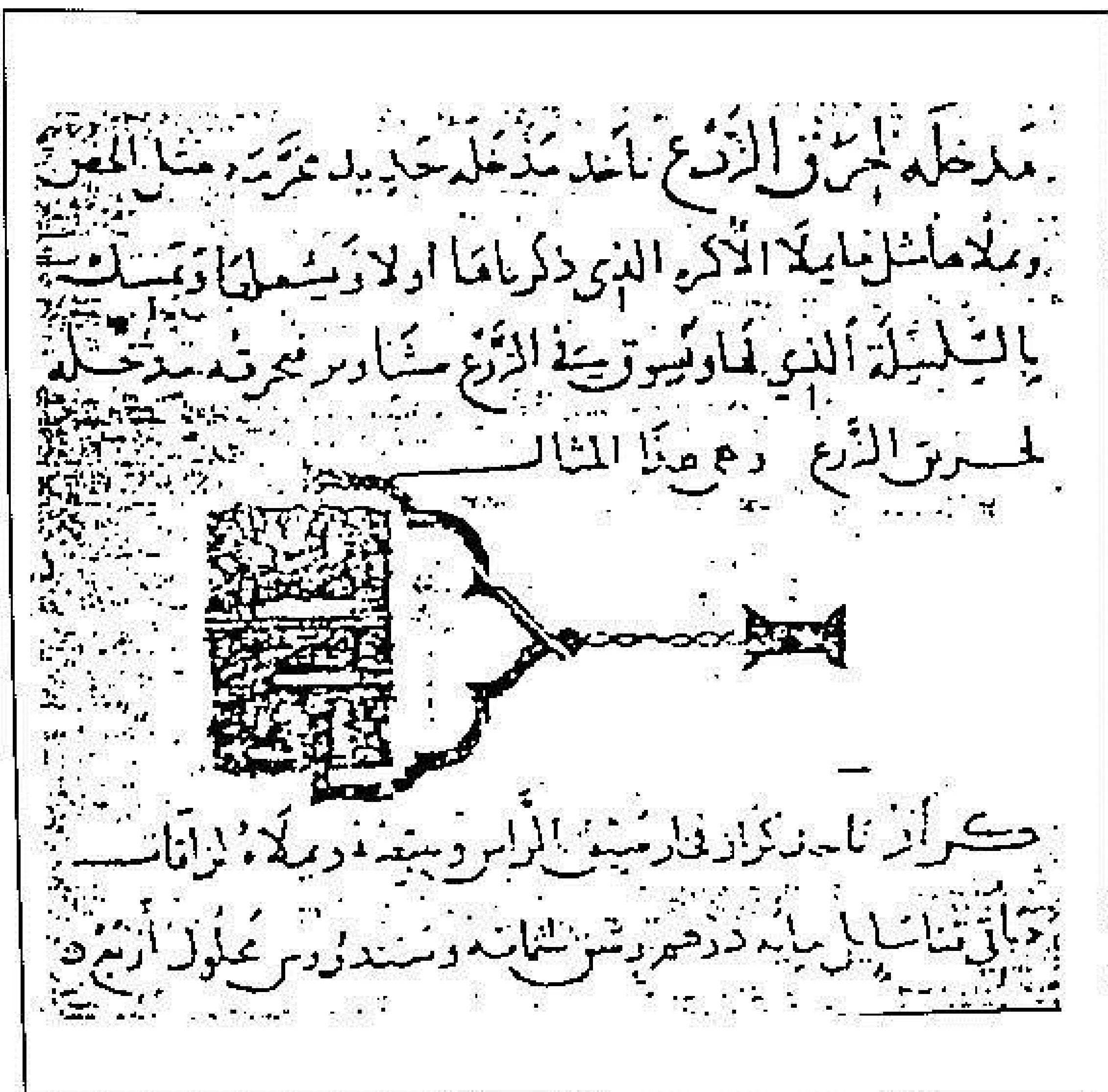
المزراق[٢٦] عود من خشب مجوف، أو صندوق من نحاس، له أنابيب، يجعل في قصبته ماء مهلك أو نفط حارق، ويكون في الحالة الأولى قصد المزراق وجه الخصم أو الدابة. ذلك من صفة هذا الماء المدبر أن يذهب البصر، وقد يكون المزراق من قنا بطول الرمح، وفيه سنان، فيكون كهيئة الرمح، لكنه مجوف، وفيه ماء مهلك. أما الحالة الثانية، فيرمى به من الكاحل (المدافع)، ويعمل على رأس المزراق وردة (ذخيرة) وتشعلها، وتطلع بالمدفع فيطلع منه شهاب نار بطول رمح، فيحرق به خصمه.



شكل (٣) يمثل مزراقًا يستخدم مدفعًا في الحروب

أكرة لحرق الزرع:

تؤخذ أكرة[٢٧] حديد مخرمة، ويعمل لها باب يفتح ويغلق، ويحط جواها قصاصة لباد محمصة، وحب القطن محمص، وتوز، وتسقيه بالنفط، وتشعله، وتمسك سلسلة الأكرة، ويشق بالفرس في الزرع مشاوير فتحرقه.



شكل (٤) يمثل أكرة لحرق الزرع

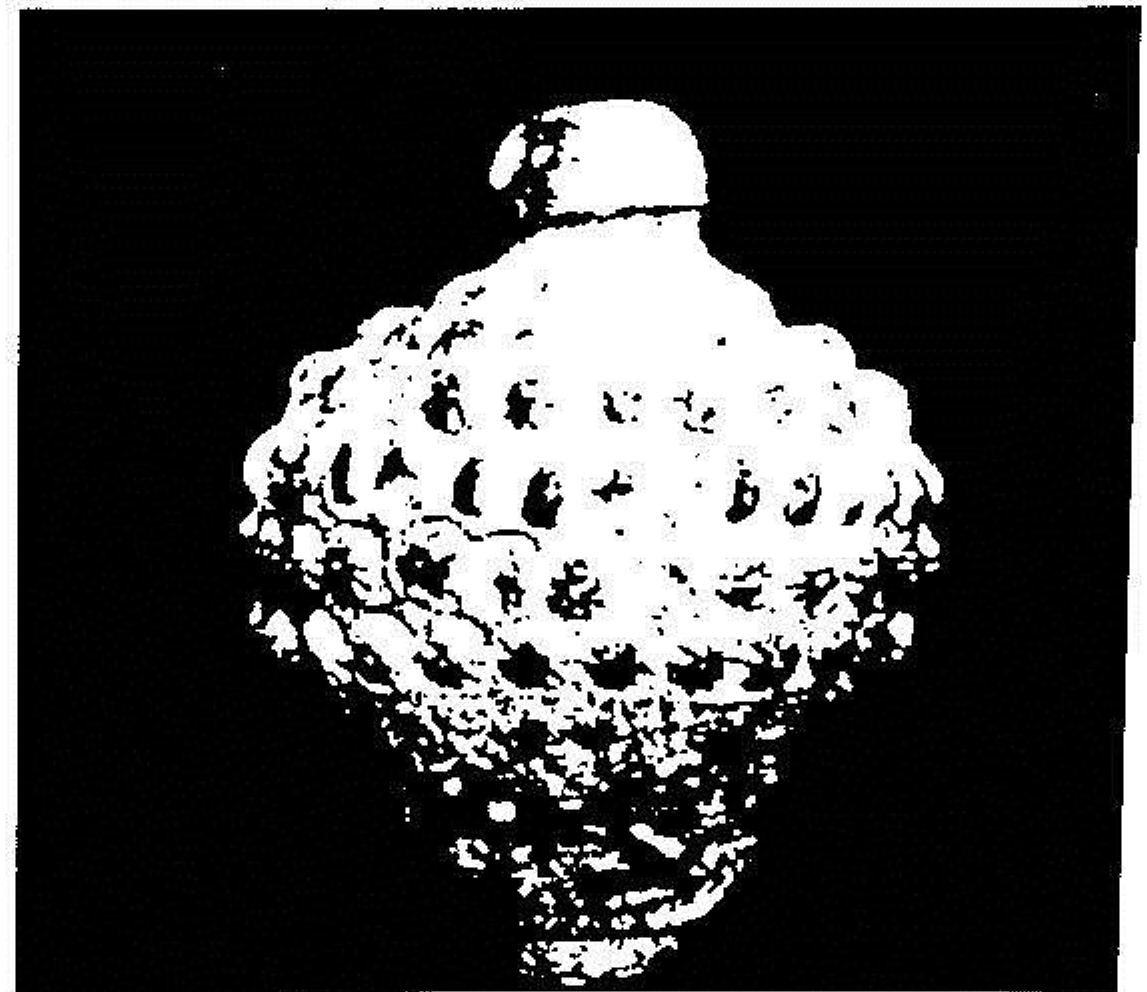
القنابل والكرازات:

تصنع الكرازات أو القنابل من الخزف أو الزجاج، وتتميز بصغر حجمها. وقد وجد أنواع منها في مصر وسوريا وفلسطين من بقايا الحروب الصليبية . وقد أثبت فحصها كيميائياً بدقة وجود البارود (نترات البوتاسيوم) فيها[٢٨].

ويعطينا ارنبغا الزردكاش[٢٩] تفاصيل تقنية عن صناعة كراز، فيقول:

«تأخذ كراز فخار ضيق الرأس، وبيضة بياض (بارود) وأملأه لزاق دبقي- وهو قنا سائل - ويملط بطعم خام، وحلتيت، ولامية،ويحل، ويعلف بالنفط على الهدوء، ويضاف إليه قصاصات توز، وحب القطن، ويملأ، ويرسم، وتوضع في الكراز وردة (ذخيرة) لباد، وعلى أجناب الكراز ثلاث عزاور زجاج ملآنات نفط، وفي رأسه وسفله ورقات لباد، ويسقى ويستعمل».

يوضح شكل (٥) القنبلة في العصور الإسلامية، لاحظ تشابهها مع القنبلة اليدوية في العصر الحديث من حيث الشكل ، ومن حيث وجود تحززات وقطع تتناثر عند الانفجار.



شكل (٥) يمثل كرة لحرق الزرع

البرطام:

وعرف المسلمون من الأسلحة النارية البرطام . وقد وصف صاحب كتاب (الأنيق في المناجيق)[٣٠] صنعته، فقال:

«تأخذ قطعة زجاج مدورة، وفي سفلها عزاور زجاج ، ويضرب عليه شبكة شريط، ويعمل في أطباق ثلاث عزاور مدورة، ويملأهم نفط، ويرسمهم باللباد، ويقلدهم ويملأ البرطام لزقات دباقي، وبذور، وقنا سائل، وحلتيت، وصبر سقطري، ولامية، ويحل بالنفط، ويكثر عليه النفط ويملؤه، ويملأ بذر قرطم مقشور، ويسد رأس البرطام، ويرسمه باللباد، ويعمل له سلسلة حديد، ويشعله، ويهويه، ويكسره».

وعرف المسلمون أسلحة نارية أخرى كالرمح والقوارير النفطية والنصول وغيرها.

قدور الدخان:

استخدم المسلمون قذائف دخانية[٣١] لإرعاب عدوهم من ناحية،وحمل الأبخرة السامة التي تعمي العيون وتسد آلات التنفس . وقد حرصوا على أن تكون تلك الأدخنة بألوان مختلفة منها الأبيض والأحمر والأصفر والأزرق. ومن تلك الأدخنة ما تحمل النيران أيضاً، واستعملوا في صناعة تلك الأدخنة والنيران البارود والكبريت والفحم وبعض الأصباغ كالنيل، وحتى الملح في حالة الرغبة في الحصول على نار صفراء.

ويوضح الجدول (١) الخلطات المطلوبة لعمل أدخنة بألوان مختلفة. لاحظ أن إدخال النيل (صبغة زرقاء) على الدخان الأصفر أعطى دخاناً أخضر، مما يدل على معرفة المسلمين الجيدة بخلط الألوان.

جدول رقم (١)								
	بارود	كبريت	فحم	زرنيخ	نيل	مقدح عراقية	مغرة	لك
دخان أصفر	١٠	٠,٧٥	٠,٧٥	١٢	-	-	-	-
دخان أزرق	١٠	٠,٥٠	-	١١	٠,٦٧	-	-	-
دخان أحمر	١٠	٠,٥٠	٠,٦٧	-	-	٠,٢٥	٨	-
دخان أبيض	١٠	٠,٥٠	-	٥	٢	-	-	-
دخان أخضر	١٠	٠,٥٠	٠,٥٠	٥	٢	-	-	-

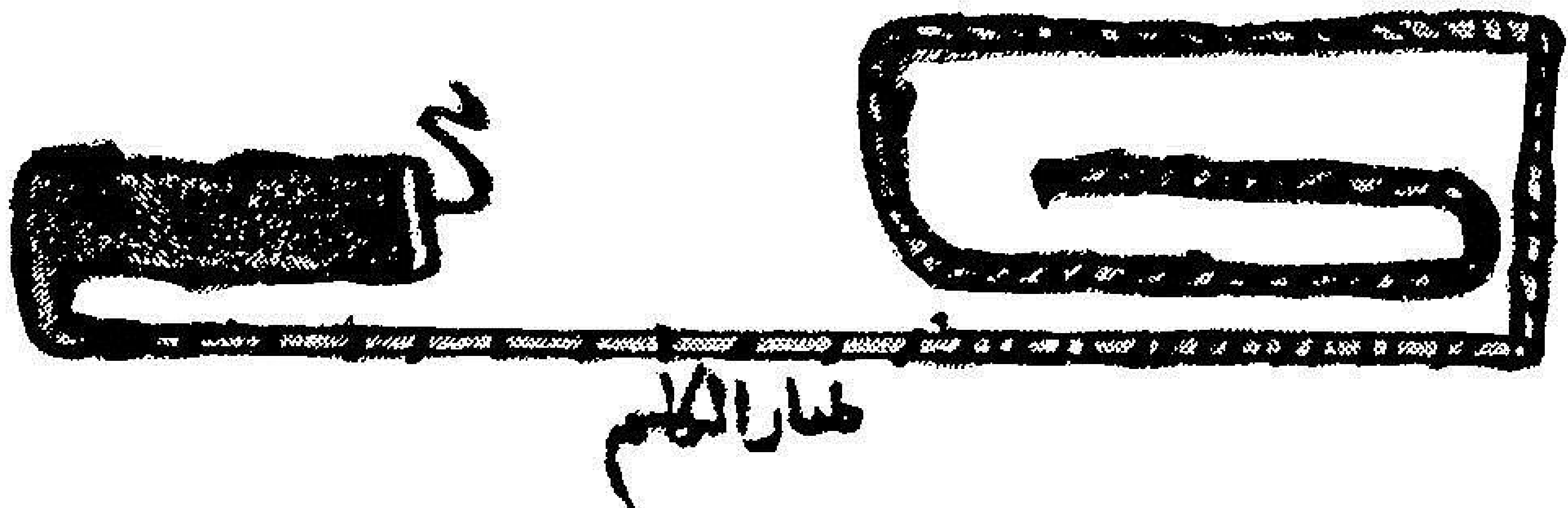
جدول (١) الخلطات المطلوبة لعمل أدخنة بألوان مختلفة. لاحظ أن إدخال النيل (صبغة زرقاء على الدخان الأصفر أعطى دخاناً أخضر، مما يدل على معرفة المسلمين الجيدة بخلط الألوان.

الذخيرة:

تطلق كلمة ذخيرة عند المسلمين على القطن أو اللباد الذي تشعل فيه النار، وتسير إلى قلب القدر أو الكراز أو السهم، فتؤدي إلى اشتعاله وانفجاره[٣٢]. والأكراخ أو الكرنج والوردة حبل القطن أو اللباد لم يُجوّد برمه، مغطى بطبقة من الشمع، ومواد أخرى مشتعلة، وربما استخدم فيه الكبريت والبارود والفحم أيضاً (انظر شكل ٦). وسيجد القارئ تفاصيل عن أنواع الذخيرة، وطريقة صنعها، في كتاب (الفروسية والمناصب الحربية) للأستاذ حسن الرماح، الخبير في الفنون الحربية، وهو أيضاً ولد ونشأ وترعرع في أسرة تشربت هذا العلم وفنونه.

البارود:

البارود هو نترات البوتاسيوم، وكان يعرف بالأشوش والملح الصيني[٣٣]، لكنه عرف أيضاً بالشيها وملح الحائط وثلج الصين. ولعل هذا مما يؤكد أصوله الصينية. وكانت تنقيته هي الخطوة التي لا يمكن تخطيها نحو استعماله في صناعة المتفجرات والأسلحة النارية. وقد وصف الأستاذ حسن الرماح طريقة محكمة لتنقيته وبلورته[٣٤] كما أعطى أكثر من سبعين خلطة دخل



شكل (٦) يمثل الذخائر المستخدمة في الحرب

في تركيبها، ويبين لكل منها استخدامات محددة، على الرغم من أن خلطة ما قد تصلح لأغراض شتى. ويسمى البارود في الخلطات الحربية الإسلامية: الأبيض، والكبريت: الأصفر: والفحم: الأسود.

الوقاية من القذائف النارية:

استخدم المسلمون بعض المواد التي تقاوم فعل النفط، وتمنع الحرائق[٣٥]، وذكروا منها:

(١) الطين المخلوط بالبورق والنطرون.

(٢) الخطمي المعجون بالخل.

(٣) الجلود أو اللبود المبللة بالخل أو الماء والشب والنطرون.

المدافع:

أورد صاحبا كتاب (التكنولوجيا الإسلامية)[٣٦] تاريخ صناعة المدفع وتطورها، من بداية متواضعة، كان الغرض منها بث الذعر في صفوف الأعداء وتخويفهم، إلى صناعة تلك المدافع الضخمة التي استخدمها العثمانيون عام ٨٥٧هـ(١٤٥٣م)، وسقطت بسببها اسطنبول في أيديهم، كذلك المدفع العملاق الذي يبلغ قطر فوهته ٨٨ سنتيمتراً، والذي تزن الدانة التي يطلقها أكثر من ٢٧٠ كيلو جرام. (انظر شكل ٧).

سمّى المسلمون تلك المدافع في بداية صناعتها المكاحل، تشبيهًا بالمكحلة التي يحفظ فيها الكحل. وصف حسن الرماح[٣٧] في كتابه الشهير (الفروسية والمناصب الحربية) صنع الذخيرة التي تدك في المدفع (المكحلة) بقوله:

«تؤخذ عشرة دراهم من البارود، ودرهمان من الفحم، ودرهم ونصف درهم من الكبريت، وتسحق جيدًا حتى تصبح كالغبار، ويملأ فيها ثلث المدفع، خوفاً من انفزاره، ويصنع الخراط من أجل ذلك مدفعاً من خشب تناسب جسامة فوهته، وتدك الذخيرة فيه بشدة، ويضاف عليها إما بندق (كرات رصاص)، وإما نبل، ثم تشعل، ويكون قياس المدفع مناسباً لثقبه، فإذا كان عميقاً أكثر من اتساع الفوهة بدا ناقصاً».

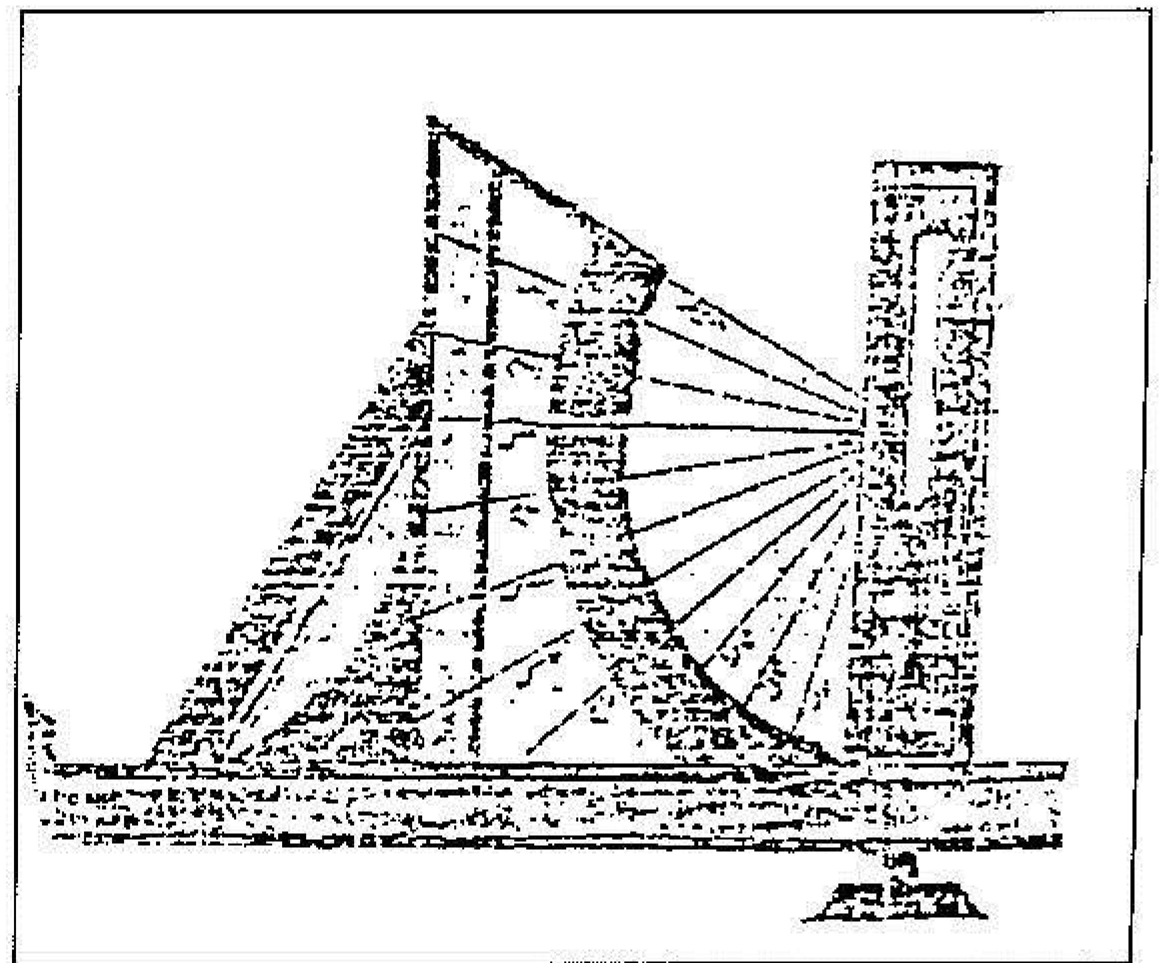


شكل (٧)

صورة تمثل المدافع التي استخدمها الجيش العثماني في القرن العاشر الهجري (١٦م) في حصار القلاع الهنغارية. الصورة من متحف طوبكابي في اسطنبول

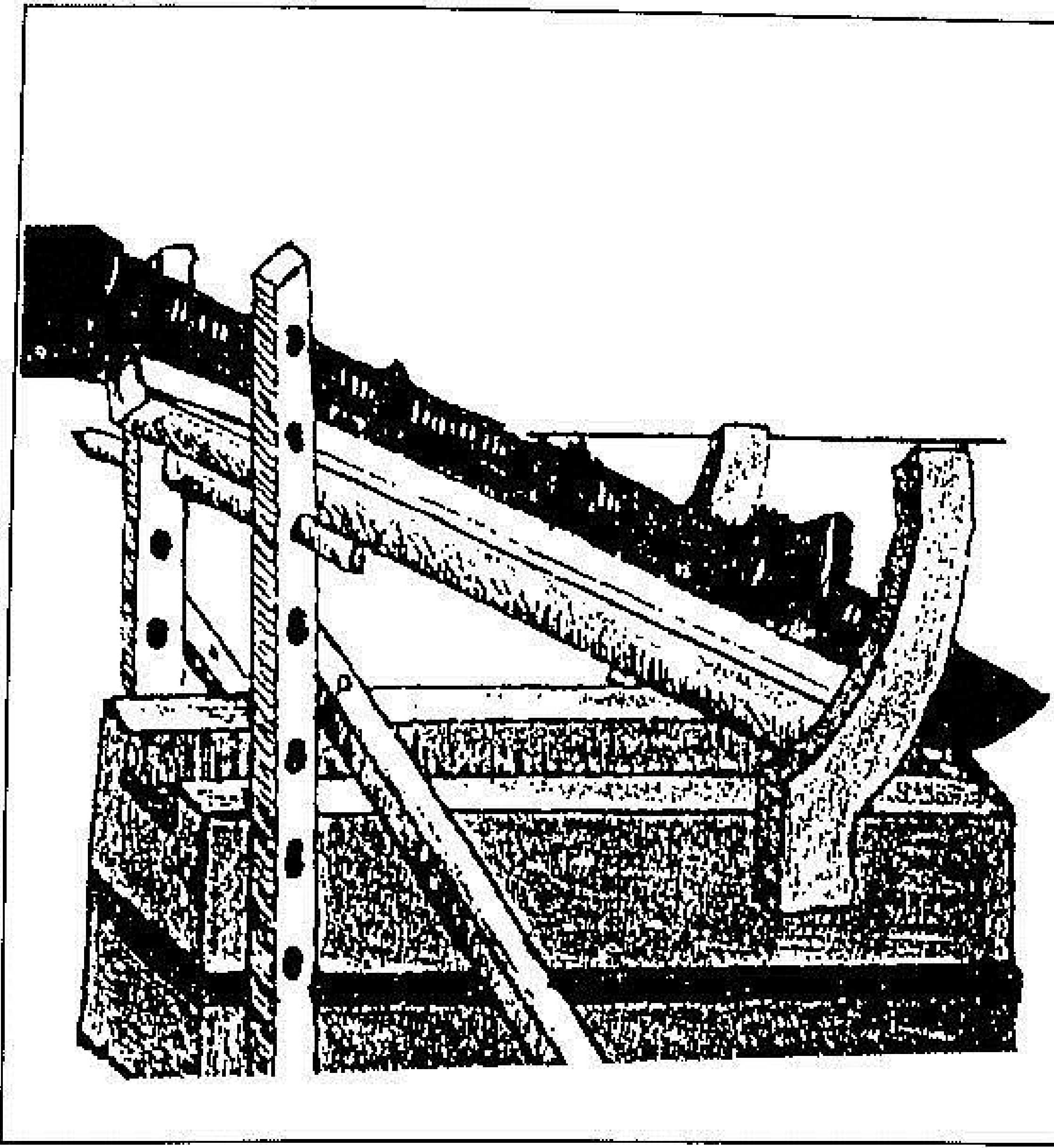
إذًا كانت الخطوة الأولى الحصول على بارود نقي، وكانت الخطوة الثانية الوصول إلى خلطه بالكبريت والفحم للحصول على مادة متفجرة، قادرة على الانفجار وحمل قذيفة إلى مدى، وإحداث صوت مدوي. أما الخطوة الثالثة فهي صناعة مدفع بدائي بماسورة من خشب ، وقذيفة صغيرة من الرصاص في حجم البندق . ثم توالت التطورات واستبدلت الماسورة الخشبية بأخرى معدنية، وكبر حجمها حتى صار قطر فوهتها ٨٨ سم أو تزيد. وزاد وزن القذيفة من تلك البندقة الصغيرة إلى كرة ساخنة تزن أكثر من أربع مئة كيلوجرام . وأصبح ذلك المدفع من الكبر بحيث يحتاج إلى أكثر من ألف رجل وأكثر من سبعين ثورًا لتحريكه فقط، ويبلغ مدى قذائفه حوالي كيلومترين ونصف.

وعندما كبرت المكحلة احتاجت إلى قاعدة لحملها ومقاييس لدقة الرمي بها، وسموها القنداق (شكل ٨)، ويرمى بها على خطوط معروفة ، وهي بين كل فرجة من الخطوط ثمانية خطوط، وكل خط يبعد بمقدار منزلة[٢٨].



شكل (٨)

يمثل القنداق وهو نوع من السلاح المستخدم في الحرب



شكل (٩)

مدفع إسلامي على قاعدته الخشبية كما ورد في كتاب (الغزو والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع) لابن الفقيه الأندلسي.

الخاتمة :

مما لاشك فيه أن اختراع الطلقة وتنقية البارود واكتشاف القذائف الصاروخية والبارودية والنارية واحدة من أهم الاختراعات على الإطلاق في تاريخ التكنولوجيا. بسبب تطويره انهارت دول وقامت حضارات . وهو من الأهمية بمكان إلى درجة يسهل معها موازنته باختراع السلاح النووي في العصر الحديث، الذي غيّر مجرى التاريخ وطور استراتيجيات الحروب. ولعل الفارق الكبير بين اختراع القذائف البارودية والقذائف النووية هو السرعة التي تم بها تطوير السلاح النووي، الذي أخذ بضع سنوات مقابلة مع عدة قرون قضاها المسلمون في معالجة الأسلحة النارية والبارودية. ■

الحواشي

١- الكيمياء في الحضارة الإسلامية: ١٣٨ -١٤١
٢- شمس العرب تسطع على الغرب: ٥٠
٣- علوم المسلمين أساس التقدم العلمي الحديث: ٧٢-٧٣
٤- الكيمياء عند العرب: ٨٢
٥- المصدر نفسه.
٦- المصدر نفسه.
٧- شمس العرب تسطع على الغرب:٤٩، علوم المسلمين أساس التقدم العلمي الحديث: ٧٤
٨- علوم المسلمين أساس التقدم العلمي الحديث: ٧٥
٩- شمس العرب تسطع على الغرب: ٥١
١٠- مجلة التربية القطرية : ٦٥
١١- التكنولوجيا الإسلامية: ١٠٦
١٢- التكنولوجيا الإسلامية : ١٠٨
١٣- الأنيق في المناجيق : ١٠٨-١٣٩
١٤- التكنولوجيا الإسلامية : ١١١-١١٢
١٥- الأنيق في المناجيق :١٠٨-١٠٩
١٦- الأنيق في المناجيق : ١٠٨-١١٧
١٧- الأنيق في المناجيق : ١٣٢
١٨- الأنيق في المناجيق : ١١٦ نهاية السؤال: ٢/٦٤٣، ٦٤٤
١٩- التكنولوجيا الإسلامية : ١١٧
٢٠- الأنيق في المناجيق : ١١٨-١٢٥
٢١- صبح الأعشى: ٢/١٤٤
٢٢- الأنيق في المناجيق : ١٢٥
٢٣- الأنيق في المناجيق : ١١٨-١٢٥
٢٤- الأنيق في المناجيق : ١٢١
٢٥- الأنيق في المناجيق : ١١٩-١٢٢
٢٦- الأنيق في المناجيق : ١٢٣-١٢٤
٢٧- الأنيق في المناجيق : ١٢٦
٢٨- التكنولوجيا الإسلامية: ١٠٩
٢٩- الأنيق في المناجيق : ١٢٧-١٢٩
٣٠- الأنيق في المناجيق : ١٣٠
٣١- الأنيق في المناجيق : ٩٩-١٠٦
٣٢- الأنيق في المناجيق : ١١٠، التكنولوجيا الإسلامية: ١١٧، التذكرة: ١/٦٨
٣٣- التذكرة: ١/٦٧-٦٨
٣٤- التكنولوجيا الإسلامية: ١١٥
٣٥- تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي: ١٦٩-١٧٠
٣٦- التكنولوجيا الإسلامية: ١١٣-١١٥
٣٧- الأنيق في المناجيق : ١٠٠
٣٨- الأنيق في المناجيق: ٨٧
٣٩- العرب أول من صنع المدفع، العربي الصغير: ع١٠/١٩.

المصادر والمراجع

١. **الأنيق في المناجيق**، تح. د. نبيل محمد عبد العزيز.
٢. **الكيمياء في الحضارة الإسلامية**، للدكتور علي الشكيل.
٣. **تاريخ الحضارة الإسلامية** والفكر الإسلامي، للدكتور أبو زيد شلبي .
٤. **تذكرة أولي الألباب الجامع للعجب العجاب**، لداود الأنطاكي .
٥. **التكنولوجيا الإسلامية**، لأحمد الحسن ودونالد هل.
٦. **شمس العرب تسطع على الغرب**، لزيغفريد هونكه.
٧. **صبح الأعشى** ، للقلقشندي.
٨. **علوم المسلمين أساس التقدم العلمي الحديث**، لجلال مظهر.
٩. **الكيمياء عند العرب**، لروحي الخالدي.
١٠. **الكيمياء في الحضارة الإسلامية**، للدكتور علي الشكيل.
١١. **نهاية السؤال**، لمحمد بن عيسى.

وسائل الإنعاش وقصص لأموات عادوا للحياة في التراث الطبي العربي

الدكتور/ محمود الحاج قاسم محمد
الموصل - العراق

مفهوم الموت والحياة في التراث الطبي العربي :

الموت والحياة هذان النظامان المتناقضان المتناويان، واللغزان المحيّران لكل البشر، حتى الفلاسفة والعلماء والأطباء، يرتكزان بشكل أساسي على مسألة الروح، التي لم يدرك الإنسان كنهها في الماضي، ولن يدركها أبدًا، يقول تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[1].

لذا بقي مفهوم الموت ودلائله مثار حيرة واختلاف قديمًا، وللأطباء العرب والمسلمين آراء في تحديد أسباب الموت والعلامات التي تنبئ بقرب حصوله، على سبيل المثال نكتفي بذكر قول أحدهم:

يقول علي بن العباس المجوسي (كان حيًّا قبل ٣٨٤هـ/٩٩٤م) في أسباب الموت:

«إنَّ الموت يكون لفساد اعتدال الحرارة الغريزية، فينبغي أن تعلم أنّ فسادها يكون إما عن أسباب متحركة من داخل البدن، وإمَّا عن أسباب واردة عليه من خارج. فأما الأسباب المتحركة من داخل فتكون إما بسبب آليتها وإما بسبب كيفيتها، وإما فساد مادتها. فأما سبب فساد آليتها فيكون إما لآفة تعرض للدماغ أو للقلب أو للكبد، فإن الدماغ إذا فسد بطلت القوة المحرمة النافذة منه إلى الصدر، فيبطل التنفس وتنطفئ الحرارة الغريزية، والقلب إذا فسد بطلت القوة الحيوانية التي كان القلب يجذب بها الهواء من الرئة، والكبد إذا فسدت بطلت القوة المولدة للدم، الذي هو مادة الحرارة الغريزية»[2].

ثم يفصل الكلام فيعدد أسباب الموت، وهي لا تختلف كثيرًا عما هو معروف لدينا اليوم، وهي كما يقول : كتناول بعض الأدوية السامة، التعرض

للبرودة والانجماد، تناول المخدرات والمسكرات، نزيف الدم الشديد، الجوع والعطش الشديدين، انضغاط العروق والشرايين في الأبدان السمينة (ما نسميه تصلب الشرايين)، الفرح الشديد المفاجئ، تعرض الدماغ أو القلب أو الصدر لجراحة تبلغ تجاويفها، الرعب والفزع بغتة، الغرق بالماء، الاختناق إما بالدخان أو انسداد طرق التنفس، لدغ الهوام، طول المكث في الحمام أو في الشمس في زمن الحر...الخ.

وقد اعتمد منذ القديم في تشخيص الموت وتفريقه عن الحياة على بعض ذوي التجارب والأطباء الذين كانوا يستندون في تحديد ذلك على بعض العلامات الخارجية، وعلى توقف القلب عن النبض، وتوقف الدم عن الدوران، والرئتين عن التنفس، بينما لم يعد ذلك مقبولاً اليوم في كل الحالات، وبخاصة بعد اكتشاف الأجهزة الحديثة التي تبقي ضربات القلب مدة ما حتى بعد موت الإنسان[٢].

اهتم الأطباء العرب والمسلمون بمسألة التأكد من حدوث الموت، واشتهر عنهم أنهم كانوا يمعنون النظر، ويدققون فيمن ظُنَّ أنه مات، وحذق بعضهم في تحري الأعراض وملاحظة العلامات التي تنفي الموت (كما سنرى فيما بعد)، وفي حالة تيقنهم من احتمال وجود بقية من حياة لم يألوا جهدًا في القيام بإسعافه وإنعاشه، وعلى الرغم من كون محاولاتهم متواضعة إلا أنَّها كانت ذات نتاج لا بأس بها في معظم الحالات.

قصص من عادوا للحياة من الأموات:

لقد ورد في كتب التراث الطبي العربي أكثر من قصة عن أشخاص ظَنَّ أهلهم أنهم ماتوا بالسكتة، فغسلوهم، وكفنوهم، ثم اكتشف الأطباء الفطنون بعد ذلك أنهم لا يزالون أحياء.

وكذلك ورد فيها حكايات عديدة، عن أشخاص دفنوا خطأ، وهم لمّا يقضوا نحبهم.

نستعرض فيما يأتي من توصلنا إليهم من الذين تم إنعاشهم بعد أن ظهرت عليهم دلائل الموت، وغيرهم ممن دفنوا أحياء:

أولاً: الحالة التي عالجها صالح بن بهلة

عندما مرض إبراهيم بن صالح (ابن عم الرشيد) فحصه الطبيب جبرائيل بن يختيشوع، قال: «إنّه خلّفه وبه رمق ينقضي بآخرة وقت صلاة العتمة، فاشتد جزع الرشيد لما أخبره، وأقبل على البكاء، نصحه جعفر بن يحيى باستدعاء صالح بن بهلة الطبيب الهندي، وتوجيهه إلى إبراهيم بن صالح، ومضى صالح إلى إبراهيم حتى عاينه وجس عرقه، ثم أخبر الرشيد بأنه سوف لن يموت».

«ولما كان وقت صلاة العتمة، ورد كتاب صاحب البريد بمدينة السلام يخبر بوفاة إبراهيم بن صالح على الرشيد، فاسترجع، وأقبل على جعفر بن يحيى باللوم في إرشاده إياه إلى صالح بن بهلة، وأقبل يلعن الهند وطبعهم».

«وبكر الرشيد إلى دار إبراهيم ... وصالح بن بهلة بين يدي الرشيد»، ثم حلف صالح بن بهلة بالأيمان الغليظة قائلاً: «تدفن ابن عمك حيًّا، فوالله يا أمير المؤمنين ما مات، فأطلق لي الدخول عليه والنظر إليه ... فأذن له بالدخول على إبراهيم وحده. قال أحمد: قال لي أبو سلمة: فأقبلنا نسمع صوت ضرب بدن بكف، ثم انقطع ذلك الصوت، ثم سمعنا تكبيرًا، فخرج إلينا صالح وهو يكبر، ثم قال: قم يا أمير المؤمنين

حتى أريك عجبًا، فدخل الرشيد وأنا ومسرور الكبير، وأبو سلمة معه، فأخرج صالح إبرة كانت معه، فأدخلها بين ظفر إبهام يده اليسرى ولحمه، فجذب إبراهيم بن صالح يده وردها إلى يديه. فقال صالح: يا أمير المؤمنين، هل يحس الميت بالوجع؟ فقال الرشيد : لا، فقال له صالح: لو شئت أن يكلم أمير المؤمنين الساعة لكلمه. فقال له الرشيد: فأنا أسألك أن تفعل ذلك، فقال: يا أمير المؤمنين، أخاف إن عالجته وأفاق وهو في كفن فيه رائحة الحنوط أن ينصدع قلبه فيموت موتًا حقيقيًا.... ولكن تأمر بتجريده من الكفن .. وإعادة الغسل عليه حتى تزول رائحة الحنوط عنه، ثم يلبس مثل ثيابه التي كان يلبسها في حال صحته وعلته، ويطيب... ويحول إلى فراش من فرشه التي كان يجلس وينام عليها، حتى أعالجه بحضرة أمير المؤمنين، فإنه يكلمه من ساعته... قال أبو سلمة: فوكلني الرشيد بالعمل بما حدّه صالح، ففعلت ذلك. ثم صار الرشيد وأنا معه ومسرور وأبو سليم وصالح إلى الموضع الذي فيه إبراهيم، ودعا صالح بن بهلة بكندس (نوع من العطور النفاذة) ومنفخة من الخزانة، ونفخ من الكندس في أنفه، فمكث مقدار ثلث ساعة، ثم اضطرب بدنه وعطس، وجلس قدام الرشيد، وقبل يده، وسأله عن قصته، فذكر أنه كان نائمًا نومًا لا يذكر أنه نام مثله قط طيبًا... وعاش إبراهيم بعد ذلك دهرًا، ثم تزوج العباسة بنت المهدي، وولي مصر وفلسطين، وتوفي في مصر وقبره فيها»[٤].

لقد اعتمد صالح بن بهلة على حس الألم والمنعكسات؛ ليستدل على استمرار الحياة، أما بخصوص الوسيلة التي اتبعها في الإنعاش فتتمثل باستعمال المنفاخ واللجوء إلى مادة (الكندس) دفع بها إلى الطرق التنفسية بوساطة المنفاخ؛ لإثارة التنفس ومضاعفته وتزويد المريض بالهواء[٥].

ثانيًا - الحالة التي عالجها ابن جميع

يقول ابن أبي أصيبعة : «حدثني بعض المصريين أن ابن جميع (من أبناء القرن الرابع الهجري/ الثاني عشر الميلادي) كان يومًا جالسًا في دكانه عند سوق القناديل بفسطاط مصر، وقد مرت جنازة، فلما نظر إليها صاح بأهل الميت، وذكر لهم أن صاحبهم لم يمت، وأنهم إن دفنوه فإنما يدفنوه حيًّا... ثم قال بعضهم هذا الذي يقوله ما يضرنا، إننا نمتحنه، فإن كان حقًّا فهو الذي نريده، وإن لم يكن حقًّا فما يتغير علينا شيء، فاستدعوه إليهم وقالوا : بين الذي قلت لنا، فأمرهم بالمسير إلى البيت، وأن ينزعوا عن الميت أكفانه، وقال لهم احملوه إلى الحمام، ثم سكب عليه الماء الحار، وأحمى بدنه، ونطله بنطولات، وعطسه، فرأوا فيه أدنى حس، وتحرك حركة خفيفة، فقال: أبشروا بعافيته، ثم تم علاجه إلى أن أفاق وصلح... ثم سئل بعد ذلك من أين علمت، وهو محمول وعليه الأكفان، أن فيه روحًا؟ فقال: إني نظرت إلى قدميه فوجدتهما قائمتين، وأقدام الذين قد ماتوا تكون منبسطة، فحدست أنه حي»[٦].

ويبدو من هذه القصة دقة ملاحظة الطبيب العربي ابن جميع، فقد لاحظ أن قدمي من ظن ميتًا قائمتان، وهذا ينفي الموت، وإن كان انبساطه لا يؤكده[٧].

وإن ما قام به بعملية الإنعاش تصرف صحيح، فبعد أن أحمى بدن مريضه سكب على وجهه ورأسه مزيجًا من الماء وبعض المواد المثيرة والمنعشة؛ لتندفع في المجاري التنفسية العليا

وسائل الإنعاش وقصص لأموات عادوا للحياة في التراث الطبي العربي

لتنبيه عملية التنفس بعد أن جرى تنشيط الدورة الدموية.

ثالثًا- الحالة التي ذكرها ابن العماد الحنبلي

جاء في كتاب شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي في وفيات سنة ٣٩٨هـ عن وفاة البديع الهمداني صاحب المقامات:

«وقال الحاكم أبو سعيد عبد الرحمن بن دوست جامع رسائل البديع: توفي البديع رحمه الله تعالى يوم الجمعة حادي عشر جمادى الآخرة. قال الحاكم المذكور وسمعت الثقات يحكون أنه مات من السكتة، وعجل دفنه، فأفاق في قبره، وسمع صوته بالليل، وأنه نبش عنه فوجدوه قد قبض على لحيته، ومات من هول القبر»[٨].

رابعًا - الحالات التي عالجها اليبرودي

أ- إن اليبرودي (توفي بعد سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م)

«عبر يومًا سوق جيرون بدمشق، فرأى إنسانًا وقد بايع على أن يأكل أرطالاً من لحم فرس مسلوق مما يباع في الأسواق، فلما رآه، وقد أمعن في أكله بأكثر مما يحتمله قواه، ثم شرب بعده فقاعًا كثيرًا وماء ثلج، واضطربت أحواله، تفرس فيه أنه لابد أن يغمى عليه، وأن يبقى في حالة يكون الموت أقرب إليه إن لم يتلاحق، فتبعه إلى المنزل الذي له، واستشرف إلى ماذا يؤول أمره. فلم يكن إلا أيسر وقت وأهله يصيحون ويضجون بالبكاء، ويزعمون أنه قد مات، فأتى إليهم وقال: أنا أبرئه. ثم أخذه إلى حمام قريب، وفتح فكيه كرهًا ثم سكب في حلقه ماءً مغليًا، وقد أضاف إليه أدوية مقيئة، وقيّأه برفق، ثم عالجه، وتلطف في مداواته حتى أفاق وعاد إلى صحته»[٩].

ب-«وقال الطرطوشي في كتاب سراج الملوك: حدثني بعض الشاميين أن رجلاً خبازًا بينما هو في تنوره بمدينة دمشق إذ عبر عليه رجل يبيع المشمش فاشترى منه، وجعل يأكله بالخبز، فلما فرغ سقط مغشيًا عليه، فنظروه فإذا هو ميت، فجعلوا يتربصون به، ويحملون له الأطباء فيتلمسون دلائله، ومواضع للحياة منه، فلم يجدوا، فقضوا بموته، فغسل وكفّن وصُلّي عليه، وخرجوا به إلى الجبانة. فبينما هم في الطريق على باب البلد استقبلهم رجل طبيب يقال له اليبرودي، وكان طبيبًا ماهرًا حاذقًا عارفًا في الطب، فسمع الناس يلهجون بقضيته، فاستخبرهم عن ذلك، فقصوا عليه قصته، فقال حطوه حتى أراه، فحطوه فجعل يقلبه، وينظر في أمارات الحياة التي يعرفها، ثم فتح فمه وسقاه شيئًا، أو قال حقنه فاندفع هنالك فأسيل، فإذا الرجل قد فتح عينيه وتكلم، وعاد كما كان إلى حانوته»[١٠].

إنّ ما قام به اليبرودي في الحالين ما يشبه غسيل المعدة الذي نقوم به في الوقت الحاضر؛ لتفريغ المعدة من محتوياتها من الغذاء والسموم.

خامسًا - الحالات التي ذكرها عريب بن سعد الكاتب القرطبي (ت٣٦٩هـ/ ٩٨٠م)

أ- يقول عريب: «كانت بقصر الزهراء في سنة ٣٤٢هـ جارية مسلولة... فماتت بين أيدي جملة من النساء، في اعتقادهم، وانقطع نَفَسُها، وغُشي عليها، وفعل بها ما يفعل بالأموات من شدّ الفم وشدّ الذقن وتغطية الوجه، وبقيت بحالها كذا من وقت العشاء الآخرة إلى اليوم الثاني، ثم غُسلت وكفنت، ووضعت في النعش مختومة الأنفاس مغمومة الوجه في القطن والأكفان، وكان ذلك في شدة

الحر... ثم أُتي بها إلى مقبرة الربض.. فصلي عليها ودفنت، وهوى التراب على قبرها وانفض الناس... وبقي منهم من وكل بحفظ القبة المضروبة عليها، فلما كان بعد حين تحركت في القبر، وصاحت صياحًا سمعها من كان في القبة، وأشعروا الناس بخبرها، وانصرف الفتيان الذين تولوا دفنها، وانصرفت معهم والدتها، وكشف التراب عنها واستخرجت حية ناطقة، وغسل وجهها، وسقيت الماء، وتحدثت بكثير فما رأت بزعمها، وبقيت في القبة إلى الليل، ثم أتي بها دار وكيل سيدها، فباتت وأكلت الطعام وشربت الماء وتحدثت أكثر ليلتها، ونقلت بالغداة إلى بعض دور المدينة، فماتت ذلك النهار ودفنت ثانية»[11].

ب- «حكى أحمد بن مطرف الفقيه نقلاً عن جدته عن بنتها قالت: كنت جارية ابنة اثنتي عشرة سنة أو نحوها في أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم، توفي رجل من خيارنا كان ساكنًا بشرقي مقبرة بقرطبة، ولبث ميتًا بعض ليلته ويومه، وغسل وكفن وخرج بنعشه إلى المقبرة فصلي عليه... ثم خلي في لحده، فلما همّ الناس بوضع الألواح عليه تحرك في أكفانه، ففزع الناس وتفرقوا، ثم انصرفوا، وهو يتحرك، فأخرجوه من لحده وحمل إلى داره، وعاش مدة طويلة، غير أنه ذهب بصره»[12].

إذا كانت الحكاية الثانية مقبولة من حيث كون الميت في حالة غيبوبة استعاد عافيته، فإنّ الحكاية الأولى من الصعب التيقن من صحتها؛ لأنّها لا يتسنى لها أن تتنفس وهي في اللحد، وفوقها أكوام التراب، وتبقى هذه المدة الطويلة حية بكمية الهواء القليل المتبقي في اللحد.

سادسًا - الحالة التي عالجها ابن نوح

«حدثنا أبو الحسن بن المهدي القزويني قال: كان عندنا طبيب يقال له ابن نوح، فلحقتني سكتة، فلم يشك أهلي في موتي، وغسلوني وكفنوني وحملوني على الجنازة، فمرت الجنازة عليه ونساء خلفي يصرخن، فقال لهم: إنَّ صاحبكم حي فدعوني أعالجه... وحملني فأدخلني الحمام، وعالجني، وأفقت في الساعة الرابعة والعشرين من ذلك الوقت، ووقعت البشائر، ودفع إليه المال، فقلت للطبيب بعد ذلك: من أين عرفت هذا، فقال رأيت رجليك في الكفن منتصبة، وأرجل الموتى منبسطة، ولا يجوز انتصابها، فعلمت أنك حي، وخمنت أنك أسكت، وجربت عليك، فصحت تجربتي»[13].

سابعًا - الحالة التي عالجها ثابت بن قره (٢١٠-٢٨٨هـ/ ٨٢٥-٩٠١م)

يروي ابن أبي أصيبعة أنه: «من بديع حسن تصرف ثابت بن قرة أنه اجتاز يومًا ماضيًا إلى دار الخليفة، فسمع صياحًا وعويلاً، فقال مات القصاب الذي كان في هذا الدكان؟ فقالوا له: إي والله يا سيدنا البارحة فجأة، وعجبوا من ذلك، فقال ما مات، خذوا بنا إليه، فعدل الناس معه إلى الدار، فتقدم إلى النساء بالإمساك عن اللطم والصياح، وأمرهن بأن يعملن مزورة (نوع من الطعام). وأومأ إلى بعض غلمانه بأن يضرب القصاب على كعبه بالعصا، وجعل يده في مجسه، ومازال يضرب كعبه إلى أن قال: حسبك، واستدعى قدحًا، وأخرج من صرة في كمّه دواء، فدافه في القدح بقليل ماء، وفتح فم القصاب وسقاه إياه فأساغه، ووقعت الصيحة والزعقة في

الدار والشارع بأن الطبيب قد أحيا الميت، فتقدم ثابت يغلق الباب والاستيثاق منه، وفتح القصاب عينيه، وأطعمه مزورة وأجلسه، وقعد عنده ساعة، وإذا بأصحاب الخليفة قد جاءوا يدعونه، فخرج معهم والدنيا قد انقلبت ، والعامة حوله يتعاودون إلى أن دخل دار الخلافة، ولما مثل بين يدي الخليفة قال له: يا ثابت ما هذه التي بلغتنا عنك؟ قال: يا مولاي، كنت أجتاز على هذا القصاب وألحظه يشرح الكبد، ويطرح عليها الملح ويأكلها، فكنت استقذر فعله أولاً، ثم أعلم أن سكتة ستلحقه، فصرت أراعيه، وإذ علمت عاقبته انصرفت، وركبت للسكتة دواءً استصحبته معي في كل يوم. فلما اجتزت اليوم وسمعت الصياح، قلت: مات القصاب؟ قالوا: نعم، مات البارحة، فعلمت أن السكتة قد لحقته، فدخلت إليه، ولم أجد له نبضًا، فضربت كعبه إلى أن عادت حركة نبضه، وسقيته الدواء ففتح عينيه، وأطعمته مزورة، والليلة يأكل رغيفًا بدراج، وفي غد يخرج من بيته»[14].

إن ما قام به ابن قرة بضرب كعب المريض أولاً ثم إسقاء الدواء بعد ذلك نوع من التنبيه للمراكز الحسيّة للتنفس والقلب . كما أنه في أثناء ضرب القدم على الأغلب رفعت الأقدام عاليًا، مما أدى إلى رجوع الدم إلى الدماغ وتنبه الأوعية الدموية المحيطية، وهذا ما نقوم به اليوم في حالات الإغماء.

ثامنًا - الحالات التي عالجها أبو الحسن الحراني

أ- يقول ابن أبي أصيبعة: «نقلت من خط ابن بطلان في مقالته في علة نقل الأطباء المهرة... قال: كان قد أسكت الوزير أبو طاهر بن بقية في داره الشاطئة على الجسر ببغداد، وقد حضر الأمير معز الدولة بختيار، والأطباء مجتمعون على أنه مات . فتقدم أبو الحسن الحراني، وكنت أصحبه يومئذ، فقال الأمير: إذا كان قد مات فلن يضره الفصاد، فهل تأذن في فصده. قال: افعل يا أبا الحسن، ففصده فرشح منه دم يسير. ثم لم يزل يقوى الرشح إلى أن صار الدم يجري، فأفاق الوزير. فلما خلوت به سألته عن الحال، وكان ضنينًا بما يقول. فقال: من عادة الوزير أن يستفرغ في كل ربيع دمًا كثيرًا من عروق المعدة، وفي هذا الفصل انقطع عنه، فلما فصدته ثابت الطبيعة من خناقها»[15].

حول هذه الحالة نقول: ربما كان المريض مصابًا بازدياد عدد كريات الدم الحمراء الكاذبة أو الحقيقية أو ارتفاع ضغط الدم الشرياني العالي، وفي استفراغ الدم حصل تخفيف لضغط الدم أو تقليل من عدد كريات الدم الحمراء.

ب- قال عبيد الله بن جبرائيل: ولهما أحاديث كثيرة حسنة، منها حديث قلاء الكبود، وذلك أنه كان بباب الأزج إنسان يقلي الكبود، فكان إذا اجتاز عليه دعا لهما وشكرهما، وقام لهما حتى ينصرفا عنه، فلما كان في بعض الأيام اجتاز فلم يرياه، فظنّا أنه قد شغل عنهما، ومن غد سألا عنه، فقيل لهما: إنه قد مات. فعجبا من ذلك، وقال أحدهما للآخر: له علينا حق يوجب علينا فصده ومشاهدته، فمضيا جميعًا وشاهداه، فلما نظرا إليه تشاوروا في فصده، وسألا أهله أن يؤخروا ساعة واحدة؛ ليفكروا في أمره، ففعلوا ذلك، وأحضروا فصادا ففصده فصدة واسعة، فخرج منه دم غليظ . وكان كلما خرج الدم خفّ عنه حتى تكلم، وسقياه ما يصلح،

وانصرفا عنه. ولما كان في اليوم الثالث خرج إلى دكانه»[16]. وهذه الحالة لا شك تشبه الحالة السابقة.

تاسعًا- الحالة التي عالجها صاعد بن بشر

يقول ابن أبي أصيبعة: «ونقلت أيضًا من خط أبي سعيد الحسن بن أحمد بن علي في كتاب ورطة الأجلاء، عن هفوة الأطباء، قال: كان الوزير علي بن بلبل ببغداد، وكان له ابن أخت فلحقته سكتة دموية، وخفي حاله على جميع الأطباء ببغداد، وكان بينهم صاعد بن بشر حاضرًا، فسكت حتى أقر جميع الأطباء بموته، ووقع اليأس من حياته، وتقدم الوزير في تجهيزه، واجتمع الخلق في العزاء، والنساء في اللطم والنياح، ولم يبرح صاعد بن بشر مجلس الوزير. فعند ذلك قال الوزير لصاعد بن بشر الطبيب: هل لك من حاجة؟ فقال له: نعم يا مولانا، إن رسمت وأمرت لي ذكرت لك. فقال: له تقدم وقل ما يتلجلج في صدرك، فقال صاعد: هذه سكتة دموية، ولا مضرة في إرسال مبضع واحد، وننظر، فإن نجح كان المراد، وإن تسكت الأخرى فلا مضرة فيه، ففرح الوزير، وتقدم بإبعاد النساء، وأحضر ما يجب من التمريخ والنطول والبخور والنشوق، واستعمل ما يجب.

ثم شد عضد المريض وأقعده في حضن بعض الحاضرين، وأرسل المبضع بعد التعليق على الواجب من حالته، فخرج الدم ووقعت البشائر في الدار. ولم يزل يخرج الدم حتى ثلاثمائة درهم من الدم، فانفتحت العين ولم ينطق بعد، فشد اليد الأخرى ونشقه ما وجب تنشيقه، ثم فصده ثانيا، وأخرج مثلها من الدم وأكثر، فتكلم، ثم أسقي وأطعم ما وجب، فبرئ من ذلك وصح جسمه، وركب في الرابع إلى الجامع، ومنه إلى ديوان الخليفة، ودعا صاعدًا ونثر عليه من الدراهم والدنانير الكثيرة»[17].

يبدو أن هذه الحالة تشبه الحالة التي عالجها أبو الحسن الحراني، فباستفراغ الدم خف ضغط الدم وصحا من السكتة.

عاشرًا - الحالة التي عالجها ابن التلميذ

جاء في كتاب وفيات الأعيان أن موفق الدين عبد اللطيف البغدادي ذكر عند الحديث عن ابن التلميذ: «أنه أحضر إليه، (ويقصد أمين الدولة هبة الله ابن التلميذ، من أبناء القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) امرأة محمولة، لا يعرف أهلها في الحياة هي أم الممات، وكان الزمان شتاء، فأمر بتجريدها، وصب عليها الماء المبرد صبًا متتابعًا كثيرًا، ثم أمر بنقلها إلى مجلس دفئ قد بخر بالعود والند، ودفئت بأصناف الفراء ساعة، فعطست، وتحركت، وقعدت، وخرجت ماشية مع أهلها إلى منزلها»[18].

حادي عشر - الحالة التي ذكرها ابن حجر العسقلاني

ذكر العسقلاني في حوادث سنة ٧٨٠هـ أنَّه: «وفيها حمل إلى المارستان رجل كان منقطعًا بين النهرين في عريش، فمرض فبقي ملقى على الطريق أياما، فحمله بعضهم إلى المارستان، فنزل فيه، ثم مات، فغسل وصلي عليه، وحمل إلى المقبرة، فلما أدخل القبر عطس فأخرج، ثم عوفي وعاش، وصار يحدث الناس بما رأى وعاين، وكانت غريبة بدمشق في جمادى الآخرة»[19].

وسائل الإنعاش عند الأطباء العرب والمسلمين

من المعروف أن كلمة الإنعاش تعني اليوم: أنها

محاولة لإعادة الشخص المغمى عليه، أو فاقد الوعي، أو متوقف التنفس أو القلب بشكل مفاجئ، لأي سبب طارئ لحياته الطبيعية والوظيفية، بتقديم الإسعاف والمعالجة.

يقول الدكتور طه الجاسر أستاذ علم التخدير في كلية طب حلب: «ولقد كانت هناك محاولات للإنعاش من قبل، فرشّ الماء البارد على وجه من فقد وعيه، وصفعه مرات على خده، وحل أزرار الثياب المحيطة بعنقه وصدره، وتعريضه لاستنشاق سوائل ذات رائحة نفاذة، كلها محاولات للإنعاش، إلا أنها محاولات بدائية قاصرة»[٢٠].

ويقول معلقًا على الحالة الأولى والثانية التي ذكرناها: «من المؤسف أن تلك القصص لا تحدثنا عنها الكثير، ولا تقف عندها كثيرا، وإنما تعرضها بإيجاز؛ لتنتقل بعد ذلك إلى الجانب السهل الذي يثير إعجاب العامة دونما أساس علمي، وقليل من تلك الروايات من فصّل الحديث عن الإنعاش، ومدنا بمعلومات هامة»[٢١].

ولكننا نقول بعد استعراضنا الحالات الأربع عشرة السابقة: لقد وجدنا لديهم الكثير من وسائل الإنعاش التي، وإن كانت متواضعة، لا ترقى إلى مستوى وسائل الإنعاش اليوم، إلا أنها كانت ولا تزال لا تخلو من فائدة، وفيما يأتي نوجز وسائل الإنعاش التي ذكرت لديهم:

١- استعمال المنفاخ ومواد مخرشة أو عطرية؛ لتنبيه التنفس وتزويد المريض بالهواء كتعويض لعملية التنفس، وكمثال على ذلك، قيام الطبيب صالح بن بهلة في الحالة الأولى، باستعمال المنفاخ ومادة (الكندس) قبل بضعة قرون من استعماله في الغرب.

٢- استعمال الماء الحار والحمام لإحماء بدن المريض بغية تنشيط الدورة الدموية ومضاعفة التروية الخلوية. ومن ثم مسحه ببعض الأدوية المخرشة التي تنبهت العطاس والتنفس. وهذه الطريقة مرّ استعمالها في الحالة الثانية والسادسة فيما سبق.

٣- سقي الماء الحار والمواد المقيئة لإجراء ما يشبه غسيل المعدة؛ لتخليصها من محتوياتها الفاسدة، وكذلك استعمال المحقنة للغرض نفسه. وقد لاحظنا استعمال هذه الطريقة في معالجة الحالات التي عالجها اليبرودي.

٤- استعمال الضرب على الكعب ورفع القدمين إلى الأعلى في أثناء الضرب الذي يؤدي إلى رجوع الدم إلى الدماغ وتنبيه الأوعية المحيطية، ثم إسقاء المريض بعض الأدوية المنبهة، وقد ذكرنا استعمال ثابت بن قرة هذه الطريقة في معالجة مريضه، وهي بلاشك تشبه إلى حد كبير ما نقوم به في حالات الغيبوبة.

٥- استعمال الفصد واستفراغ الدم من المصابين بالسكتة (كما جاء في بعض الحالات التي ذكرناها). ونفسر تحسن أولئك المرضى بأنه قد حدث نتيجة تقليل حجم الدم وضغطه لاحتمال كونهم كانوا مصابين إما بازدياد في عدد كريات الدم الحمراء (الكاذبة الحقيقية)، وإما أنهم كانوا مصابين بارتفاع في ضغط الدم الشرياني العالي.

وبذلك نأتي على نهاية البحث الذي بيّنا فيه معرفة الأطباء العرب والمسلمين الدلائل التي تشير إلى من به رمق من حياة، وكذلك بينا فيه تطبيقهم الكثير من وسائل الإنعاش التي لايزال بعضها قيد الاستعمال حتى اليوم وبشكل متطور. ■

الحواشي

١- الإسراء: ٨٥.

٢- لقد استوجب اليوم وضع تعريف لمفهوم الموت، حيث أصبح يعتمد الآن في بعض الحالات على موت الدماغ، أو بالأصح موت جذع الدماغ، وذلك لاحتواء جذع الدماغ على مراكز التنفس والتحكم في القلب والدورة الدموية، فعند إصابة هذه المراكز إصابة دائمة تعني الموت. ولكن عند إصابتها بشكل مؤقت يمكن أن يشفى المصاب بإذن الله بالعلاج، ولهذا يلزم محاولة استمرار التنفس وضربات القلب والدورة الدموية بوسائل الإنعاش. موت القلب أو موت الدماغ: ٨٤

٣- كامل الصناعة الطبية: ١/١٤٠.

٤- عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٢/٥٢-٥٥.

٥- إنعاش من بدا عليه الموت في تاريخ الطب عند العرب: ١٥٢.

٦- عيون الأنباء: ٢/١٨٧-١٨٨.

٧- إنعاش من بدا عليه الموت في تاريخ الطب عند العرب: ١٥٣.

٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ٣/١٥١.

٩- عيون الأنباء: ٢/٢٣٦.

١٠- المصدر نفسه: ٢٣٨.

١١- كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين: ٢٣.

١٢- المصدر نفسه: ٢٣.

١٣- كتاب الأذكياء: ١٧٨.

١٤- عيون الأنباء: ١٩٥.

١٥- المصدر نفسه: ٢/٢١٢.

١٦- المصدر نفسه: ٢/٢١٣.

١٧- المصدر نفسه: ٢/٢٢٢.

١٨- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٧٦-٧٧.

١٩- أنباء الغمر بأبناء العمر: ١/٢٧٢.

٢٠- مبادئ علم التخدير والإنعاش: ١٣٠

٢١- إنعاش من بدا عليه الموت في تاريخ الطب عند العرب: ١٥٢.

المصادر والمراجع

- **أنباء الغمر بأبناء العمر**، لابن حجر العسقلاني، ط١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.
- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، لابن العماد الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، لابن أبي أصيبعة، دار الفكر، بيروت، ١٩٥٦م.
- **كامل الصناعة الطبية**، لعلي بن العباس المجوسي، المطبعة المصرية الكبرى، ١٢٩٤م.
- **كتاب الأذكياء**، لابن الجوزي، مكتبة القاهرة، مصر، د.ت.
- **كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين**، لعريب بن سعد القرطبي، مكتبة فراريس، الجزائر، ١٩٥٦م.
- **مبادئ علم التخدير والإنعاش**، للدكتور محمد طه الجاسر، ط٢، حلب، ١٩٧٢م.
- **موت القلب أو موت الدماغ**، للدكتور محمد علي البار، ط١، الدار السعودية للنشر، ١٩٨٧م.
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، لابن خلكان، تح.د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.

المخطوطات العربية المتعلقة بعلم التاريخ

في المكتبة الوطنية بإزمير

الدكتور/ رضا صواش
جامعة التاسع من أيلول
إزمير - تركيا



يعتمد تمدن الحضارة الإسلامية وفهمها فهما صحيحا تاماً، إلى حد كبير، على تدقيق المخطوطات التاريخية من جميع الأنواع وتحقيقها. والنتائج التي يمكن التوصل إليها من دراسة تلك المخطوطات لا تكون لفائدة المسلمين فقط،بل تهم الناس جميعا أينما كانوا وفي أيّ بقعة من الأرض وجدوا.

إن عدد المخطوطات المسجلة في تركيا يبلغ اليوم حوالي ستمائة ألف مخطوطة تقريبا حسب الإحصاءات التي تمّت[1]. لقد وضعت دراسات متعددة حول هذه المخطوطات، التي أمكن الوصول إليها بسرعة لأغراض متنوعة. وحان الأوان لتدقيق ما بقي منها هنا وهناك في زوايا المكتبات من المخطوطات غير المشهورة، وغير المخطوطات التي تم تحقيقها ونشرها. والقسم الآخر من المخطوطات، الذي لم يلق اهتمام المختصين، لا يزال قابعاً في مكتبات أزمير وأقضيتها وضواحيها، ينتظر انتباه الباحثين والمحققين لنشره وإحيائه.

إن المكتبة الوطنية في إزمير قد بدأ إنشاؤها عام ١٩١١م، وتم افتتاحها في عام ١٩١٢م؛ لخدمة المواطنين. وشرع المسؤولون بإنشاء مبنى جديد آخر لها في تلك الحقبة، إلا أن احتلال اليونان للمدينة قد عاق إتمام بنائها. لكنه أكمل بعد طرد اليونان من أراضيها والقائهم في بحر إيجة. ونقلت المكتبة في ٣٠ من أكتوبر عام ١٩٣٣ إلى مبناها

الجديد الحالي. وقد اتخذ مجلس الوزراء قراراً يقضي بمنح المكتبة اسم (المكتبة الوطنية) فأصبحت تعرف منذ ١٩٢٩/٩/٢٣م بهذا الاسم الوطنية.

وفي المكتبة اليوم ٢٧١٥٩٨ كتاب مطبوع، و٥٥٩٠ جريدة مجلدة، و٢٥٠٩ مجلة، وأكثر من ٤٠٠٠ مخطوطة متكونة من كتب ورسائل.

ومن بين هذه المخطوطات التي يُربي عددها على ٤٠٠٠ يوجد فيها ٥٣مخطوطة باللغة العربية في علم التاريخ والجغرافيا، و٨٤ مخطوطة باللغة التركية، و ٤ مخطوطات بالفارسية[٢]. ونريد في مقالتنا هذه أن نعرض المخطوطات العربية المتعلقة بعلم التاريخ. يمكن تصنيف هذه المخطوطات التاريخية تحت هذه العناوين: التاريخ العام، قصص الأنبياء، السيرة النبوية، الطبقات والتراجم، مناقب الكبار، تاريخ المدن والبلاد، تاريخ المذاهب، الجغرافيا.

أولاً: مخطوطات التاريخ العام:

١-أخبار الدول وآثار الأول

مؤلفه: أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي (المتوفى ١٠١٩هـ/١٦١١م)[٣]

أوله: الحمد لله على تصاريف العبر عند سماع التواريخ والسير...

قيد الفراغ: وقد وافق الفراغ... سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف على يد خليل...

عدد أوراقه: ٣١٤، عدد سطوره: ٢٥، مقاييسه: ١٥٠×٢١٠ (١٧٠×١٠٥) مم، نوع الخط: نسخ، تاريخ تأليفه: ١٠٠٨، استبول١١٢٣٣.

رقمه في المكتبة: ٣٣٥

٢- سير النبي والأصحاب والأولياء والملوك

مؤلفه: قره باش زادة أحمد بن محمد الإزميري (المتوفى ١١٩٨م/١٧٨٣هـ)[٤].

أوله: الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم...

آخره: ... بيد مؤلفه الفقير أحمد القرباش.

عدد أوراقه: ٢٠٠، عدد السطور: ٢٤، مقاييسه: ٢١٥×١٣٠ (١٦٠×٩٠) مم، نوع الخط: نسخ - تعليق، تاريخ تأليفه: ١١٩٠، استنبول ١١٩٥.

رقمه في المكتبة:١١٠٥

ثانياً: قصص الأنبياء

١- عرائس المجالس في قصص الأنبياء

مؤلفه: محمد بن بسطام الواني (المتوفى ١٠٩٦هـ/١٦٨٥م)[٥]

أوله: الحمد لله محيي الرميم ومجري القلم....

آخره: انتهى، تم العرائس. تأليف شيخ الإسلام محمد أفندي الواني رحمه الله تعالى آمين.

عدد أوراقه:٥١٢، عدد سطوره: ٢٥، مقاييسه: ٢٩٠×١٩٥مم (٢٢٠×١٢٥) مم، نوع الخط: نسخ.

رقمه في المكتبة: ٦٩٨

٢- رسالة في صفة آدم وحواء وكيف كان سبب كثرة نسلهما

مؤلفها: مجهول

أولها : الحمد لله رب العالمين...

آخرها: مخرومة الآخر

ضمن مجموع، عدد أوراقها: ١٥ (٣٥أ-٤٩ب)، عدد سطورها: ١٩، مقاييسها: ١٨٠×١٢٥ (١٤٠×١٠٠)مم، نوع الخط: نسخ

رقمه في المكتبة:١/٩٣٠

٣- روضة الصفا (قسم منها)

مؤلفه: مجهول

أوله: قوله وإدريس...

آخره: أسود كذا في كفاية الشعبي.

ضمن مجموع، عدد أوراقه: ٧ (٩٩ ب -١٠٥ أ)، عدد سطوره: ١٥، مقاييسه: ٢٠٠×١٢٥ (١٥٠×٧٠) مم، نوع الخط: نسخ

رقمه في المكتبة: ٧/١٨٠

ج - السيرة النبوية

١- كتاب الوفا بفضائل المصطفى

مؤلفه: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (المتوفى ٥٩٧هـ/١٢٠١م)(٦)

أوله : الحمد لله الذي قدم نبينا ﷺ وإن تأخر عهده على قاطبة الأنبياء والمرسلين. فجعله....

آخره:... حلت له شفاعتي يوم القيامة. آخر كتاب الوفا في بعض أحوال المصطفى للشيخ أبي الفرج ابن الجوزي..

قيد الفراغ: على يد أفقر عبيد الله... محمد بن أحمد البودري الأزهري... وكان الفراغ منه في أواخر سنة ألف مائة وعشرين هجرية.... عدد أوراقه: ٢٠٢، عدد سطوره: ٢٧، مقاييسه: ٢٦٥×١٨٠ (١٨٥×١١٠)مم، خطه نسخ، استنبول ١١٢٠. نسخة ممتازة

رقمه في المكتبة: ١١٠٠١

٢- سيرة النبي

مؤلفه: محمد بن محمد بن محمد الجزري (المتوفى ٨٣٣هـ/١٤٣٠م)(٧).

أوله: قال الشيخ العلامة المحدث المقرى محمد بن محمد الجزري في أثناء مولده مانصه.

آخره: منقوص

ضمن مجموع، عدد أوراقه ١٧ (٩٧ أ- ١١٣ أ)، عدد سطوره: ٢٤، مقاييسه: ٢١٥×١٦٠ (١٨٥ ×١١٠) مم، خطه: نسخ

رقمه في المكتبة: ٣/٣٥٧

٣- خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى

مؤلفه : نور الدين علي بن عبد الله السمهودي، (المتوفى٩١١هـ/ ١٥٠٦م) (٨)

أوله: الحمد لله الذي شرف طابه وشوق القلوب....

آخره :أي تسلك هناك إلى... على من لا نبي بعده

قيد الفراغ: وقد وافق الفراغ من نسخه نهار الجمعة في العشر الأول من شهر الله المحرم الحرام في شهور سنة اثنتين وستين وألف من الهجرة النبوية... على يد أحمد بن محمد الصغدي..

عدد أوراقه: ٣٦٤، عدد سطوره ١٥، مقاييسه: ٢٠٠×١٤٠ (١٦٥×٩٥) مم، خطه: نسخ، تأليف ٨٩٣، استنبول ٢١٠٦٢

رقمه في المكتبة: ٤٠٩.

٤- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد(السيرة الشامية)(الجلد الاول)

مؤلفه: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الدمشقي (المتوفى ٩٤٢هـ/١٥٣٥م)(٩)

أوله: الحمد لله الذي خص سيدنا محمدﷺ بأعلى المناقب...

آخره: تم الجزء الأول من سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد.. على يد الفقير عبد الغني بن أحمد شهاب الدين الزيادي يتلوه أول الجزء الثاني جماع أبواب الهجرة إلى المدن الشريفة..

قيد الفراغ: وكان الفراغ من كتابتها يوم الأحد ثاني عشرين شهر شعبان المكرم

عدد أوارقه: ٣٢٣، عدد السطور: ٣٣، مقاييسه: ٣٠٥×٢١٠ (٢٤٠×١٥٢)مم، خطه: نسخ – تعليق. استنبول ٩٩٨.

رقمه في المكتبة:١٠١٧

٥- سبل الهدى والرشاد في سيرة العباد(السيرة الشامية)(الجلد الثاني)

مؤلفه: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الدمشقي (المتوفى ٩٤٢هـ/١٥٣٥م)

أوله: جماع أبواب الهجرة إلى المدينة الشريفة. الباب الأول إذن النبي ﷺ للمسلمين في الهجرة إلى المدينة..

آخره: ذكر ما قاله المؤمنون لما رأوا الأحزاب.

عدد أوراقه: ١٨٨، عدد سطوره: ٣٥، مقاييسه: ٣٠٥×٢١٠ (٢٤٠× ١٥٢)مم، خطه: نسخ.

رقمه في المكتبة:٢٥٢

٦- إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (السيرة الحلبية)

مؤلفه:علي بن برهان الدين إبراهيم الحلبي (المتوفى ١٠٤٤هـ/١٦٣٤م)[١٠].

أوله: حمداً لمن نضر وجوه أهل الحديث وصلاة وسلاما....

آخره: (مقصور) باب يذكر فيه صفته ﷺ

عدد أوراقه: ٦٨٨، عدد سطور ٢٩، مقاييسه: ٢٨٠×١٩٠ (٢٠٠×١٠٠)مم، خطه: نسخ

رقمه في المكتبة: ٢٤٧

٧- إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (السيرة الحلبية)

مؤلفه: علي بن برهان الدين إبراهيم الحلبي (المتوفى ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م)[١١].

أوله: حمداً لمن نضر وجوه أهل الحديث وصلاة وسلاما...

آخره: باب يذكر فيه صفته ﷺ

قيد الفراغ: قد تمت هذه النسخة الشريفة المباركة المسماة بسيرة النبي... الحمد للّه على التمام... إسماعيل بن الحاج خواجة عثمان بن خواجة محمد بن الحاج إسماعيل... في شهر ربيع الآخر في يوم الجمعة في وقت الضحى سنة سبعين ومائة وألف.

عدد أوراقه: ١٢٥، عدد سطوره: ٢٣، مقاييسه: ٢٠٥ × ١٦٠ (١٥٠ × ١٠٠) مم، خطه: نسخ، استنبول ١١٧٠.

رقمه في المكتبة: ١١٣٤

رابعاً- الطبقات والتراجم

١- تهذيب التهذيب (الجلد الثالث)

مؤلفه: شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفى ٩٤٢هـ/١٥٣٥م)[١٢].

أوله: باب القاف.

آخره: جدة جدعان. عن أم سلمة... آخر الكتاب.

قيد الفراغ: ومن خطه نقلت جميع الكتاب إلا اليسير من أوائله... سنة ٨٥٣.

عدد أوراقه: ٤٠١، عدد سطوره: ٣١، مقاييسه: ٢٨٠×١٨٥ (١٩٥×١٢٥)مم، خطه: نسخ، تاريخ تأليفه: ٨٠٨هـ، استنبول ٨٥٣.

رقمه في المكتبة: ٦٨٧

٢- الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية

مؤلفه: طاش كوبري زادة أحمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٦٨هـ/١٥٦٠م)[١٣]

أوله: الحمد لله الذي رفع بفضله طبقات العلماء.

آخره: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

قيد الفراغ: حرره الفقير سليمان بن ولي... في تاريخ سنة إثنى تسعين وتسعمائة من شهر شعبان في يوم اثنين في وقت ضحى باغجة إسكندر جلبي سنة ٩٢٢..

عدد أوراقه: ٢٣٢، عدد سطوره: ١٩، مقاييسه: ٢٣٥×١٦٠(١٥٠×٨٥)مم، خطه: تعليق، تاريخ تأليفه: ٩٦٥، استنبول ٩٩٢.

رقمه في المكتبة: ١٥٤٩

٣- الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية

مؤلفه: طاش كوبري زاده أحمد بن مصطفى(المتوفى:٩٦٨هـ/١٥٦٠م)[١٤]

أوله: الحمد لله الذي رفع بفضله طبقات العلماء.

آخره: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

قيد الفراغ: حرره الفقير سليمان بن ولي... في تاريخ سنة إثنى تسعين وتسعمائة من شهر شعبان في يوم اثنين في وقت ضحى باغجة إسكندر جلبي سنة ٩٢٢.

ضمن مجموع، عدد أوراقه:١٣٩ (١ب - ١٣٩أ)، عدد سطوره: ٢٥، مقاييسه:٢١٠ × ١٢٥ (١٦٠×٧٠) مم، خطه: تعليق ، استنبول ١٠٧٤.

رقمه في المكتبة: ١١/١٧٣٨

٤- الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية

مؤلفه: طاش كوبري زاده أحمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٦٨هـ/١٥٦٠م) (١٥)

أوله: الحمد لله الذي رفع بفضله طبقات العلماء.

آخره: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

قيد الفراغ: حرره الفقير سليمان بن ولي... في تاريخ سنة اثنى تسعين وتسعمائة من شهر شعبان في يوم اثنين في وقت ضحى باغجة إسكندر جلبي سنة ٩٢٢.

ضمن مجموع، عدد أوراقه: ١٨٩ (١ب -١٨٩ أ)، عدد سطوره : ٢١ ، مقاييسه : ٢١٠ × ١٣٥ (١٤٥×٧٠)مم، خطه: تعليق، وسقط من أوله، الأوراق: (٢-٨) سبع أوراق رقمه في المكتبة: ١/١٨٨٥

٥- الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية

مؤلفه: طاش كوبري زاده أحمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٦٨هـ/١٥٦٠م)[١٦]

أوله: الحمد لله الذي رفع بفضله طبقات العلماء.

آخره: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

قيد الفراغ: حرره الفقير سليمان بن ولي... في تاريخ سنة اثنى تسعين وتسعمائة من شهر شعبان في يوم اثنين في وقت ضحى باغجة إسكندر جلبي سنة ٩٢٢.

عدد أوراقه: ١٨٩ (١ب -١٨٩ أ)، عدد سطوره: ٢١٥، مقاييسه: ٢١٠×١٣٥ (١٤٥×٧٠)مم، خطه: تعليق، وسقط من أوله، الأوراق: (٢-٨) سبع أوراق

رقمه في المكتبة: ١٨٨٥/١ مكرر

٦- ذيل الشقائق النعمانية

مؤلفه: عاشق جلبي محمد بن علي (المتوفى ٩٧٩هـ /١٥٧٢م)[١٧]

أوله: تبارك الذي نزل الفرقان وتولى حفظه عن ريب المتون «المولى يحيى بن نور الدين الأمين المعروف بأمين زادة»

آخره: منقوص

عدد أوراقه: ٣٨ (١٩١ب -٢٢٨ أ)، عدد سطوره: ١٩، مقاييسه: ٢١٠×١٣٥ (١٥٠×٧٥)مم، خطه: تعليق

رقمه في المكتبة: ١٨٣٩/١

٧- العقد المنظوم في ذكر علماء الروم (ذيل الشقائق النعمانية)

مؤلفه: علي بن بالي المعروف بمنغ (منق) (المتوفى: ٩٩٢هـ / ١٥٨٤م)[١٨]

أوله: يامن قدر الآجال وجعل له مددا....

آخره: انتقل إلى رحمة الله سنة أربع وتسعين وتسعمائة.

قيد الفراغ: تم الكتاب على يد الفقير سليمان ابن مصطفى الساكن بلدة بجوى المحمية... لسنة أربع وسبعين وألف.

ضمن مجموع، عدد أوراقه: (١٤٣ب -٢٢٥ أ)، عدد سطوره: ٢٥، مقاييسه: ٢١٠×١٢٥ (١٦٠×٧٠)مم، خطه: تعليق، استنبول ١٠٧٤.

رقمه في المكتبة: ١٧٣٨/٢

٨- طبقات الفقهاء الحنفية:

مؤلفه: قنالي زادة علي جلبي بن أمر الله[١٩]

أوله: الحمد لله رب العالمين وبعد فهذا مختصر في ذكر طبقات الحنفية.

آخره: ثم انتقل العلم..أربعين وتسعمائة..

ضمن مجموع. عدد أوراقه: ٣٣ (٥٣ب -٨٥ أ)، عدد سطوره: ٢١، مقاييسه: ١٩٠×١٣٥ (١٥٠×٨٠)مم، خطه: تعليق. استنبول ١٠٥٠.

رقمه في المكتبة: ٨٠٤/٢

٩- طبقات الفقهاء الحنفية:

مؤلفه: قنالي زادة علي جلبي بن أمر الله[٢٠]

أوله: الحمد لله رب العالمين وبعد فهذا مختصر في ذكر طبقات الحنفية.

آخره: ثم انتقل العلم.. أربعين وتسعمائة.

ضمن مجموع، عدد أوراقه: ٢٣ (٢١٧ ب - ٢٣٩ب)، عدد سطوره: ٢٣، مقاييسه: ٢١٠×١٥٠ (١٥٥×٩٠)مم، خطه: تعليق.

رقمه في المكتبة: ٧٣٢/٣

١٠- فهرست طبقات الفقهاء الحنفية

مؤلفه: قنالي زادة علي جلبي بن أمر الله

آخره: وفريد عصره.

ضمن مجموع، عدد أوراقه: ٢ (٢١٤ب -٢١٥ أ)، عدد سطوره: ٢٣، مقاييسه: ٢١٠×١٥٠ (١٥٥×٩٠)مم، خطه: تعليق.

رقمه في المكتبة: ٢/٧٣٢

١١- طبقات الفقهاء (المجتهدين):

مؤلفه: ابن كمال باشا (المتوفى ١٥٣٣/٩٤٠)[٢١]

أوله: اعلم أن الفقهاء على سبعة طبقات.

آخره: فالويل لهم ولمن قلدهم كل الويل...

ضمن مجموع، عدد أوراقه:٢ (١ب -٢ ب)، عدد سطوره: ١٧، مقاييسه: ٢٠٠×١٣٥ (١٣٥×٨٠)مم، خطه: تعليق، استنبول ٤١٠٧٤

رقمه في المكتبة: ١/١١٨٧

١٢- طبقات الفقهاء (المجتهدين):

مؤلفه: ابن كمال باشا (المتوفى ١٥٣٣/٩٤٠)[٢٢]

أوله: اعلم أن الفقهاء على سبعة طبقات.

آخره: فالويل لهم ولمن قلدهم كل الويل.

ضمن مجموع، عدد أوراقه:٢ (٣٠ب -٣١ أ)، عدد سطوره: ١٩، مقاييسه: ٢٠٥×١٥٠ (١٤٥×٩٠)مم، خطه: تعليق، استنبول ١٠٧٤

رقمه في المكتبة: ٢/١٨٢٠

١٣- طبقات الفقهاء (المجتهدين):

مؤلفه: ابن كمال باشا (المتوفى ١٥٣٣/٩٤٠)[٢٣]

أوله: اعلم أن الفقهاء على سبعة طبقات.

آخره: فالويل لهم ولمن قلدهم كل الويل.

ضمن مجموع، عدد أوراقه: ١ (٦٦أ -٦٦ ب)، عدد سطوره: ٢٥، مقاييسه: ٢٠٠×١٣٥ (١٧٥×١٠)مم، خطه: نسخ

رقمه في المكتبة: ١/١٨٨٧

١٤- طبقات الفقهاء (المجتهدين):

مؤلفه: ابن كمال باشا (المتوفى ١٥٣٣/٩٤٠)[٢٤]

أوله: اعلم أن الفقهاء على سبعة طبقات.
آخره: فالويل لهم ولمن قلدهم كل الويل.

ضمن مجموع، عدد أوراقه:٢ (٥٥أ -٥٦أ)، عدد سطوره: ٢١، مقاييسه: ٢٠٥×١١٥ (١٤٠×٦٥)مم، خطه: تعليق،

رقمه في المكتبة: ٩٩/١٨٦٦

١٥- كتاب الرياض النضرة في فضائل العشرة (في فضل الأئمة العشرة):

مؤلفه: محب الدين أحمد بن محمد الطبري (المتوفى ٦٩٤/ ١٢٩٤)[٢٥]

أوله: الحمد لله يختص من يشاء برحمته..

آخره: أصحاب رسول الله ﷺ.

قيد الفراغ: ووافق الفراغ من كتابته ضحوة نهار يوم الخميس المبارك ذي القعدة الحرام خامس عشرين الشهر المذكور سنة سبع وتسعمائة.

عدد أوراقه: ١٧٩، عدد سطوره: ٣٥، مقاييسه: ٢٧٠×١٨٠ (٢٠٠×١٣٥)مم، خطه: تعليق، استنبول ٩٠٧

رقمه في المكتبة: ٠٦٧٠

١٦- درة الأسرار وتحفة الأبرار

مؤلفه: محمد بن أبي القاسم بن أبي بكر الحميري المعروف بابن الصباغ[٢٦]..

أوله: الحمد لله الذي لم يزل كلامه القديم محمودا..

أخره: وكان الفراغ من تأليفه يوم الثلاثاء

حادي عشر من شهر رمضان المبارك سنة إحدى وسبعين وسبعمائة.

ضمن مجموع، عدد أوراقه: ٢٥ (٥٩ ب - ٨٣أ)، عدد سطوره ٢٢، مقاييسه: ٢٤٥×١٦٥ (٢٠٥×١٢٠)مم، خطه: نسخ. تاريخ تأليفه: ١٧٧١

رقمه في المكتبة: ٤٦١/٢

١٧- النادرة من كرامات الأولياء:

مؤلفه: مجهول[٢٧].

أوله: الإمام الواقدي روى في كتابه المسمى بنوادر الحكم أن رسول الله...

..آخره: كرامات الولي بدار دنيا

لها كون فهم أهل النوال

... نبينا أو رسول في انتخالي. تمت..

عدد أوراقه: (٥٣ب-٦٠أ)، عدد سطوره: ١٥، مقاييسه: ٢١٠×١٣٠ (١٤٠×٧٠)مم، خطه: نسخ.

رقمه في المكتبة:١١٤٣ /٢

١٨- شرح أسماء أهل بدر

مؤلفه: طه بن مهنا الجبريني (المتوفى: ١١٧٨/ ١٧٦٤)[٢٨].

أوله: حمدًا لمن أطلع في سماء الجهاد بدرًا.

آخره: وهذا آخر ما قصدت جمعه... والحمدلله رب العالمين.

قيد الفراغ: وكان الفراغ من تسويد... سنة اثنين وسبعين ومائة وألف.

عدد أوراقه: ١٣١، عدد سطوره: ١٩، مقاييسه: ١٨٧×١٢٠ (٨٥٧×٧٠)مم.

خطه نسخ: تاريخ تأليفه: ١١٦٤، استنبول ١١٧٢

رقمه في المكتبة: ١٨٣٧.

١٩-شرح أسماء أهل بدر:

مؤلفه: طه بن مهنا الجبريني (المتوفى ١١٧٨/١٧٦٤)[٢٩]

أوله: حمداً لمن اطلع في سماء الجهاد بدرا

آخره: وهذا آخر ما قصدت جمعه.. والحمد لله رب العالمين..

قيد الفراغ: وكان الفراغ من تسويد... سنة اثنين وسبعين ومائة وألف.

ضمن مجموع. عدد أوراقه: ١٠٩(١ب-١٠٩ب)، عدد سطوره: ٢١، مقاييسه: ٢١٥×١٤٥ (١٥٠×٧٥)مم، خطه: نسخ، تاريخ تأليفه: ١١٦٤، استنبول ١١٧٢

رقمه في المكتبة:١٥٢٢ /١

خامساً - مناقب الكبار

١- عقود الجمان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان

مؤلفه: محمد بن علي بن يوسف بن علي ابن يوسف الدمشقي الصالحي (المتوفى ٩٤٢/١٥٣٥)[٣٠]

أوله: الحمد لله الذي جعل العلماء ورثة الأنبياء.

آخره: فرغت من تأليفه.

قيد الفراغ: وكان الفراغ من النسخة المباركة... سنة ٩٦١.

عدد أوراقه: ١٤٠، عدد سطوره:٢١، مقاييسه: ٢٠٥×١٥٥ (١٥٠×١٠٥)مم، خطه: نسخ، استنبول٩٦١

رقمه في المكتبة: ٥٤

٢- المعدن العدني في فضل أويس القرني

مؤلفه: علي بن سلطان محمد القاري (المتوفى ١٠١٤/١٦٠٥) [٣١]

أوله: الحمد لله حق حمده والصلوة..

آخره: .... والحمد لله رب العالمين..

قيد الفراغ: تمت الرسالة لعلي بن القاري... بيد علي بن علي المغنسوي في يوم شنبه ثالث عشر من ذي القعدة في سنة خمس وخمسين ومائة وألف في مكة المكرمة في مدرسة السليمانية..

ضمن مجموع. عدد أوراقه: ٨ (١١١٤أ-١٢١أ)، عدد سطوره: ٢٣، مقاييسه: ٢١٥×١٦٠ (١٦٠×٨٥)مم، خطه: نسخ، استنبول ١١٥٥

رقمه في المكتبة: ٤/٣٥٧

سادساً- تاريخ المدن والبلاد

١- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة

مؤلفه: جلال الدين السيوطي (المتوفى ٩١١/١٥٠٥) [٣٢]

أوله: الحمد لله الذي فاوت بين العباد وفضل بعض خلقه على بعض..

آخره: وقد لطخها العايث بالزعفران..

قيد الفراغ: تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه في رابع عشر شعبان المكرم سنة اثنين وسبعين وتسعمائة حسبنا الله....

عدد أوراقه: ٣٧٧، عدد سطوره: ٢٧، مقاييسه: ٢١٠×١٤٠ (١٤٠×٨٥)مم، خطه: نسخ - تعليق، استنبول٩٧٢.

رقمه في المكتبة: ٠٣٨٠

٢- فرحة الأنفس في شأن جزيرة الأندلس

مؤلفه: أبو عبد الله محمد بن غالب البلنسي (المتوفى٧٦٧/١٣٦٦) [٣٣]

أوله: الحمد لله الذي خلق الخلق بلا حاجة إليهم..

آخره: انتهى..

عدد أوراقه: ٤٦١، عدد سطوره: ٢١، مقاييسه: ٢١٠×١٥٠ (١٥٥×٩٥)مم، خطه: مغربي..

رقمه في المكتبة: ٠١٧٧٠

٣- إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام

مؤلفه: أحمد بن محمد الأسدي

أوله: الحمد لله الذي شرف بيته الحرام

آخره: والحمد لله أولاً..

قيد الفراغ: قد وقع الفراغ على يد علي بن علي المغنسوي.. في سنة خمس وخمسين ومائة وألف في محروسة المكة المكرمة في مدرسة السليمانية

عدد أوراقه: ٣٠(١٥١أ-١٨٠أ)، عدد سطوره: ٢٣، مقاييسه: ٢١٥×١٦٠ (١٦٠×٨٥)مم، خطه: نسخ، استنبول ١١٥٥.

رقمه في المكتبة: ٨/٣٥٧

٤- إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى

مؤلفه: كمال الدين محمد بن محمد بن أبي شريف المصري (المتوفى٩٠٦/ ١٥٠٠) [٣٤]

أوله: الحمد لله الذي جلت نعماؤه....

قيد الفراغ: قد نجز الكتاب بتوفيق الملك الوهاب... سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف بالمسجد الأقصى... على يد أحمد النابلسي بن يوسف القاطن بالمسجد الأقصى..

عدد أوراقه: ١٥٠، عدد سطوره: ٢٥، مقاييسه: ٢١٥×١٥٥ (١٦٠×٩٠)مم، خطه: نسخ، تاريخ تأليفه: ٨٧٥، المسجد الأقصى ١١٥٣.

رقمه في المكتبة: ١٥١٥

٥- الإشارات في الزيارات بدمشق

مؤلفه: محمود العدوي

أوله: الحمد لله رب العالمين..

آخره:... والحمد لله رب العالمين. آمين..

قيد الفراغ: تم كتاب الإشارات في الزيارات وذلك على يد أفقر العباد... عبد القادر بن السيد حسن الجندي... وذلك افتتاح سنة ألف ومائة وخمس وثمانين...

عدد أوراقه: ٤٢، عدد سطوره:١٩، مقاييسه: ٢٢٥×١٦٥ (١٥٥×٩٠)مم، خطه: نسخ، استنبول ١٢٨٥.

رقمه في المكتبة: ١٥٣٢

٦- نور العين في ذكر مشهد الحسين

مؤلفه: عبد الفتاح بن أبي بكر بن أحمد الشهير بالرسام (المتوفى١٠٠٤/١٥٩٢)[٣٥]

أوله: حمداً لمن جعل أهل بيت نبيه الكرام..

آخره: والحمد لله رب العالمين وكان الفراغ من تأليف هذه الرسالة.. عام أربع بعد الألف..

قيد الفراغ: قال ذلك بفمه وزبره بقلمه مؤلفه الفقير الراجي عفو ربه القدير أبو الفتح عبد الفتاح الرسام تابع مولانا الأستاذ كريم الدين الخلوتي غفر الله تعالى له.

ضمن مجموع. عدد أوراقه: ٢٨ (٢١ب-٤٨أ)، عدد سطوره: ١٥، مقاييسه: ٢٠٠×١٤٠ (١٤٠×٦٥)مم، خطه: نسخ. رقمه في المكتبة: ٥/١٨٠٢

٧- البدور الفضيلة في المنازل الرومية

مؤلفه: فضل الله بن محب الله بن محب الدين (المتوفى١٠٨٢/١٦٧١)[٣٦]

أوله: اللهم أنت الصاحب في السفر....

آخره: ولنجعل مسك الختام.

عدد أوراقه: ١١١، عدد سطوره:١٥، مقاييسه: ١٩٥×١٢٠ (١٤٠×٧٠)مم، خطه: تعليق.

رقمه في المكتبة:١٨٤٣

٨- إشراق الكبير

مؤلفه: مصطفى بن خليل بن مصطفى الردوسي (المتوفى٧٦٧/١٣٦٦) [٣٧]

أوله: الحمد لله رب العالمين

آخره: ولنختم الخاتمة بخاتم المجتهدين إمام أئمة الدين محمد الغزالي الطوسي..

عدد أوراقه: ٤٥٥، عدد سطوره: ١٥، مقاييسه: ٢٠٠×١٥٠ (١٤٥×٨٥)مم، خطه: نسخ، تاريخ تأليفه:١١٩٥..

رقمه في المكتبة: ١٦٣٥

٩- الدرة الفاخرة في سياحة مصر القاهرة

مؤلفه: السيد محمد عبد الغني الجوهري الحسيني النابلسي الصغير [٣٨]

أوله: الحمد لله ذي الجلال الكبير المتعال والصلوة....

آخره: الحمد لله في بدء ومختتم... ساكن قوجة مصطفى باشا والسلام ختام..

عدد أوراقه: ٧، عدد سطوره: ٧، مقاييسه: ١٩٠×١٣٠ (١٤٥×٩٠)مم، خطه: نسخ..

رقمه في المكتبة: ٩٣٨

١٠- إشراق التواريخ:

مؤلفه: قره يعقوب بن إدريس القرماني (المتوفى٨٣٣/١٤٢٩)[٣٩]

المخطوطات العربية المتعلقة بعلم التاريخ في المكتبة الوطنية بإزمير

أوله: الحمد لله الذي هدانا لهذا....

آخره: مخروم..

ضمن مجموع. عدد أوراقه: ٥٦ (اب-٥٦ب)، عدد سطوره: ١٩، مقاييسه: ١٩٠×١٤٠ (١٤٥×٧٥)مم، خطه: نسخ.

رقمه في المكتبة: ٤/١٧٨٥

١١- بارقة السيوف الداغستانية في بعض الغزوات الشامية

مؤلفه: محمد طاهر الغرافي (الفراخي) [٤٠]

أوله: الحمد لله الذي فضل المجاهدين....

آخره: والله سبحانه... سنة ١٢٧٩

عدد أوراقه: ١٥٨، عدد سطوره:١٣، مقاييسه: ٢٣٠×١٧٠ (١٥٥×٩٠)مم، خطه: نسخ - تعليق، تاريخ تأليفه: ١٢٧٩..

رقمه في المكتبة: ١٣٥.

١٢- التاريخ في إسلام الداغستان وبيان سلاطينهم وأهاليهم

مؤلفه: مجهول

أوله: الحمد لله ولا ملك في الكونين....

آخره: في زمن مولانا عبد الرحيم... تمت..

ضمن مجموع. عدد أوراقه: ٤ (٢٦ب-٢٩أ)، عدد سطوره: ٣٧، مقاييسه: ٢٢٠×١٧٠ (١٩٥×١٤٠)مم، خطه : نسخ - تعليق..

رقمه في المكتبة:٦/١٠٤٧

سابعا- تاريخ المذاهب

١- رسالة في الملل والفرق الإسلامية:

مؤلفه: مجهول..

أولها: الحمد لله والصلاة والسلام على آل رسول الله....

آخره: ... وأخذ الجاه بالرشوة والوبال. تمت

ضمن مجموع. عدد أوراقها: ٢٦(اب-٢٦أ)، عدد سطورها: ٢٣، مقاييسها: ٢٠٠×١٤٠ (١٥٠×٧٥)مم، خطها: تعليق..

رقمه في المكتبة: ١/٨٨٦

٢- رسالة في الملل والفرق الإسلامية

مؤلفها: مجهول..

أولها: الحمد لله والصلاة والسلام على آل رسول الله....

آخره: ... وأخذ الجاه بالرشوة والوبال. تمت

ضمن مجموع. عدد أوراقها: ٣٢(٣٧ب-٦٨ب)، عدد سطورها: ١٩، مقاييسها: ٢٠٥×١٥٥ (١٦٠×٩٥)مم، خطها: نسخ - تعليق..

رقمه في المكتبة:١/١٨٠٣

٣- رسالة في العقائد الفرقة الناجية (هم الأشاعرة):

مؤلفه: مجهول..

أولها: قال النبي....

آخره: وفقك الله للعمل بما يحب ويرضى... ضمن مجموع. عدد أوراقها: ٣(اب-٣ب)، عدد سطورها: ٢١، مقاييسها: ١٨٥×١٤٠ (١٢٠×٨٥)مم، خطه: نسخ، - استنبول ١٢٣٢..

رقمه في المكتبة: ١/٩٣٥

٤- رسالة في أسامي أرباب الآراء والمذاهب والملل

مؤلفها: مجهول

أولها: كتاب منقول من مفاتيح العلوم....

آخره: ... وكان أعظم أصنامهم...

ضمن مجموع. عدد أوراقها:٣(٨٨ب-١٩٠أ)، عدد سطورها: ٢٥، مقاييسها: ١٣٥×١٨٠ (١٤٠×١٠٠)مم، خطها: تعليق..

رقمه في المكتبة:١٤٥/٠١٠

ثامناً: الجغرافيا

١- تحفة العجائب وطرفة الغرائب

مؤلفه: عز الدين علي بن محمد بن الأثير الجزري (المتوفى ١٢٣٣/٦٣٠)[٤١]

أوله: الحمد لله رب الأرباب ومنشي السحاب....

آخره: وبه نختم الكتاب والحمد لله وحده وحسبنا الله..

قيد الفراغ: وكان الفراغ منه نهار الأربعاء ثامن عشرين المحرم سنة سبع وسبعين وسبعمائة..

عدد أوراقه: ٤٤٧، عدد سطوره: ٢١، مقاييسه: ١٥٠×٢٣٥ (٨٥×١٧٠)مم، خطه: نسخ، استنبول ٧٧٧

رقمه في المكتبة ٢٦٣٢

٢- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات

مؤلفه: زكريا بن محمد القزويني (المتوفى ١٢٨٣/٦٨٢)[٤٢]

أوله: الحمد لله رب الأرباب ومنشي السحاب.

قيد الفراغ: وكان الفراغ حصل من هذا الكتاب تاريخ نهار الخميس وقت الضحى ستة عشر في شهر ربيع الأول سنة ٩٩٧ هجرية..

عدد أوراقه:١٠٣، عدد سطوره: ٢٣، مقاييسه: ٢٠٥×٣٠٠ (١٤٥×٢٣٠)مم، خطه: نسخ، استنبول ٩٩٧

رقمه في المكتبة:٢٤٩

٣- خريدة العجائب وفريدة الغرائب

مؤلفه: سراج الدين أبو حفص عمر بن مظفر.. ابن الوردي (المتوفى ١٣٤٨/٧٤٩)[٤٣]

أوله: الحمد لله غافر الذنب وقابل التوبة

عدد أوراقه: ١٧٥، عدد سطوره: ٢١، مقاييسه: ١٥٠×٢٠٠ (٩٥×١٥٠)مم، خطه: نسخ..

رقمه في المكتبة ١٠٨٨

٤- مختصر رحلة ابن بطوطة

مؤلفه: محمد بن فتح البيلوني

أوله: الحمد لله رب العالمين وصلى الله...وبعد فيقول فقير عبد ربه الغني محمد بن فتح الله البيلوني هذا....

آخره: والحمد لله رب العالمين....

قيد الفراغ: تم. بحمد الله العالي على يد الفقير... السيد حسين الزوادي...

عدد أوراقه: ١١٢، عدد سطوره: ١٧، مقاييسه: ١٤٥×٢٠٥ (٦٥×١٣٠)مم، خطه: نسخ، استنبول ١١٧٩..

رقمه في المكتبة ١٧٥٣

الخاتمة:

إن المخطوطات العربية والتركية والفارسية الموجودة، والمتعلقة بالعلوم الإسلامية وغيرها، في أنحاء العالم تراث المسلمين جميعاً. وهذه الآثار التاريخية المهمة قد خطت لاستفادة البشرية عامة، فمن الأمور المسلمة، التي لا نقاش فيها، أنه، مهما

كانت مجالاتها فقد، قد أضاءت الطريق أمام الباحثين والمؤرخين عبر العصور؛ لأن أي مخطوطة كانت فهي إنما تعكس ثقافة كاتبها ومستواه العلمي ووجهة نظره للحياة وتحليله للموضوعات وأساليبه العلمية ومناهجه، كما تعكس إلينا الأوضاع الاقتصادية في عصره وتقييمه للفنون الجميلة السائدة في زمنه، ومفهوم الجمال فيه، والحالة السياسية في تلك الحقبة من الزمن. ومن أجل ذلك عرضنا المخطوطات المتعلقة بالتاريخ؛ لأن المؤرخ، الذي يقوم ببحث الأوضاع الاقتصادية لعهد من العهود التاريخية، يستطيع أن يتوصل إلى نتائج إيجابية أو سلبية من خلال تحليل الورقة التي استعملها كاتب المخطوطة ونوعية أدواته وملازم التجليد للمخطوطة وغيرها..

إن المؤرخ للفنون الجميلة وغيرها يمكن أن يتوصل إلى نوع فن الزخرفة وصفة التذهيب في تجليد المخطوطة ونوع الخط فيها وتاريخ كتابة المخطوطة ومستوى الفنون ومفهوم الجمال. وبذلك تحصل لديه قناعة أو فكرة عن هذه الموضوعات في عصر الكاتب.

ونحن نعلم أن المخطوطات المتعلقة بعلم التاريخ قد طبع قسم مهم منها. ولكن هناك آثار من المخطوطات المهمة لا تزال غير مطبوعة. ومن الجدير بالذكر أن أي كتاب طبع لا يستوجب صرف النظر عن مخطوطاته. ولذلك يجب علينا أن نهتم ونعتني بمخطوطاتنا المتوافرة في مكتباتنا في بلادنا كلها؛ لأنها لا تقدر بثمن.. ■

•••

الحواشي

١- مكانة تركيا في عالم المخطوطات، ص: ١- ٢٤.

٢- فهرس المخطوطات المكتبة الوطنية في إزمير، أنظر: المدخل..

٣- كشف الظنون :١/٢٦؛ عثمانلي مؤلفلري: ٣/١٢١، بروكلمان: ٢/٣٠١ الذيل:٢/٣١٢..

٤- هدية العارفين: ١/١٧٩، عثمانلي مؤلفلري: ٣/١٢١..

٥- كشف الظنون :٢/١١٣١، عثمانلي مؤلفلري: ٢/٥ بروكلمان: ٢/٤٣٩، بروكلمان الذيل:١/٥٩٢، هدية:٢/٢٩٩..

٦- كشف الظنون:٢/٢٠١٧، بروكلمان الذيل:١/٥٩٢:هدية:١/٥٢٢: سزكين:١ /٩١٦..

٧- هدية:٢/١٨٨..

٨- كشف الظنون:٢، /٢٠١٦؛ بروكلمان: ٢/ ١٧٤؛ هدية: ١/٧٤٠..

٩- كشف الظنون: ٢/٩٧٨؛ بروكلمان: ٢/٤١٥ ؛ هدية: ٢/٢٣٦..

١٠- كشف الظنون: ١/١٨٠؛ بروكلمان: ٢/٣٠٧؛ ذيل:٢/٤١٨ هدية:١/٧٥٥..

١١- كشف الظنون: ١/ ١٨٠؛ بروكلمان: ٢/٣٠٧؛ ذيل: ٢/٤١٨، هدية: ١/١٢٩..

١٢- كشف الظنون: ١/١٥١١؛ بروكلمان، ذيل: ١/٦٠٦، هدية: ١/١٢٩..

١٣- كشف الظنون: ٢/ ١٠٥٧؛ بروكلمان: ٢/٤٢٥؛ ذيل: ٢/٦٣٣هدية: ١/١٤٣؛ عثمانلي مؤلفلري: ١/٣٤٦..

١٤- كشف الظنون: ٢/١٠٥٧؛ بروكلمان: ٢/٤٢٥؛ ذيل:٢/٦٣٣، هدية: ١/١٤٣عثمانلي مؤلفلري: ١/٣٤٦..

١٥- كشف الظنون: ٢/١٠٥٧؛ بروكلمان: ٢/٤٢٥؛ ذيل: ٢/٦٣٣؛ هدية: ١/١٤٣؛ عثمانلي مؤلفلري: ١/٣٤٦..

١٦- كشف الظنون: ٢/١٠٥٧؛ بروكلمان: ٢/٤٢٥؛ ذيل:٢/٦٣٣؛ هدية: ١/١٤٣؛ عثمانلي مؤلفلري: ١/٣٤٦..

١٧- كشف الظنون: ١/١٠٥٧؛ بروكلمان: ٢/٣٠٧..

١٨- كشف الظنون: ٢/١١٥٣؛ بروكلمان: ٢/٤٢٧؛ ذيل:٢/٦٣٥..

١٩- كشف الظنون: ٢/١٠٩٩؛ بروكلمان: ٢/٦٣٤: عثمانلي مؤلفلري: ١/٤٠٠..

٢٠- كشف الظنون: ٢/ ١٠٩٩؛ بروكلمان: ٢/٦٣٤، عثمانلي مؤلفلري: ١/٤٠٠، هدية: ١/٧٤٨..

٢١- كشف الظنون: ٢/١١٠؛ بروكلمان: ٢/٤٥٣، ذيل: ٢ / ٦٧٢، هدية: ١/١٤.

٢٢- كشف الظنون: ١١٠٦/٢؛ بروكلمان: ٤٥٣/٢، ذيل: ٦٧٢/٢؛ هدية: ١٤٢/١..

٢٣- كشف الظنون: ١١٠٦/٢؛ بروكلمان: ٤٥٣/٢، ذيل: ٦٧٢/٢ ، هدية: ١/ ١٤٢..

٢٤- كشف الظنون: ١١٠٦/٢؛ بروكلمان: ٤٥٣/٢، ذيل، ٦٧٢/٢، هدية: ١٤٢/١..

٢٥- كشف الظنون: ٩٣٧/٢؛ بروكلمان: ٣٦١/١، هدية: ١٠١/١..

٢٦- كشف الظنون: ٣٧٣/١؛ بروكلمان، ذيل، ٨٠٤/١، سزكين: ٣٥٧/٢..

٢٧- كشف الظنون: ١٠٥٧/٢؛ بروكلمان: ٤٢٥/٢، ذيل: ٦٣٣/٢، هدية: ١٤٢/١، عثمانلي مؤلفلري: ٣٤٦/١..

٢٨- بروكلمان: ٣٠٩/٢، ذيل: ٤٢٣/٢، هدية: ٤٣٣/١..

٢٩- بروكلمان: ٣٠٩/٢، ذيل: ٤٢٣/٢، هدية: ٤٣٣/١..

٣٠- كشف الظنون: ١١٥٥/٢؛ بروكلمان: ٣٠٤/٢، ذيل:٤١٦/٢..

٣١- بروكلمان: ٢/ ٢٩٨؛ ذيل: ٢ / ٥٤٢؛ هدية: ٧٥٣/١..

٣٢- كشف الظنون: ٦٦٧/١؛ بروكلمان: ١٥٧/٢، ذيل: ٢ /١٩٦، هدية: ٥٣٨/١..

٣٣- بروكلمان، ذيل: ٢ /١٨٦، هدية: ١٦٤/٢..

٣٤- كشف الظنون: ٦٦٧/١؛ بروكلمان: ١٥٧/٢، ذيل: ٢ /١٩٦، هدية: ٥٣٨/١..

٣٥- بروكلمان: ، ذيل: ٢ /٩٣..

٣٦- هدية: ٨٢٢/١ ليس هناك كتاب

٣٧- وهذه النسخة نسخة قيمة لم يعثر عليها في الفهارس الأخرى..

٣٨- وهذه النسخة قيمة خطا وورقا، وهي منظومة نظمت بمناسبة زيارة السلطان عبد العزيز مصر..

٣٩- كشف الظنون: ١٠٣/١؛ بروكلمان: ٢٢٣/٢، ذيل:٣١٣/٢، عثمانلي مؤلفلري: ٢٩٧/١..

٤٠- لم يوجد في الفهارس..

٤١- كشف الظنون: ٣٦٩/١؛ بروكلمان: ٣٦١/١، هدية:١٠١/١، ١١٢٨/٢؛ بروكلمان: ذيل: ٥٨١/١. ٦٠٩. هدية: ٧٠٦/١..

٤٢- كشف الظنون: ١١٢٧/٢؛ بروكلمان: ٨٨٢/١، هدية: ٢٧٣/١..

٤٣- كشف الظنون: ٧٠١/١؛ بروكلمان: ١٣١/٢، ذيل ١٦٣/٢، هدية: ٧٨٩/٢..

المصادر والمراجع

١- **تاريخ الأدب العربي**، لكارل بروكلمان، النسخة الألمانية..

٢- تاريخ الأدب العربي، الذيل، لكارل بروكلمان، النسخة الألمانية..

٣- **عثمانلي مؤلفلري**، لمحمد طاهر بور سالي ، استنبول - تركيا، ١٣٣٣-١٣٤٢هـ..

٤- فهرس **مخطوطات المكتبة الوطنية في إزمير**، للدكتور علي ياردم، إزمير،١٩٩٢م..

٥- **كشف الظنون**، لحاجي خليفة، استنبول،١٩٥١-١٩٥٥م..

٦- **هدية العارفين**، لإسماعيل باشا، استنبول- تركيا، ١٩٥١-١٩٥٥.

إعراب [كلمة] الربّ من (اللّهمَّ ربّ هذه الدعوة التَّامَّة)

تصنيف

صنعة الله بن محمد

تحقيق د/ أحلام خليل محمد
دبي - الإمارات العربية المتحدة



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد العربي الأمين وبعد،

إن المراد بلفظة (اللهم): يا الله. الميم في آخرها زائدة ليست بأصل في الكلمة. وهذا كلام لا خلاف فيه بين العلماء. ولكنهم اختلفوا في الميم فكانوا على ثلاثة مذاهب:

فذهب سيبويه والبصريون: إلى أن الميم عوض عن حرف النداء، ولهذا لا يجمع بينهما.

وقال الكوفيون: الميم عوض عن جملة محذوفة، والتقدير يا الله أُمّنا بخير، أي: اقصدنّا، ثم حذف للاختصار ولكثرة الاستعمال.

والثالث: أن الميم زائدة للتعظيم والتفخيم؛ لدلالتها على معنى الجمع، كما زيدت في (زرقم) لشدة الزرقة و (ابنم) في الابن.

وقد تمكنّا من الحصول على رسالة مخطوطة تتناول هذا العبارة، وقد أطالت شرح لفظة (اللهم)، من حيث المعنى، وبينت وجوه استعمالها، في النداء وغيره، وذلك تمهيدًا لإعراب كلمة (ربّ) في (اللهم ربّ هذه الدعوة التامة).

فموضوع الرسالة إعراب كلمة (الرب) من (اللهم ربّ هذه الدعوة التامة)، لصبغة الله مولوي بن محمد غوث بن ناصر الدين محمد. ولطرافة موضوعها حرصنا على تحقيقها، وقد

قدمنا بين يدي التحقيق لمحة موجزة إلى المؤلف، ومصنفاته ووفاته، ومصادره في هذه الرسالة، ثم بيان منهجه فيها، ووصف المخطوطة.

المؤلف

الشيخ العالم المحدث صبغة الله بن محمد غوث ابن ناصر الدين بن نظام الدين بن عبد الله، الشهيد الشافعي المدراسي، بدر الدولة قاضي الملك، ولد بمدراس لخمس خلون من المحرم سنة إحدى عشرة ومئتين وألف.

وحفظ القرآن الكريم، وقرأ درسًا أو درسين من (ميزان الصرف) تبركًا على العلامة عبد العلي بن نظام الدين اللكنهوي، ثم قرأ النحو والصرف على جعفر حسين المدراسي. وقرأ المنطق والحكمة وبعض الفنون الرياضية على والده محمد غوث، وقرأ (مسلم الثبوت) و(الهداية) في الفقه الحنفي و (حاشية مير زاهد) على (شرح المواقف) و (النفيسي) في الطب على الشيخ علاء الدين بن أنوار الحق اللكنهوي، وقرأ (المقدمة الجزرية) في التجويد على السيد علي بن عبد الله الحموي، وأخذ الطريقة النقشبندية عن السيد عبد الغفار النقشبندي، وولي الصدارة بناكور سنة ثمان وثلاثين، وولي الإفتاء بعد سنة، وولي القضاء سنة ستين. وسافر إلى الحرمين الشريفين سنة ست وستين، فحجّ وزار وأخذ الطريقة عن الشيخ محمد جان، ولما انقرضت الدولة الإسلامية عن مدراس رتب له الانكليز معاشًا، فلازم بيته، وقصر همّته على الدرس والإفادة.

مصنفاته

استطعنا أن نرصد له مما صنف:

كتاب الأربعين في معجزات سيد المرسلين، وإزالة القتمة في اختلاف الأمة، ورشق السهام إلى من ضَعَّف: كل مسكر حرام، وعمدة الرائض في فن الفرائض، والمطالع البدرية في شرح الكواكب الدرية، ومناهج الرشاد شرح زواجر الإرشاد، ونور العينين في مناقب الحسنين، وهداية السالك إلى موطأ الإمام مالك.

وله ذيل على (القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد)، وفهرس أحاديث (المعجم الصغير) وله تعليقات شتى على حاشية (شرح المواقف)، وعلى (صحيح مسلم) و (المنتقى) لابن الجارود، و(سنن الترمذي) و (شمائل الترمذي)، وله رسائل أخرى.

وفاته

مات يوم الاثنين لخمس بقين من المحرم سنة ثمانين ومئتين وألف كما في تاريخ أحمدي[1].

مصادر المؤلف في رسالته:

اعتمد المؤلف في رسالته هذه على أقوال كثير من العلماء، أغلبهم من المفسرين: كالبيضاوي والتفتازاني، ومحمد مهدي الفاسي، والحسن البصري، وعبد الرؤوف المناوي، والزركشي، والزمخشري.

ومن النحاة الذين ذكرهم: سيبويه، والنضر بن شميل، وثعلب، والزجاج، والسيرافي، وابن خالويه، وابن هشام، والأزهري.

وذكر أربعة كتب هي:

❖ حاشية الكشاف للتفتازاني.
❖ شرح الجامع الصغير- لعبد الرؤوف المناوي.
❖ شرح جمع الجوامع- للزركشي.
❖ مطالع المسرات - لمحمد مهدي الفاسي.

منهجه العام

١- بين المؤلف سبب كتابة هذه الرسالة فقال: «أما بعد فقد كثُر السؤال في إعراب كلمة (الربّ) من (اللهم ربّ هذه الدعوة التامة)، فقال قائل: إنّ لفظة ربّ مكسورة الباء، وسألني بعض أخواني أن أبيّن وجه إعرابه، فذكرته في هذه الأوراق».

٢- يقول: «إنّ لفظ اللّهم اختُلف في أصله»، والخلاف لم يقع في أصله، وإنما وقع في الميم، فأصل (اللّهم) هو النداء. وقد يكون كلامه هذا من باب إطلاق الكل على الجزء.

٣- ذكر العلّة في مجيء الميم عوضًا عن (يا) فقال: «وأُوثر الميم لقربه من الواو التي هي حرف علّة). يعني بذلك أن الميم قريبة في مخرجها من الضمة أصل الواو. ولم يذكر العلاقة بين (يا) النداء والميم. فهل يعني أن الميم قريبة من الياء؛ لكونها حرف علّة أيضًا مثل الواو؟».

٤- عرض المؤلف أقوال المفسرين في أن لفظة (اللهم) مجمع الدعاء، وأن الميم في كلام العرب تكون من علامات الجمع، فقال: «وقال الحسن البصري، اللهم مجمع الدعاء، وقال أبو رجاء العطاردي: الميم في قولهم اللهم فيه تسعة وتسعون اسما من أسماء الله تعالى. وقال النضر بن شميل: من قال اللهم فقد دعاه بجميع أسمائه، ونقل الفاسي عن البَطَليوسي أن الميم في كلام العرب تكون من علامات الجمع، ألا ترى أنك تقول (عليه) للواحد و(عليهم) للجمع، فصارت الميم في هذا الموضع بمنزلة الواو الدالة على الجمع في قولك: ضربوا وقاموا. فلما كانت كذلك زيدت(ما) في آخر اسم الله تعالى؛ لتُشْعِرَ وتُؤذن بأن هذا الاسم قد اجتمعت فيه أسماء الله تعالى كلها. فإذا قال الداعي اللهم كأنه قال يا الله الذي له الأسماء الحسنى».

والمؤلف يريد بذلك أن يقول: إن لفظة (اللهم) لا توصف؛ إذ لا فائدة من وجود نعتٍ بعدها؛ لأنها جمعت كل الصفات. وهو بهذا يقدّم تفسيرًا دينيًّا لتوضيح علة نحوية. كما قال في حذف أداة النداء قبل لفظة (رب)، فذكر قول عبد الرؤوف المناوي: «إنه حُذف إشعارًا بما له من القرب؛ لأنه في حضرة المراقبة».

وصف المخطوط المعتمد في التحقيق

تقع مخطوطة الرسالة ضمن مجموع، وتتكون من سبع ورقات (٥٠-٥٧)، في كل صفحة تسعة أسطر، عدا الصفحة الأولى التي جاءت في ستة أسطر، وكُتبت بخط النسخ، في عام ١٢٢٧هـ، في حياة المؤلف. ووصفه الناسخ بالعالم وهي كلمة (مولوي)، وكتب العنوان واسم المؤلف على ورقة العنوان، وقد كتب بعد الاسم عبارة سلّمه الله، التي تشير إلى أن هذه النسخة كتبت في حياته.

والحمد لله أولاً وآخراً

للتفتازاني قوله مالك الملك لم يبين وجه نصبه
فعند سيبويه هو نداء ثان لأن اللهم لا يوصف لأنه
بالاختصاص والتعويض خرج عن كونه متصرفا
وصار مثل حي هل إذ الميم بمنزلة صوت مضموم إلى
اسم مع بقائهما على معنيهما خلافا لمثل سيبويه
وخالويه حيث صار الصوت جزء الكلمة وجهة
توهم كما يوصف بالله وجعلوا مالك الملك صفة
انتهى ولذا الشريف صاحب مطالع المسرات عند
اللهم رب هذه أي يا رب فوجب النصب لأنه
المنادى إذا كان مضافا يجب نصبه سواء كانت
الإضافة محضة نحو ربنا اغفر لنا أي يا ربنا أو
غير محضة نحو يا حسن الوجه إلا أن ثعلب الحارثي في
غير المحضة الرفع قاله ابن هشام وغيره وقال عبد
الرؤوف المناوي في شرح الجامع الصغير في
قوله صلى الله عليه وسلم اللهم رب الناس أنه
حذف حرف النداء إشعارا بأن المدعو
القريب لأنه في حضرة المراقبة
قال المؤلف [illegible]

٥٠ ب / بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى
أما بعد فقد كثر السؤال في إعراب الرب من اللهم
رب هذه الدعوة التامة فقال قائل إن رب
بكسر الباء وسألني بعض إخواني أن أبين
وجه إعرابه فذكرته في هذه الأوراق فأقول
وبالله التوفيق إن لفظ اللهم اختلف في أصله
فقيل أصله يا الله فحذف الياء وعوض الميم
المشددة عنها للتفخيم والتعظيم وأوثر الميم
لقربه من الواو التي هي حرف علة وشدد لكونه
عوضا عن حرفين فصار اللهم ولذلك لا
يجمع بين الأداة وبين الميم إلا قوله إني إذا ما حدث
ألمّا أقول يا اللهم يا اللهما وقوله وما عليك
أن تقولي كلما سبحت أو صليت يا اللهما
وقد أنكره الزجاج وهذا من خصائص هذا

رسالة في إعراب الرب من اللهم رب هذه
الدعوة التامة للفاضل الكامل

محمد بن ناصر الدين
سلمه الله
تعالى

إعراب [كلمة] الربّ من (اللهمَّ ربَّ هذه الدعوة التامَّة)

النص المحقق

رسالة في إعراب (لفظة) الرب من (اللهم ربّ هذه الدعوة التامة)

تصنيف

صبغة الله مولوي بن محمد غوث بن ناصر الدين محمد.

/٥٠ ب/ بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى،

أما بعد،

فقد كثر السؤال في إعراب(كلمة) الرب من (اللهم ربّ هذه الدعوة التامة)، فقال قائل: إنّ [كلمة] (ربّ) مكسور الباء.

وسألني بعض أخواني أن أبين وجه إعرابه، فذكرته في هذه الأوراق.

فأقول /٥١أ/ وبالله التوفيق: إنّ لفظ (اللهم) اختُلف في أصله[٢] فقيل: أصله: يا الله، فحذف الياء وعوّض الميم المشددة عنها للتفخيم والتعظيم، وأوثر الميم لقربه من الواو، التي هي حرف علّة، وشُدّ لكونه عوضًا عن حرفين، وصار اللّهم؛ ولذلك لا يجتمعان إلا نادرًا.

كقوله: -

إني إذا ما حَدثٌ[٣] أَلمّا

أقول يا اللّهم يا اللّهما

وقوله: [٤]

وما عليك أن يقول كلما

سبّحتُ أو صلّيتُ يا اللهما

وقد أنكره الزجاج[٥].

وهذا من خصائص هذا /٥١ب/ الاسم كدخول (يا) عليه مع لام التعريف، وقطع همزته الوصلية حال النداء وتاء القسم. وهذا مذهب البصريين. قاله الزمخشري[٦] والبيضاوي[٧] وابن هشام[٨] وغيرهم[٩].

ولأن الميم عُهد زيادتها آخرًا كميم (ذرتم) نقله الأزهري[١٠] عن السيرافي[١١].

وقال الكوفيون[١٢]: أصله يا الله أُمنا بخير. فخُفّف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته. كما يقال عموا صباحًا[١٣] في: انعموا. وأيش في: أي شيء. ورد بأنه يستلزم أن يجوز الجمع في السعة / ٥٢أ / وأن يمتنع مثل: (اللهم العنْه وأهلكْه) قاله التفتازاني[١٤]، وغيره.

قلت: وعلى كلا التقديرين فهو بضم الهاء؛ لأنه منادى مفرد.

تنبيه:

وقد يخرج [لفظ] اللهم عن النداء فيستعمل على وجهين آخرين:-

أحدهما:- أن يذكرها المجيب تمكينا للجواب في نفس السامع، يقول لك: أزيد قائم؟ فتقول: اللهم نعم واللهم لا.

الثاني:- أن يستعمل دليلا على الندرة وقلة وقوع المذكور، كذلك كقولك: أنا لا أزورك اللهم إلا أن /٥٢ب/ تدعوني. ألا ترى أن وقوع الزيارة مقرونة بتقديم الدعاء قليل[١٥]. ذكره الأزهري[١٦] عن ابن الأثير[١٧].

وقال الحسن البصري[١٨]: اللهم مجمع الدعاء[١٩].

وقال أبو رجاء العطاردي[٢٠]: الميم في قولك:

اللهم فيه تسعة وتسعون اسمًا من أسماء الله تعالى[21].

وقال النضر بن شميل[22]: من قال اللّهم فقد دعاه بجميع أسمائه[23].

ونقل الفاسي[24] عن البَطْلَيوسي أن الميم في كلام العرب تكون من علامات الجمع. ألا ترى أنك تقول عليه للواحد و/١٥٣أ/ عليهم للجمع. فصارت الميم في هذا الموضع بمنزلة الواو الدالة على الجمع في قولك: ضربوا وقاموا.

فلما كانت كذلك زيدت(ما)[25] في آخر اسم الله تعالى؛ لتشعر وتؤذن بأن هذا الاسم قد اجتمعت فيه أسماء الله تعالى كلها.

فإذا قال الداعي: اللهم، كأنه قال: يا الله الذي له الأسماء الحسنى.

وقال: ولأجل استغراقه أيضًا لجميع أسماء الله تعالى وصفاته لا يجوز أن يوصف؛ لأنها قد اجتمعت فيه حجةٌ /٥٣ب/ لما قال سيبويه[26]. انتهى. يعني منعه في وصفه[27]. وقال[28] في مطالع المسرات: ولأجل ما تضمنه هذا اللفظ من عظيم الثناء يؤثر ويرغب في التوجيه في الدعاء. انتهى. ومن ثم قال بعضهم: إنه اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئِل به أعطى. حكاه الزركشي[29] في جمع الجوامع.

وقوله: رَبّ بفتح الباء الموحدة لا غير؛ لأنه مضاف إلى (هذه)، و (هذه) موصوف، والدعوة صفته.

والمضاف مع المضاف إليه إمّا نداء ثانٍ أو تابع/١٥٤أ/ للأول.

وعلى الوجهين فهو منصوب؛ لأن المنادى إذا كان مضافًا وجب نصبه بلا خلاف. وكذا التابع المضاف يجب نصبه؛ لأنهم قالوا:

إن المنادى إذا كان تابعا فله أربعة أحوال:

أحدها: ما يجب النصب مراعاة لمحل المنادى وهو ما اجتمع فيه أمران:

أحدهما: أن يكون نعتا أو بيانا أو توكيدا.

والثاني: أن يكون التابع مضافا مجردا من أل نحو: يازيد صاحب عمرو، ويا زيد أبا عبد الله، ويا تميم كلهم أو كلكم بنصب /٥٤/ صاحب، وأبا، وكل، وجوبا.

والثاني: ما يجب الرفع مراعاة للفظ المنادى، وذلك إذا كان لفظ المنادى (أيّ)[30].

الثالث: [31] ما يجوز رفعه ونصبه، فالنصب إتباعا لمحل المنادى، والرفع على تشبيه لفظ المنادى بالمرفوع، تنزيلا لحركته العارضة، بسبب دخول حرف النداء منزلة حركة الإعراب بسبب دخول العامل، وذلك إذا كان النعت المضاف مقرونا بأل، نحو يا زيد الحسن الوجه، أو مفردا من النعت أو /١٥٥أ/ البيان أو التوكيد أو المعطوف المقرون بأل، نحو يا زيد الحسن بالرفع والحسن بالنصب. ويا غلام بشر بالرفع وبشرا بالنصب. ويا تميم أجمعون بالرفع وأجمعين بالنصب. ويا زيد والضحاك بالرفع والضحاك بالنصب[32].

والرابع: - ما يعطى تابعا ما يستحقه إذا كان منادى مستقلا، وهو البدل والنسق المجرد. وذلك لأن البدل في نية تكرار العامل، والعاطف كالنائب عن العامل. فيجب الضم من غير تنوين إذا كان /٥٥ ب/ مفردا، نحو يا زيد بشر.

والنصب إذا كان مضافا نحو يا زيد أبا عبد الله. وهكذا البدل والنسق المجرد من أل كما نصّ عليه ابن هشام[33] وغيره.

وهذا يقتضي أن يكون [لفظ] الرب فيما نحن فيه منصوبا؛ لأنه:

إما نعت أو بدل أو بيان مضاف إلى (هذه) مجرد من أل، فهو واجب النصب.

وأما قول القائل إنه بكسر الباء فغلط فاحش مخالف لإعراب الآيات القرآنية والقواعد الإعرابية. كيف! والكسر في المنادى لا يجوز إلا إذا كان /٥٦ أ/ مضافا إلى الياء، فإنه يحذف الياء، ويجتزئ بالكسرة نحو (يا عبادِ).

ثم المختار فيه جعله نداء ثانيا كما جزم به الزمخشري[٣٤] في قوله تعالى:

﴿اللهم ربنا أنزل علينا مائدةً من السماء﴾[٣٥] أن [لفظ] ربنا نداء ثانٍ.

وقال التفتازاني في حاشيته: إنه نداء ثان لا صفة أو بدل؛ لأن [لفظ] اللهم لا يوصف ولا يبدل منه.

وجزم القاضي ناصر الدين البيضاوي في قوله تعالى:

﴿قل اللهم مالِكَ الملك تؤتي الملكَ مَنْ تشاءُ﴾[٣٦] أن «مالك الملكِ نداء ثان عند سيبويه، فإن الميم عنده يمنع الوصفية»[٣٧]. انتهى.

وفي حاشية الكشاف /٥٦ب/ للتفتازاني: «قوله مالك الملك لم يبين وجه نصبه، فعند سيبويه هو نداء ثان؛ لأن اللهم لا يوصف[٣٨]. لأنه بالاختصاص والتعويض خرج عن كونه متصرفا، وصار مثل (حيهل)؛ إذ الميم بمنزلة صوت مضموم إلى اسم مع بقائهما على معنيهما، بخلاف مثل سيبويه[٣٩] وابن خالويه[٤٠]، حيث صار[٤١] الصوت جزء الكلمة».

وجوّزه قوم كما يوصف (يا الله) وجعلوا **﴿مالك الملك﴾**[٤٢]. صفة انتهى.

ولذلك قدّر صاحب مطالع المسرات عند (اللهم ربَّ هذه) أي (يا رب) فوجب النصب؛ لأن /٥٧أ/ المنادى إذا كان مضافا يجب نصبه سواء كانت الإضافة محضة نحو: ربنا اغفر لنا. أي: يا ربنا، أو غير محضة نحو: يا حسن الوجه.

إلا أن ثعلبا[٤٣] أجاز في غير المحضة الرفع. قاله ابن هشام وغيره.

وقال عبد الرؤوف المناوي[٤٤] في شرح الجامع الصغير في قوله ﷺ: (اللهم ربّ الناس) إنه حذف حرف النداء إشعارا بماله من القرب؛ لأنه في حضرة المراقبة.

قال المؤلف مُدَّ ظلّه تمت ١٢٢٧. ■



الحواشي

(١) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام: ٢٤٤-٢٤٦.

(٢) ينظر الخلاف في الإنصاف: ٣٤١، المسألة:٤٧، وفي كتاب التبيين عن مذاهب النحويين: ٤٤٩-٤٥٢.

(٣) في الأصل [إني إذا ما حدث ألما). والبيت لأمية بن أبي الصلت، وقيل لأبي خراش الهذلي. ينظر شرح ابن عقيل:٢/٢٦٥.

(٤) الرجز بلا نسبة، ويروي (وما عليك أن تقول كلما)، ينظر معاني القرآن وإعرابه:١/٣٩٦. والشاهد فيه: قوله (يا اللهمّا). حيث زاد (ما) بعد يا الله.

(٥) معاني القرآن وإعرابه:١/٢٩٦. والزجاج هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري ت٣١١هـ. تاريخ بغداد:٦/٨٩.

(٦) الكشاف:١/٢٤٩، في سورة الأنبياء الآية:٥٧(تالله لأكيدن أصنامكم). والزمخشري هو محمود بن عمر (ت٥٣٨). إنباه الرواة:٣/٢٦٥، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة:٢٥٦.

(٧) تفسير البيضاوي:٢/١١. والبيضاوي هو عبد الله بن عمر، قاض، مفسر، توفي سنة ٦٨٥ هـ. البداية والنهاية: ١٣/٣٠٩، والأعلام:٤/١١٠.

(٨) مغني اللبيب:١٢٥، وابن هشام: عبد الله بن يوسف، جمال الدين، ابن هشام، من أئمة العربية، ت٧٦١هـ، ومن مصنفاته: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، وشذور الذهب، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب.

(٩) ينظر الفريد في إعراب القرآن المجيد:٥٥٨.

(١٠) خالد بن عبد الله الأزهري ت٩٠٥هـ. الكواكب السائرة:١/١٨٨، شذرات الذهب:٨/٢٦.

(١١) أبو سعيد الحسن بن عبد الله ت ٣٦٨هـ. تاريخ العلماء النحويين: ٢٨، والأنساب:٧/٣٣٩.

(١٢) ينظر معاني القرآن للفراء:١/٢٠٣، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون:٣/٩٨.

(١٣) يقول الحضرمي في شرحه لديوان امرئ القيس: «استعمل المجاز أكثر في الحقيقة، فإذا عدل إلى الحقيقة استعمل مع لفظ المجاز فقيل (عِمْ صباحًا) والحقيقة فيه عِمْ في الصباح» هذا هو المعنى. وفي حقيقة الإعراب نعم صباحك. ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف المسألة: ٤٧.

(١٤) هو مسعود بن عمر التفتازاني ت٧٩١هـ. الدرر الكامنة:٥/١١٩، وبغية الوعاة:٢/٢٨٥.

(١٥) ينظر الفوائد العجيبة:٣١.

(١٦) شرح التصريح على التوضيح:٢/١٧٢.

(١٧) مجد الدين المبارك بن محمد الجزري، ت٦٠٦هـ، معجم الأدباء:١٧/٧١، إنباه الرواة:٣/٢٥٧.

(١٨) ينظر مجموع شروح جمع الجوامع:٤، والحسن البصري تابعي، ت ١١٠هـ حلية الأولياء:٢/١٣١، ووفيات الأعيان:٢/٦٩.

(١٩) ينظر مطالع المسرات:٤.

(٢٠) عمران بن تيم، من القراء، ت ١٠٥ هـ. تذكرة الحفاظ:١/٦٢، وغاية النهاية في طبقات القراء: ١/ ٦٠٤.

(٢١) جاء في مطالع المسرات:٩٧: «تعويض الميم من حرف النداء في لفظ الجلالة يقتضي قوة الهمة في الطلب والجزم به، وإنما جعل هذا الاسم العظيم في أوائل الأدعية غالبًا؛ لأنه جامع لجميع معاني الأسماء الكريمة وهو أصلها». ينظر الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة:٢٩.

(٢٢) نحوي بصري من أصحاب الخليل، ت٢٠٤هـ. نور القبس: ٩٩، ووفيات الأعيان:٥/٣٩٧.

(٢٣) ينظر مجموع شروح جمع الجوامع:٤، ومطالع المسرات:٤.

(٢٤) هو الإمام محمد مهدي بن أحمد بن علي بن يوسف، مفتي فاس وفقيهها، له مؤلفات كثيرة، ت١٣٤٢هـ. الأعلام:٧/١١٤.

(٢٥) الصواب (الميم)؛ لأنه قال في ١٥أ: «وأوثر الميم لقربه من الواو التي هي حرف علة. وشُدّ لكونه عوضا عن حرفين».

(٢٦) يقول سيبويه في الكتاب:٢/١٩٦: «وإذا ألحقتَ الميم لم تصف الاسم». وسيبويه: أبو بشر، عمرو بن قنبر ت١٨٠هـ. طبقات النحويين واللغويين:٦٦، نور القبس:٩٥. ينظر الفوائد العجيبة:٢٩

(٢٧) هو الإمام محمد مهدي الفاسي.

(٢٨) هو بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي الشافعي ت٧٩٤هـ.

(٢٩) في الأصل: (إذا كان لفظ المنادى نعت أي نحو).

(٣٠) ساقطة من الأصل.

(٣١) ينظر شرح قطر الندى:٢٠٩.

(٣٢) يقول ابن هشام في شرح قطر الندى:٢١٢، وإن كان التابع بدلا، أو نسقا بغير الألف واللام، أعطي ما يستحقه لوكان منادى، تقول في البدل: يا سعيد كرز بضم كرز بغير تنوين، كما تقول يا كرز ويا سعيد أبا عبد الله بالنصب كما تقول: يا أبا عبد الله، وفي النسق: يا زيد وعمرو بالضم، ويا زيد وأبا عبد الله بالنصب.

(٣٣) الكشاف:١/٦٩٣.

(٣٤) المائدة:١١٤.

(٣٥) آل عمران:٢٦.

(٣٦) مطالع المسرات:١٠٨، وينظر الكتاب:٢/١٩٦.

(٣٧) جاء في معاني القرآن وإعرابه:١/٣٩٦: وزعم سيبويه أن هذا الاسم لا يوصف: لأنه قد ضمت إليه الميم، فقال في قوله عز وجل(قل اللهم فاطر السماوات والأرض) وإن (فاطر) منصوب على النداء، وكذلك (مالك الملك) ولكن لم يذكره في كتابه.

(٣٨) الكتاب:٢/١٩٦.

(٣٩) ابن ساقطة في الأصل، وابن خالويه هو الحسين بن أحمد، ت٣٧٠هـ.

(٤٠) في الأصل (صارا).

(٤١) جاء في كتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد:١/٥٥٨: «وأجاز ابن السراج والزجاج وغيرهما من البصريين والكوفيين أن يكون (مالك الملك) نعتا لقوله(اللهم)، قائلين إن الاسم ومعه الميم بمنزلته ومعه(يا)، فكما يجوز أن يوصف ومعه(يا) كذلك يجوز أن يوصف ومعه الميم» وينظر الدر المصون في علوم الكتاب المكنون:٣/٩٩.

(٤٢) آل عمران:٢٦.

(٤٣) أبو العباس أحمد بن يحيى، ت٢٩١هـ. طبقات النحويين واللغويين: ١٤١، ونزهة الألباء: ٢٢٨.

(٤٤) لم أجد هذا الكلام في شرح الجامع الصغير:١/٢٢٤. وعبد الرؤوف المناوي هو: محمد عبد الرؤوف المناوي، له مؤلفات كثيرة، ت١٠٣١هـ. الأعلام:٦/٢٠٤.

المصادر والمراجع

- **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام**، لعبد الحي بن فخر الدين الحسني، الهند، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، للقفطي علي بن سعيد، تح . أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٨ - ١٩٧٣م.
- **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين**، البصريين والكوفيين، لكمال الدين أبي البركات الأنباري، تح. محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر ١٩٦١م.
- **بغية الوعاة**، لجلال الدين السيوطي، تح. أبي الفضل إبراهيم، طبع البابي الحلبي بمصر، ١٩٦٥م.
- **تاريخ بغداد**، للخطيب البغدادي، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٣١م.
- **التبين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين**، لأبي البقاء العكبري، تح. د. عبد الرحمن سليمان العثيمين، بيروت.
- **تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل**، وأسرار التأويل لناصر الدين البيضاوي، مصر.
- **التيسير بشرح الجامع الصغير**، لزين الدين عبد الرؤوف المناوي، الرياض.
- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، لأحمد بن يوسف السمين الحلبي، تح. د. أحمد محمد الخراط، دمشق، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**، لابن حجر العسقلاني، تح. محمد سيد جاد الحق، مصر، ١٩٦٦م.
- **ديوان امرئ القيس**، لامرئ القيس، بن حجر، تح. أنور أبو سويلم، و د. علي الهروط، الأردن١٩٩١م.
- **شرح ابن عقيل**، لبهاء الدين بن عقيل، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد.
- **شرح قطر الندى وبلّ الصدى**، لجمال الدين بن هشام الأنصاري، تح. محمد محي الدين عبد الحميد، ط١١ ،مصر /١٩٦٣م.
- **شرح التصريح على التوضيح**، لخالد الأزهري، دار إحياء التراث العربية، مصر.
- **طبقات المفسرين**، للداودي، تح.علي محمد عمر، القاهرة،١٩٧٢م.
- **الفريد في إعراب القرآن المجيد**، لحسن بن أبي العز الهمداني، تح.د. فهمي حسن النمر، و د. فؤاد علي، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- **الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة**، لابن عابدين، تح. الدكتور حاتم الضامن، بيروت، ١٩٩٠م.
- **الكتاب**، لسيبويه، تح. عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٨٨م.
- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، للزمخشري، بيروت، ١٩٨٦م.
- **مجموع شروح جمع الجوامع**، لبدر الدين الزركشي، ط١ ، ١٣٣٢هـ.
- **مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات**، لمحمد مهدي الفاسي، بيروت.
- **معاني القرآن وإعرابه**، للزجاجي، شرح وتح. عبد الجليل عبده شلبي، القاهرة، ١٩٧٢م.
- **معجم الأدباء لياقوت الحموي**، مطبعة دار المأمون، مصر، ١٩٣٦م.
- **المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية**، د. إميل بديع يعقوب، بيروت، ١٩٩٢م.
- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، لابن هشام الأنصاري، تح.د. مازن المبارك، بيروت ١٩٩٨م.

الفرق
بين
الضاد
والظاء

الفرق بين الضاد والظاء



تصنيف

أبي بكر عبد الله بن علي الشيباني الموصلي

(ت٧٩٧هـ)

تحقيق:

أ.د. حاتم صالح الضامن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه النبي العربي الأمين.

خصّ الله تعالى اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، بحرفين تميز بهما العرب عن سواهم، وهذان الحرفان هما الظّاء والضّاد.

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي[1]، المتوفى سنة ١٧٥هـ:

«الظّاء حرف عربي خُصّ به لسان العرب، لا يشركهم فيه أحدٌ من سائر الأمم».

وقال ابن جني[2]، المتوفى سنة ٣٩٢هـ:

«اعلم أنّ الضّاد للعرب خاصة، ولا يوجد في كلام العجم إلاّ في القليل.

وكان العرب الفصحاء لا يخلطون بينهما في النطق، وبعد أن اختلط العرب بالأعاجم فسدت الألسنة، وشاع اللّحن، وصعب عليهم نطق الضاد».

قال ابن مكّيّ الصّقليّ[3]، المتوفى سنة ٥٠١هـ:

«فأمّا العامّة، وأكثر الخاصة، فلا يفرّقون بينهما في كتاب ولا قرآن».

وقال ابن الجَزَريّ[4]، المتوفى سنة ٨٣٣هـ:

«والضاد انفرد بالاستطالة، وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله، فإنّ ألسنة النّاس فيه مختلفة، وقلّ مَن يحسنه، فمنهم من يخرجه ظاء، ومنهم مَن يمزجه بالذال، ومنهم من يجعله لامًا مفخّمة، ومنهم من يُشمّه الزّاي، وكلّ ذلك لا يجوز».

وذكر شمس الدين بن النجار[5]، المتوفى سنة ٨٧٠هـ أنّ في الضّاد من صفات القوّة أربع صفات هي: الاستعلاء، والاستطالة، والإطباق، والجهر. وقال: واعلم أنّ لفظ الضّاد يشتبه بلفظ الظّاء المعجمة، وذلك لأنّ الظّاء يشارك الضاد في أوصافه المذكورة، غير الاستطالة، فلذلك اشتد شَبَهُهُ به، وعسر التمييز بينهما.

لكلّ هذا نال حرفا الضاد والظاء عناية العلماء، فكثرت المؤلفات فيهما نظمًا ونثرًا، وقد ذكرنا نحو

(١) تهذيب اللغة: ٤٠٣/١٤، وفي العين: ٥٣/١، وليس في شيء من الألسن ظاء غير العربية.

(٢) سر صناعة الإعراب: ٢١٣/١.

(٣) تثقيف اللسان: ٩١.

(٤) النشر في القراءات العشر: ٢١٩/١.

(٥) غاية المراد في معرفة إخراج الضاد: ٢٦٦-٢٦٧.

خمسين منها في مقدمتي كتاب (الاعتماد في نظائر الضاد) لابن مالك، وكتاب (معرفة الضاد والظاء) للصقلي، فلا موجب لذكرها هنا.

وخدمة للغتنا العربية، لغة القرآن الكريم، حقّقت خمسة كتب في الظاء والضاد، هي:

١- معرفة الضاد والظاء: للصقلي.

٢- حصر حرف الظاء: للخولاني.

٣- ظاءات القرآن: للسرقوسي.

٤- الاعتماد في نظائر الظاء والضاد: لابن مالك.

٥- شرح أبيات الدّاني الأربعة في أصول ظاءات القرآن: لمؤلف مجهول.

واليوم أقدّم كتابًا سادسًا في الفرق بين الضّاد والظاء، لأبي بكر عبد الله بن علي الشيباني الموصلي، المتوفى سنة ٧٩٧هـ.

والله أسأل أن يلهمنا السّداد والصواب، ويجنبنا المزالق والعثرات، ويقينا شرّ الجهلة المغرورين، إنه نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلـف

أبو بكر عبد الله بن علي بن عبد الله بن محمد الشّيباني الموصليّ ثم الدمشقيّ الشافعيّ[٦]. ولد سنة أربع وثلاثين وسبع مئة في الموصل، فاشتغل بها على مذهب الإمام الشافعي، فحفظ (الحاوي) و (التنبيه)، ثمّ قدم دمشق[٧].

قال ابن حجر[٨]: قدم من الموصل وهو شاب، فكان يتكسب من الحياكة، ويشتغل في أثناء ذلك بالعلم، ويعاشر الصوفية، ولازم الشيخ قطب الدين مدّةً، وأدمن النظر في الحديث، فعلق بذهنه شيء كثير منه، ثمّ اشتهر أمره، وصار له أتباع، وعلا ذكره، وبعد صيته، وتردّد إليه الأكابر، وحجّ مرارًا، ثم اتصل بالسلطان[٩] فبالغ في تعظيمه، وزاره في داره بالقدس، وصعد إليه إلى العليّة، وأمر له بمال فأبى أن يقبله[١٠]، وكان يكاتب السلطان بالشفاعات الحسنة فلا يردّه، وكان الشهاب الزهري ممن يلازم حضور مجلسه، ويبالغ في تعظيمه، وكذلك الشيخ شمس الدين الصّرخدي. ومن طريقته ألاّ يعامل أحدًا من أصحابه، ولا يأكل بعضهم لبعض شيئًا، وكان يتكلم على الناس فيبدي الفوائد العجيبة، والنكت الغريبة.

---

(٦) الأنس الجليل: ٥٠٥، والكواكب الدرّية: ١٩/١٣.

(٧) الكواكب الدرّية: ١٩/٣.

(٨) إنباء الغمر: ٤٩٨/١.

(٩) الملك الظاهر برقوق بن أنص العثماني، ت ٨٠١هـ. (الأعلام: ٤٨/٢).

(١٠) في بدائع الزهور: ٤٧٥/١: وقد زاره السلطان، وأعطاه خمس مئة دينار، وهو بدمشق، فلم يقبلها منه.

وكان ولده عبد الملك يذكر عنه أنّه قال: «كنت في المكتب ابن سبع سنين، فربّما لقيت فلسًا أو درهمًا في الطريق، فأنظر أقرب دار، فأُعطيهم إياه، وأقول: لقيته قرب داركم»[١١].

وكان يُقرئ (منازل السائرين)، ويلقن الذّكر، ويلبس الخرقة، وكان منزله بالقبيبات، وكان يعمل المواعيد، ويحضر مجالسه الكبار[١٢].

وكان نواب الشام يتردّدون إليه، ويمتثلون أمره[١٣].

اجتمع باليافعي، وغيره من الصوفية والصالحين والأولياء والعلماء[١٤]، وله نظم ونثر[١٥].

توفي، رحمه الله تعالى، بالقدس الشريف في ليلة الاثنين حادي عشر من شوّال سنة سبع وتسعين وسبع مئة، ودُفن بماملا[١٦].

مؤلفاته:

لأبي بكر الشيباني كتب ورسائل كثيرة[١٧]، ولم يُنشر منها شيء، وقد وصلت إلينا الكتب والرسائل الآتية، وهي مرتبة على حروف الهجاء:

- آداب المريدين.
- اختصار الوصايا.
- تحفة الأبرار الجامعة في الأذكار. (وجاء بعنوان آخر هو: تحفة الأبرار في دعوة الليل والنهار).
- الجواهر الثمينة.
- درة الغواص في صوم العام والخاص.

---

(١١) إنباء الغمر: ٩٨/١.

(١٢) الدرر الكامنة: ٤٤٩/١.

(١٣) الكواكب الدرّية: ٢٠/٣.

(١٤) الكواكب الدرّية: ١٩/٣.

(١٥) إنباء الغمر: ٤٩٨.

(١٦) الأنس الجليل: ٥٠٦، وقد وهم حاجي خليفة في كشف الظنون: ١٠٣٢/٢ في سنة وفاته حيث أثبتها سنة ٨٢٠هـ، وتابعه كحالة في معجم المؤلفين: ٩١/٦. وجعلها البغدادي في هدية العارفين: ٤٦٩، سنة ٨٣٠هـ، وهو وهم أيضًا.

(١٧) ينظر في مؤلفاته:

كشف الظنون: لحاجي خليفة، المتوفّى سنة ١٠٦٧هـ، وهدية العارفين: لإسماعيل باشا البغدادي، المتوفّى سنة ١٣٣٩هـ، وتاريخ الأدب العربي: لبروكلمن، المتوفّى سنة ١٩٥٦م، والأعلام: للزركلي، المتوفى سنة ١٩٧٦م، ومعجم المؤلفين: لكحالة، المتوفى سنة ١٩٨٧م، ومجموع خطي يحوي ١٥ كتابًا ورسالة من مؤلفات أبي بكر الشيباني في المجمع العلمي العراقي.

- الدرة المضيئة في الوصايا الحكمية.
- الرسالة الأنيسة المنتجة من كلام أهل القلوب الطاهرة النفيسة.
- الرسالة الحموية.
- رسالة تعريف أسامي قبائل العرب المنسوب إليها رواة الحديث.
- رسالة في علاقة المريد بشيخه الأول.
- رسالة في علم الأنواء.
- رسالة في علم التصوف.
- رسالة في معنى الولاية، وتصحيح الكرامة.
- ريحانة الجليس وعدوة إبليس.
- سمط الصدور وهاوية النور.
- شبكة القناص لطلاب الإخلاص.
- شرح بانت سعاد.
- فتوح الرحمن.
- الفرق بين الضاد والظاء.
- اللمعة الموصلية في معرفة اللغة العربية.
- ما كشف علاّم الغيوب عن النفس من مخبئات العيوب.
- المثلث وشرحه.
- محذرة الإخوان مما يقع من قول أو فعل أو اعتقاد يلزم فيه الكفران.
- مختصر معارف القلوب، سمّاه: ستر السّرّ.
- المشرب الأصفى الأهنى في شرح أسماء الله الحسنى.
- المقصور والممدود (فُقِد أكثره).

ووصل جزء من كتاب مجهول الاسم، كان قد ألّفه فاحترق في واقعة تيمورلنك.

ولأبي بكر (منسك) صغير، فيه ذكر المذاهب الأربعة، لم يصل إلينا.

ثناء العلماء عليه:

- قال ابن قاضي شهبة[18]، المتوفّى سنة ٨٥١هـ: «وكان من كبار الأولياء، وسادات العبّاد والأصفياء، جمع بين علمي الشّريعة والحقيقة، ووفّق للعلم والعمل».

- وقال ابن حجر العسقلاني[19]، المتوفّى سنة ٨٥٢هـ: «كان ممن جمع بين العلم والعمل، وله تصانيف لطاف في التصوف، ومنسك صغير».

- وقال ابو اليمن العليمي المقدسي[20]، المتوفّى سنة ٩٢٨هـ: «الشيخ، الإمام، القدوة، الزاهد، العابد، الخاشع، الناسك، العالم المفيد، بقية مشايخ علماء الصوفية، وحيد عصره».

- وقال محمد عبد الرؤوف المُناوي[21] المتوفّى سنة ١٠٣١هـ: «إمام بالورع مشتهر، وبأردية المعارف مؤتزر».

ولا بد من الإشارة هنا إلى أنّ الهُذباني محمد بن موسى بن محمد العراقي الموصليّ، المتوفّى سنة ٨٥٨هـ، قد ألّف كتابًا في ترجمة حياة أبي بكر الشيباني سمّاه: (فتوح الوهاب ودلائل الطلاب إلى منازل الأحباب)[22]، وقد ألحقنا صورة من صفحة العنوان في هذه النشرة.

الكتاب

اتبع المؤلف منهجًا واضحًا في كتابه (الفرق بين الضاد والظاء)، فجعله في قسمين: قسم خاص بباب الضّاد، رتّبه على حروف الهجاء، وقسم خاص بباب الظّاء، رتّبه على حروف الهجاء أيضًا.

وذكر قسمًا من الألفاظ في غير جذورها؛ لأنّه نظر إلى الحرف الأوّل منها، فجاءت الألفاظ: أضاق، وانقض، واقترض، وأقضّ، في باب الألف، وجاءت الألفاظ: تضرّع، وتضوّع، وتعوّض، وتقبّض، وتضرّج، في باب التاء، وهكذا.....

واستشهد المؤلف بالقرآن الكريم في أربعة مواضع، وبالحديث الشريف في ثلاثة مواضع، وبالأمثال والأقوال في ثلاثة مواضع أيضًا، وبشطرين من الرجز.

وأشار إلى التصحيح اللغوي في ثلاثة مواضع، وإلى المعاني المشتركة للفظ الواحد في مواضع كثيرة.

والكتاب بعدُ أوّلُ أثر يُنشر لأبي بكر الشيباني الموصليّ رحمه الله تعالى.

(١٨) الكواكب الدرية: ٢٠/٣.

(١٩) الدرر الكامنة: ٤٤٩/١.

(٢٠) الأنس الجليل: ٥٠٥.

(٢١) الكواكب الدرية: ١٩/٣.

(٢٢) ويقع في ١٧٦ ورقة. (فهرس المخطوطات العربية في مكتبة جستربيتي: ٢٣٢). ومن الكتاب صورة في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.

مخطوطة الكتاب:

نسخة نفيسة فريدة في ضمن مجموع، تحتفظ به خزانة المجمع العلمي العراقي تحت رقم ١٦١٢.

وقد كتب هذا المجموع حفيد المؤلف، أبو الخيرات محمد بن موسى، وفيه خمسة عشر كتابًا ورسالة للمؤلف.

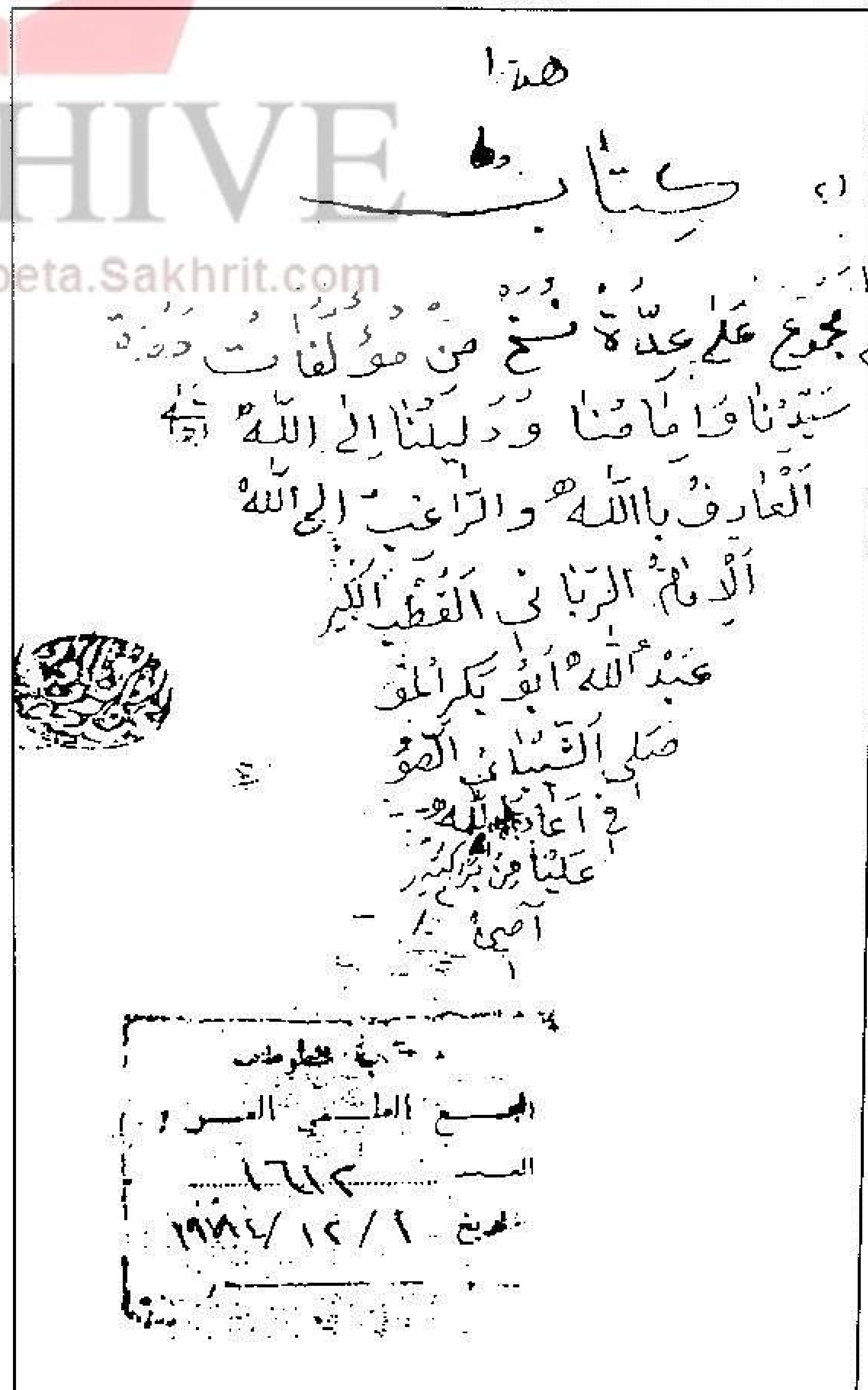
ويقع كتابنا هذا في الأوراق: (١٩٤أ - ٩٧ ب)، في كلّ صفحة ثلاثة وعشرون سطراً.

وجاء في مقدمته:

ومن كلام سيدنا القطب الكبير الموصلي في الفرق بين الضاد والظاء... وهذا أيضًا مما وجد من كلامه في المسودات بعد موته، وهو كتاب مستقل في الفرق بين الضّاد والظّاء.

وقد ألحقت بهذه النشرة صورًا لصفحة عنوان المجموع وللصفحتين الأولى والأخيرة من الكتاب.

والحمد لله أولاً وآخرًا



هذا

كتاب

مجموع على عدة نسخ من مؤلفات

سيدنا وإمامنا ودليلنا إلى الله

العارف بالله والراغب إلى الله

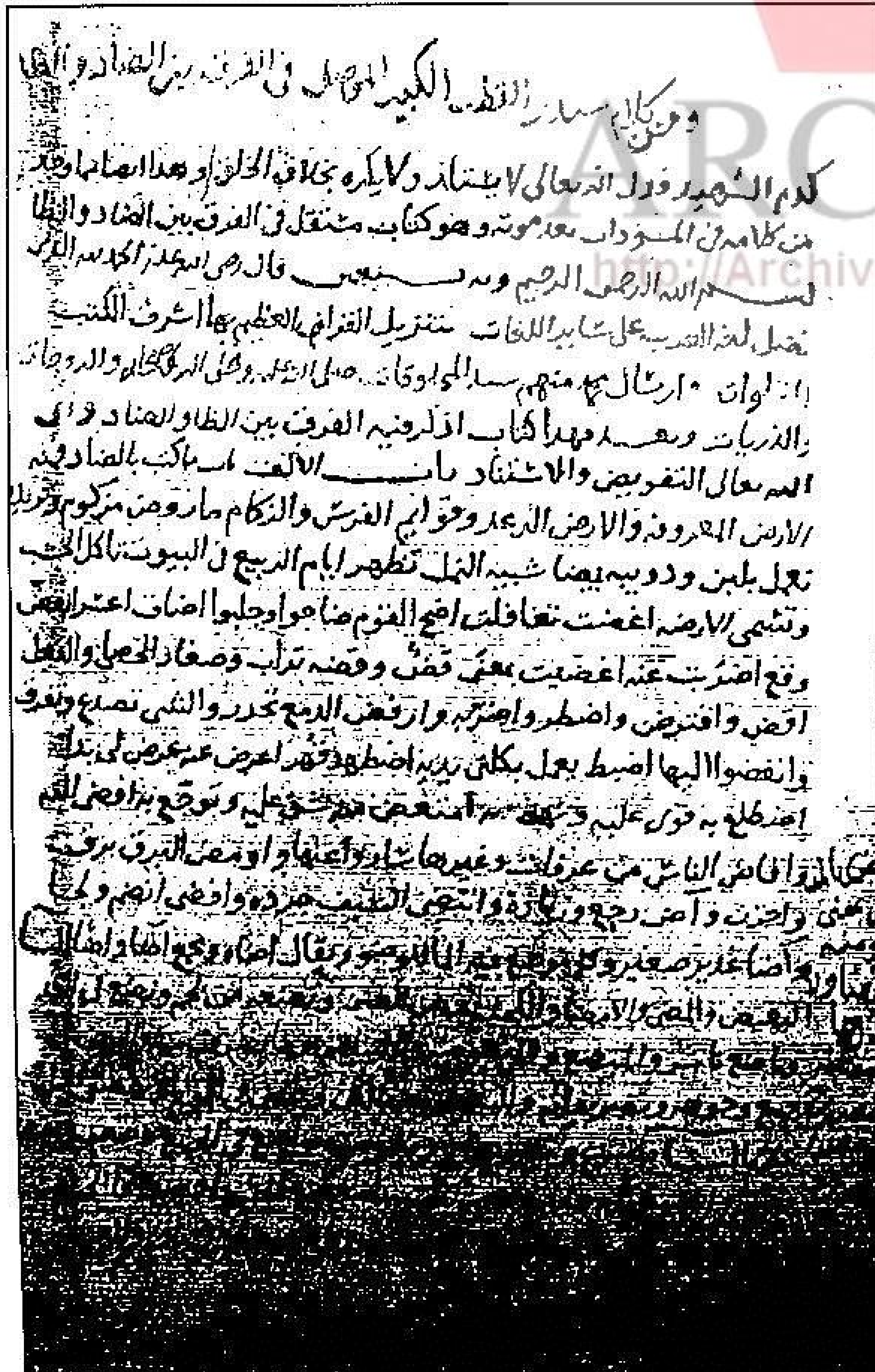
الإمام الرباني القطب الكبير

عبد الله أبو بكر

المجمع العلمي العراقي

١٦١٢

صفحة عنوان المجموع



ومن كلام سيدنا القطب الكبير الموصلي في الفرق بين الضاد والظاء

من كلامه من المسودات بعد موته وهو كتاب مستقل في الفرق بين الضاد والظاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الصفحة الاولى

بين ظهريهم يغيرون وظهران كل شيء وسطه العين عكاظ سوق في
الجاهلية بمكة بالموسم بكل سنة والعظيم يجمعه وعظه وموعظة يجمعه والعظاية
معروفة والنيل الذي يصبغ به ويسمى الموشمة الغين الغيظ غاظني
فلان لا اغاظني والغلظة يجمعه الغيا والغليظ يجمعه الفريح والفظ
الجافي والكريه وفاظ فضي انشد الاصمعي لا يدفنون منهم من فاظا
[illegible] وزعم عبيدة فاضت هو بالضاد لا يقال بالظا القاف القرظ
الدباغ ورق السلم والقارظ الذي يجمعه وذهب بقرظ ايضا منه وبنو قريظة
حي كانوا بالمدينة من اليهود وقرظ يقرظ تقريظا اذا مدح وزين فلان يقرظ
فلانا اذا امدحه وزين امره والقيظ صميم الحر الكاف كظه ويكظه اذا
اثقله واصله من الامتلا اي من كثرة الاكل ويقال غلبته البطنة واخذته
الكظة والكظم يجمعه امساك الحزن فلا يظهره ولا يشكو ويقال لمخرج النفس
من الانف الكظم وتسمى الاثار المحرقة بعضها الى بعض كاظمه وموضع
بالبادية يقال له كاظمه اللام اللظا اللهب الخالص واللفظ الكلام الواحد
لفظه وتسمى الدنيا لافظة الميم مظنة الشيء معدنه والمنظرة الذي يشرف
منها منظر بلا محيد النون ونظف الشي يجمعه ونظم العقد والشي بعضه
الى بعض ويقال افترت النظام والنظم النثر والنظم الشعر والنثر الكلام
فيه السجع والخطب والنجاش والتطابق والنظر الى الشي يجمعه وناظره
مناظره والنظير يجمعه ونظرت وانتظرت واحكم يرجع المرسلون الى ربها
ينتظرون الثواب وقيل ينظرون بالعين ما ياتي من عندهم من
الثواب والجوائز والنعم اي ذاهب الى ربي اي الى حيث امرني ويعنيه
ينظره اي بانتظار فنظرة الى ميسرة الواو الوظيفه يجمعه والوظيف
[illegible]
[illegible]

الصفحة الأخيرة

كتاب فتوح الوهاب ودلايل الطلاب الى منازل الأحباب

تأليف الشيخ الإمام [illegible]

[illegible] الشيخ [illegible]

على فصول خمسة وخاتمة فصلا بعد الخطبة وبسط ترجمة [illegible]

الأول في ذكر تقدمه واختصاص اسم الصوفي والفقير والمريد [illegible]

[illegible] المتلبس وعروة الفصل الثالث في [illegible] الرجوع [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

قال، رضي الله عنه: الحمدُ لله الذي فَضَّلَ لغةَ العربِ على سائر اللّغات بتنزيل القرآن العظيم بها أشرف الكتب المتلوات، وإرساله منهم سيِّد المخلوقات، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والدّوحات والذّريّات.

وبعدُ، فهذا كتابٌ أذكرُ فيه الفرقَ بين الظاءِ والضّاد، وإلى اللهِ التّفويضُ والاستناد.

باب الألف

باب ما كُتِبَ بالضاد: فمنه:

الأرْض[٢٣]: المعروفة. والأرْض: الرِّعْدَةُ[٢٤]، وقوائمُ الفَرَس، والزُّكامُ، مأروض: مزكومٌ. وثريدةٌ تُعْمَلُ بلَبَنٍ. ودويبّةٌ بيضاءُ شبيه النَّمل، تظهر أيامَ الربيع في البيوت، تأكلُ الخَشَبَ، وتسمَّى الأَرَضَة.

أغضَتْ[٢٥]: تغافلت.

أضَجَّ[٢٦] القوم: صاحوا وجَلبوا.

أضاقَ[٢٧]: أعْسَر.

انْقضَّ[٢٨]: وقَعَ.

أضربْتُ[٢٩] عنه: أغْضَيْتُ[٣٠]، بمعنى.

قضٌّ وقضَّةٌ[٣١]: ترابٌ، وصغارُ الحصى، والفعل: أقضّ.

---

(٢٣) ينظر: ما اتفق لفظه واختلف معناه: ٣٩-٤٠، والاقتضاء: ٧٨، والفرق بين الحروف الخمسة: ١٨٠-١٨٢، وزينة الفضلاء: ٥٦.

(٢٤) في الأصل: الرعد، والتصحيح من اللسان والتاج (أرض).

(٢٥) ينظر: الفرق بين الحروف الخمسة: ٢٢٠، وزينة الفضلاء: ٤٩.

(٢٦) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٣. ووفاق الاستعمال: ١٤١.

(٢٧) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٣، وزينة الفضلاء: ٤٥.

(٢٨) ينظر: زينة الفضلاء: ٤٦.

(٢٩) ينظر: مختصر في الفرق بين الضاد والظاء: ٢٩.

(٣٠) ينظر: مختصر في الفرق بين الضاد والظاء: ٢١. وقد سلف ذكر المادة.

(٣١) ينظر: الاقتضاء: ١٤٦.

(٣٢) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٢.

واقترض[٣٢].

واضطرّ[٣٣]

وأضرَّ به[٣٤].

وارفَضَّ[٣٥] الدّمع: تحدَّرَ، والشيء: تصدّع وتفرَّقَ.

و ﴿انفضّوا[٣٦] إليها﴾[٣٧]

أضْبَط[٣٨]: يعمل بكلتا يديه.

اضطُهِدَ[٣٩]: قُهِرَ.

أعْرضَ[٤٠] عنه، عرض لي: بدا.

اضطلع[٤١] به: قوي عليه، ونهض به.

امْتعضَ[٤٢] منه: شَقَّ عليه، وتوجَّع به.

أفضى[٤٣] إليه.

وأفاضَ [٤٤] النّاسُ من عَرَفاتٍ، وغيرِها: ساروا عنها.

وأومض[٤٥] البرق: بَرَقَ، وأحْزَنَ.

وآضَ[٤٦]: رجع، وزيادة.

وانتضى[٤٧] السَّيف: جرَّدَهُ.

---

(٣٣) ينظر: مختصر في الفرق بين معرفة الضاد والظاء: ٩.

(٣٤) ينظر: مختصر في الفرق بين معرفة الضاد والظاء: ٨.

(٣٥) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٨.

(٣٦) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٤، وظاءات القرآن: ٢٦٩.

(٣٧) الجمعة: ١١.

(٣٨) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٤، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أعسر يسرًا.

(٣٩) ينظر: اللسان والتاج (ضهد).

(٤٠) ينظر: الفرق بين الحروف الخمسة: ٢٤٩، ومعرفة الضاد والظاء١٤: .

(٤١) ينظر: مختصر في الفرق بين الضاد والظاء: ٣٨.

(٤٢) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ١٥.

(٤٣) ينظر: اللسان والتاج(فضا).

(٤٤) ينظر: زينة الفضلاء: ٤٨. قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِنْ عَرَفَاتٍ﴾،البقرة: ١٩٨.

(٤٥) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٨.

(٤٦) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٨، والمسائل السفرية: ٢٩.

(٤٧) ينظر: اللسان والتاج (نضا).

وأفْضَى[٤٨]: انْضَمّ ولَجأ.

وأضَا[٤٩]: غديرٌ صغيرٌ، وكلّ موضع فيهِ الماءُ للوضوء. ويُقال: أضَاة، ويُجمع: أضًا، واضاء.



الـباء

البغيضُ[٥٠].

والمغضُّ[٥١]، والإمضاضُ، والكحلُ يمُضُّ العينَ.

وبَضْعَةٌ[٥٢]، من لحمٍ.

وبضْع[٥٣]، في العدد.

وباضَعَ[٥٤]: باشَر.

والمِبْضَع[٥٥].

والبَعوضة[٥٦].



والبَياض[٥٧] وما تصرّف منه.

والبيض[٥٨] في جميع وجوهه وتصريفاته.

والبَعْض[٥٩] من الكلّ.

---

(٤٨) ينظر: اللسان والتاج(فضا).

(٤٩) ينظر: اللسان والتاج(أضا).

(٥٠) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٠.

(٥١) ينظر: زينة الفضلاء: ٩٩.

(٥٢) ينظر: في اللسان والتاج(بضع).

(٥٣) ينظر: الزاهر: ٢/٣٥٤، وزينة الفضلاء: ٤٤.

(٥٤) ينظر: اللسان والتاج(بضع)

(٥٥) ينظر: اللسان (بضع)، وفيه: المِبْضع: المِشْرَط، وهو ما يُبْضَعُ. به العِرق والأديم.

(٥٦) ينظر: اللسان والتاج (بعض).

(٥٧) ينظر: مختصر في معرفة الضاد والظاء: ٦٢.

(٥٨) ينظر: الارتضاء: ١٠٨.

(٥٩) ينظر: اللسان والتاج (بعض).

وغَضّ{ بضّ}.[٦٠]

وبَهَضَني[٦١]: ثقلَ علي

الــتاء

تَضَرَّعَ[٦٢]

وتَضَوَّعَ[٦٣]: فاحَ.

وتَعَوَّضَ[٦٤].

تواضع[٦٥] في الجميع: ضعف.

وتقبَّضَ[٦٦].

تضرّجَ[٦٧]: انصبغ بدمٍ وغيره.

تَضَمَّخَ[٦٨] بِطيبٍ.

تَضَعْضَعَ[٦٩].

❖❖❖



الجـيم

جَضَعَ[٧٠]

حالَ الجَرِيضُ [٧١]دونَ القريض، هو مَثَلٌ[٧٢].

---

(٦٠) ينظر: الإتباع: ٢٢.

(٦١) ينظر: القاموس (بهض). وبالظاء أكثر (الاقتضاء: ١٥٨، والارتضاء: ١٠٧).

(٦٢) ينظر: اللسان والتاج (ضرع).

(٦٣) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ١٥.

(٦٤) ينظر: اللسان والتاج (عوض).

(٦٥) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ١٦.

(٦٦) ينظر: اللسان والتاج (قبض).

(٦٧) ينظر: اللسان والتاج (ضرج).

(٦٨) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢١. والضَّمْخ: لطخُ الجَسَد بالطِّيب.

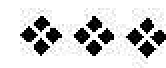
(٦٩) ينظر معرفة الضاد والظاء: ١٣.

(٧٠) لم أقف عليها.

(٧١) ينظر: اللسان والتاج (جرض).

(٧٢) الأمثال لأبي عبيد: ٣١٤، والفاخر: ٢٥٠. والوسيط في الأمثال: ٩٨، وفصل المقال: ٤٤٤، ومجمع الأمثال: ١/٤٧٩، والمستقصى: ٢/٥٥.

الجريض: الغَصَصُ بالرِّيقِ عندَ السّباقِ، والقريض: / ٩٥ أ/ قول الشّعر.



الحاء

حَضّ[٧٣] عليه: حثّ.

والحُضَضُ[٧٤]: دواءٌ يُتّخَذُ مِن أبوالِ الإبلِ.

والحَضِيضُ[٧٥]: أسفل الجبل.

والحاضِر[٧٦]

والحَضِيرة[٧٧]

والحَضْرَة[٧٨]

والحَضارة[٧٩]

وأَحْضَرَ[٨٠]: عدا.

وحضر[٨١]: وجب، وجاء.

والحَوْض[٨٢]

والحَرّاضَة[٨٣]: محلّة بالكوفة.

والمِحْرَضَة[٨٤] ما يُجعلُ فيه الحُرُضُ، وهو الأُشْنان[٨٥].

(٧٣) ينظر: الفرق بين الضاد والظاء: ٩، والاعتماد: ٣٢.

(٧٤) ينظر: الفرق بين الضاد والظاء: ٩، مختصر في الفرق بين الضاد والظاء: ١٩.

(٧٥) الفرق بين الحروف الخمسة: ١٤١، ومختصر في الفرق بين الضاد والظاء: ١٩.

(٧٦) ينظر: الاعتماد: ٢٨، والاعتضاد: ٥٨.

(٧٧) الجماعة من القوم يغزون (الفرق بين الضاد والظاء: ٩).

(٧٨) القرب(معرفة الضاد والظاء: ١٧)، ومختصر في الفرق بين الضاد والظاء: ٤٣.

(٧٩) الإقامة في الحَضَر. (القاموس: حضر).

(٨٠) ينظر: مختصر في الفرق بين الضاد والظاء: ٤٥.

(٨١) ينظر: مختصر في الفرق بين الضاد والظاء: ٤٣.

(٨٢) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ١٨.

(٨٣) ينظر: معجم البلدان: ٢/٢٣٤، والقاموس والتاج(حرض).

(٨٤) ينظر: القاموس (حرض).

(٨٥) الزاهر: ٢/٢٥٧، والمعرّب: ٧٢، وقصد السبيل: ١/١٩٢

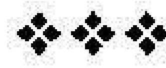
والحِضْن[٨٦]: دونَ الإبْطِ. أبْط. أَبْطٌ ثُمّ ضَبْنٌ ثم حَضْن[٨٧]

والحَمْض[٨٨]: ما ترعاهُ الإبلُ. تتحمَّضُ به القاقُلَى[٨٩].

وشبهُه: الحُمّاضُ[٩٠]: بقلةٌ معروفةٌ، وَرْدُها كأنّه الجُلّنارِ احمرارًا، يُقالُ لها: الحُمَّاضة، وقد شُبِّهتْ في الشِّعرِ بعُرْفِ الدِّيكِ.

وحيض[٩١]، وما تصرَّفَ منه.

وحامض[٩٢]



الخـاء

أَخْضَر[٩٣]

والخِضْرُ[٩٤]: إنَما سُمِّيَ خِضْرًا؛ إذْ جلسَ على فَرْوَةٍ بيضاءَ إلى أرضٍ، فلمّا نهضَ عنها إذا هي تهتزُّ مِن تحتِهِ خضرًا.

وخَضِلٌ[٩٥]: نَدِيٌّ.

والخَفْض[٩٦] ضدُّ الرَّفعِ.

وخَفْضٌ[٩٧] مِنَ العيشِ، أي: دَعَةٌ وعافِيَةٌ.

والخَضب[٩٨].

---

(٨٦) ينظر: القاموس (حضن).

(٨٧) ينظر: اللسان (ضبن)، وفيه: أوّلُ الحمل الأَبْطُ ثم الضَّبْنُ ثم الحَضْنُ.

(٨٨) ينظر: القاموس ((حمض).

(٨٩) ينظر: المدخل إلى تقويم اللسان: ١٨٥، ومعجم أسماء النباتات: ١٢١.

(٩٠) ينظر: القاموس (حمض).

(٩١) ينظر: القاموس (حيض)، والإرصاد: ق٨ب.

(٩٢) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ١٨.

(٩٣) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢١.

(٩٤) الزاهر: ٢/١٦٣-١٦٤، والإصابة: ٢/٢٨٦-٣٣٥.

(٩٥) ينظر: الاقتضاء: ١٢٦.

(٩٦) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢١.

(٩٧) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢١.

(٩٨) ينظر: القاموس (خضب).

والخَضْمُ[٩٩] بأقصى الأضراس، وجميع الفَمِ ضِدُّ القَضْمِ.

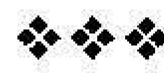
والخَوْض[١٠٠].

والخِضْرِم[١٠١]: الجوادُ، مشبَّهٌ بالبئرِ الكثيرةِ الماءِ.

والمُخَضْرَم[١٠٢] مِن الشّعراء: الّذي أدْرَك الجاهليّة والإسلامَ، مثل: حسّان، ومن أدْرَك الدّولتين: الأموية والعباسية، مثل: مروان بن أبي حَفْصَة.

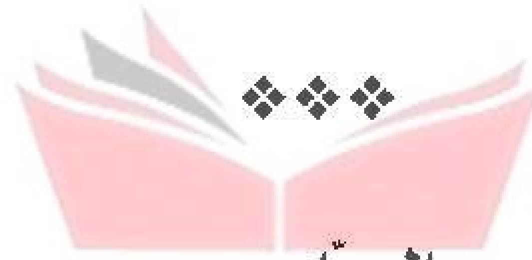
والخَضْرَمة[١٠٣]: قَطْعُ احدى أُذُنَي الناقةِ.

وخضع[١٠٤]: ذلّ.



الـدّال

الدَّحض[١٠٥].



الـرّاء

الرِّضاع[١٠٦]: للولد والمالحة.

والرّحض[١٠٧]: الغَسْلُ.

والرَّضح[١٠٨]، والرَّضخ[١٠٩]، والرَّضُّ[١١٠] بمعنىً، أي: شَدْخٌ.

---

(٩٩) ينظر: الاقتضاء: ١٢٧، والفرق بين الحروف الخمسة: ٢٢٠.

(١٠٠) ينظر: اللسان والتاج (خوض).

(١٠١) ينظر: الفرق بين الحروف الخمسة: ٢٦٣، والقاموس (خضرم).

(١٠٢) ينظر: زينة الفضلاء: ٧٥، والقاموس (خضرم).

(١٠٣) ينظر: اللسان والتاج (خضرم).

(١٠٤) ينظر: اللسان والتاج (خضع).

(١٠٥) الزّلق، والدّفع.(اللسان: دحض، والارتضاء: ١١٨).

(١٠٦) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ١٤.

(١٠٧) ينظر: القاموس (رحض)

(١٠٨) ينظر: اللسان والتاج (رضح).

(١٠٩) ينظر: اللسان والتاج (رضخ).

(١١٠) ينظر: القاموس(رضض).

وركَضْتُ(111) الدّابةَ، ورُكِضَت، لا: رَكَضْتْ هي.

والرَّكْض: الضَّرْبُ بالرّجلين في جَنْبِ الفَرَس، ورَكَضْتُ الأرضَ برِجْلي(112)

والرَّفْض(113) للشيْءِ.

والرَّوافِضُ(114): لأنّهم تفرقوا عن زيد بن علي (115)، وتركوه.

والرُّضاب(116): ماءُ الأسنانِ.

ورَبَضَ(117) يَرْبِضُ.

والرَّبَض(118): حول المدينة، والحصن.

والرَّمْضاء(119): حجارة حارّةٌ من شِدَّةِ الشّمسِ.

ورَضِيَ(120) يرضى، ورجلٌ رِضًا، ورجالٌ رِضًا، لا يُثنى ولا يُجمعُ.

والرَّوْضةُ(121)، والجمع: رِياض.

ورَمَضان(122).

والرَّضْف(123): حجارةٌ يُوقَدُ عليها حتّى تحمى وتصيرَ كالجَمْرِ، ثُمَّ تُلقى في اللَّبَنِ حتى ينضجَ، ويُسمّى اللّبن الوغير(124).

❖❖❖

---

(111) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٥.

(112) ينظر: اللسان والتاج (ركض).

(113) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٥، وزينة الفضلاء: ٥٧.

(114) ينظر: مقالات الإسلاميين: ١/١٢٩، والفرق بين الفرق: ٢١.

(115) زيد بن علي بن الحسين، وإليه تُنسب الزيدية، قُتل سنة ١٢٣هـ.
(المحبر: ٨٢، ومقاتل الطالبيين: ١٢٧-١٥١، والملل والنحل: ١/١٥٤).

(116) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٥.

(117) ينظر: اللسان والتاج (ربض). ورَبَض: بَرَك.

(118) ينظر: الفرق بين الحروف الخمسة: ٢٧٢، ومعجم البلدان: ٣/٢٥.

(119) ينظر: اللسان والتاج(رمض).

(120) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٧، والفرق بين الحروف الخمسة: ٢٣٥.

(121) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٧.

(122) ينظر: الزاهر: ٢/٣٦٨.

(123) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٤، والفرق بين الحروف الخمسة: ٢٧١.

(124) ينظر: القاموس: (وغر)

الضــاد

الضَّرْب[١٢٥] في جميع وجوهِهِ وتصاريفِهِ.

والضِّلَع[١٢٦] واحدة الأضلاع، ويُوصفُ بهِ الغليظ الشّديد.

وضَريع[١٢٧]: نباتٌ يسمِّيه أهل السَّواد: الشِّبْرِق.

والضّرْع[١٢٨]

والضّبُّ[١٢٩]

والضَّباب[١٣٠]

والضَّبَّة[١٣١]: ما يُضَبَّبُ بها.

وضَنَّ[١٣٢] به.

والضَّريح[١٣٣]: القبر.

والضّراح[١٣٤]: بيت في السّماء الرّابعة/٩٥ب/ مقابل الكعبة، تحجُّهُ الملائكةُ.

والضَّباح[١٣٥]: صوت الثعلب.

«والعاديات ضَبْحًا»[١٣٦]: صوت حلوقِ الخيْلِ.

وقيل [١٣٧]: الضَّبْع والضَّبْح واحدٌ في السَّيْرِ.

---

(١٢٥) ينظر: اللسان والتاج (ضرب).

(١٢٦) ينظر: المذكر والمؤنث: ١٢٣.

(١٢٧) ينظر: الفرق بين الحروف الخمسة: ٢٠٨. وفي القرآن الكريم: ﴿**ليس لهم طعام إلا من ضريع**﴾ (الغاشية: ٦)، وينظر: تفسير القرطبي: ٣٠/٢٠.

(١٢٨) ينظر: السان والتاج(ضرع)

(١٢٩) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٤، ومختصر في الفرق بين الضاد والظاء: ٦.

(١٣٠) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٤، ومختصر في الفرق بين الضاد والظاء: ٧.

(١٣١) ينظر: اللسان والتاج (ضبب).

(١٣٢) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٢، وضَن: بخل.

(١٣٣) ينظر: الفرق بين الحروف الخمسة: ٢١٤.

(١٣٤) ينظر: اللسان والتاج (ضرح).

(١٣٥) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ١٧.

(١٣٦) العاديات: ١.

(١٣٧) ينظر: اللسان والتاج (ضج، ضبخ).

والضُّحَى [138]: ارتفاعُ النّهار.

والضَّخم[139] وضِخام.

والضِّغْن[140] والضّغينة: الحِقْدُ.

والضِّرغام[141]، والضِّرْغامة: الأسد.

والضِّيق[142].

والضَّنْك[143]: الضّيق.

وضَجِرت[144].

والضِّيزى[145]: الناقصة، وجائرة وخاسرة

والضِّدُّ[146]

والضُّرُّ[147] فتحًا وضمًّا، فإذا قلت: الضَّر والنَّفْع، تعيَّنَ الفَتْحُ.

والضّرر، والضّرورة، و الضّرّة، والضَّيْر، والإضرار[148].

وضَلَّ[149]: مِن الضّلالة.

وضّل: إذا ضاعَ وهلكَ.

والضّيف[150]

---

(١٣٨) ينظر: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: ٩٨، وزينة الفضلاء: ٥١.

(١٣٩) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢١.

(١٤٠) ينظر: زينة الفضلاء: ٤١، والقاموس(ضغن).

(١٤١) ينظر: زينة الفضلاء: ٧٧، والقاموس(ضرغم)..

(١٤٢) ينظر: زينة الفضلاء: ٤٥، والقاموس(ضيق)، وتفتح الضاد أيضًا

(١٤٣) ينظر: الفرق بين الحروف الخمسة: ٢٦٨، ومعرفة الضاد والظاء: ٢٣.

(١٤٤) ينظر: اللسان والتاج (ضجر).

(١٤٥) ينظر: زينة الفضلاء: ٤٢، وفي القرآن الكريم ﴿**قِسمة ضيزى**﴾ (النجم: ٢٢)

(١٤٦) ينظر: اللسان والتاج (ضدد).

(١٤٧) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٣، والقاموس (ضرر).

(١٤٨) ينظر: الاعتضاد: ٨٦، و اللسان (ضرر، ضير)

(١٤٩) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٣، وزينة الفضلاء: ٥٢

(١٥٠) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٨.

وضَمُّك[١٥١] الشّيءَ.

والضّم: مِن الإعرابِ.

والضَّرْس[١٥٢] مِن الأسنانِ.

والضَّرَس[١٥٣] مِن الحامضِ.

والضَّابط[١٥٤].

والضِّماد[١٥٥].

والضَّفْر[١٥٦] للشعر.

ضِرام[١٥٧] النّار.

وضَرِم[١٥٨] الإنسان: إذا اشتدّ جوعُهُ إلى اللّحمِ خاصةً.

والضّامِر[١٥٩] مِن الخيْلِ.

والضّمان[١٦٠].

والضَّنَى[١٦١].

والضَّأن[١٦٢].

والضَّيفَن[١٦٣].

---

(١٥١) ينظر: الفرق بين الحروف الخمسة: ٢٢٨

(١٥٢) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٤، وزينة الفضلاء: ٧٣.

(١٥٣) ينظر: الفرق بين الحروف الخمسة: ٢٧٠

(١٥٤) ينظر: اللسان والتاج (ضبط).

(١٥٥) ينظر: اللسان والتاج (ضمد).

(١٥٦) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٤، وغلط الضعفاء من الفقهاء: ٢٥.

(١٥٧) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٥، والفرق بين الحروف الخمسة: ٢٧٣.

(١٥٨) ينظر: اللسان والتاج(ضرم).

(١٥٩) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٦.

(١٦٠) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٧.

(١٦١) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٧.

(١٦٢) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٧.

(١٦٣) من يأتي مع الضيف متطفلاً. (معرفة الضاد والظاء: ٢٦، والقاموس: ضيف).

وضافي[١٦٤] العرفِ والذّئبِ، أي: كثيرٌ شعرُهما.

وخاصمت فكانَ ضَلْعُك[١٦٥] عليّ، أي: مَيْلُك.

والضَّعْف[١٦٦] ضدُّ القُوّة.

وضِعْفُه[١٦٧]: مثْلُه {الّذي يُضعِّفُه} [١٦٨]

وضَبُعَت[١٦٩] النّاقة: إذا اشتهتِ الفَحْلَ، فهي ضبعةٌ.

والضَّبْع[١٧٠]: وَسَطُ العَضدِ.

وضُبَيْعَة[١٧١]: اسمُ قبيلةٍ.

وضُباعة[١٧٢]: امرأةٌ.

والضَّبُعَة[١٧٣]: العرجاء، للكُلِّ إذا خُلِقَتْ كذلك، وولدُها: الفُرْعُل[١٧٤].

والضَّنْو[١٧٥].

والضَّوَى[١٧٦]: الضَّعف.

والضِّغْث[١٧٧]: القَبْضَةُ مِن قُضبان أو نبات.

والضَّئيل[١٧٨]: الدَّقيق الضَّعيف من كلِّ شيء.

---

(١٦٤) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٧.

(١٦٥) ينظر: الفرق بين الحروف الخمسة: ١٦٥، ٢٥٠.

(١٦٦) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ١٥، وزينة الفضلاء: ٥٢.

(١٦٧) ينظر: اللسان والتاج (ضعف).

(١٦٨) قال الزّجّاج: ضِعْفُ الشيء: مِثْلُهُ الذي يُضَعِّفُهُ، وأضعافه: أمثاله: (اللسان: ضعف).

(١٦٩) ينظر: اللسان والتاج (ضبع).

(١٧٠) ينظر: القاموس (ضبع).

(١٧١) ينظر: التاج (ضبع).

(١٧٢) بنت زفر بن الحارث التي أشارت على أبيها بتخلية القُطاميّ (التاج: ضبع).

(١٧٣) ينظر: الفرق بين الحروف الخمسة: ٢٥١.

(١٧٤) ينظر: القاموس (فرعل)..

(١٧٥) الولد، ويكسر. وضَنِي: مَرِضَ. (القاموس: ضنو).

(١٧٦) ينظر: الاقتضاء: ١١٨، وزينة الفضلاء: ٥٣.

(١٧٧) ينظر: زينة الفضلاء: ٤١، وفي القرآن الكريم: ﴿وخُذْ بيدِكَ ضِغثًا﴾ (ص: ٤٤).

(١٧٨) ينظر: الفرق بين الحروف الخمسة: ٢٧٤.

وضابئ[179] بنُ الحارثِ البُرجُمي.

والمضارعة[180].

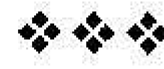
والمُضاهاة[181].

والضّغط[182]: الزّاحم.

والضّراط[183].

والضّحك[184] المعروف، والطّلعُ أوّل ما يشقّق، والعَسَلُ الشّهد النّقيّ البياض، الذي يُقال له: الضَّرَب[185].

والضِّفْدَع[186].



العـين

العَضُد[187] : ما بينَ المِرفَقِ إلى الكَتِفِ.

والعضد : المعونة.

ولا يُعْضَدُ شجرُه. والمعضِدة.

والعَرْض[188] ضدُّ الطّول.

وعَرَضَ[189] الجُنْدَ والجارية والكتابَ، وغير ذلك.

والعِوَضُ[190].

---

(١٧٩) شاعر مخضرم، خبيث اللسان، كثير الشرّ، ت نحو ٣٠هـ (الشعر والشعراء: ١/٣٥٠، ومعجم الشعراء: ٢٤٤).

(١٨٠) ينظر اللسان والتاج (ضرع).

(١٨١) المشابهة، تهمز ولا تهمز. (زينة الفضلاء: ٤٩).

(١٨٢) ينظر: اللسان والتاج (ضغط).

(١٨٣) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٤.

(١٨٤) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ١٦، والقاموس (ضحك).

(١٨٥) ينظر: مختصر في الفرق بين الضاد والظاء: ٢٨.

(١٨٦) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ١٦.

(١٨٧) ينظر: الفرق بين الحروف الخمسة: ٢٤٩.

(١٨٨) ينظر: الفرق بين الحروف الخمسة: ٢٤٩.

(١٨٩) ينظر: الفرق بين الحروف الخمسة: ٢٤٩.

(١٩٠) ينظر: الفرق بين الحروف الخمسة: ٢٥٢.

والعِرْضُ(١٩١): موضعُ المدحِ والذَّمِّ. والنَّفْسُ، وريحُ المِسْكِ، ووادٍ باليمامة.

وعَضَلةٌ(١٩٢) السّاقِ.

وعُضِلَت(١٩٣) مُنِعَتْ من التزويجِ.

/ ٩٦ أ / والعَضْب(١٩٤): السّيف القاطع، والكَسْرُ، والقَطْعُ.

والعُضْو(١٩٥): كلُّ عظمٍ في الجسدِ وافرُ اللّحمِ.

وعَضَّيْتُ(١٩٦) الشيء: قسمته. {قال}:(١٩٧)

وليس دين الله بالمَعَضَّى

أي: بالمقسَّم.

وقيل: العضَةُ(١٩٨): السِّحْرُ. {وفي الحديث: أنّه} لعن العاضِهةَ والمسْتَعضِهَةَ(١٩٩)

وعَضَّ يعض: من العَضِّ(٢٠٠).

❖❖❖



الغين

غَضُّ(٢٠١) الطَّرْف.

وغَضٌّ(٢٠٢): طريٌّ.

وغضاضة(٢٠٣): هزال.

---

(١٩١) ينظر: القاموس (عرض).

(١٩٢) ينظر: مختصر في الفرق بين الضاد والظاء: ٥٠.

(١٩٣) ينظر: الاعتماد: ٤٥.

(١٩٤) ينظر: زينة الفضلاء: ٥٦.

(١٩٥) ينظر: الفرق بين الحروف الخمسة: ٢١٤.

(١٩٦) ينظر: الاقتضاء: ٨٤.

(١٩٧) رؤبة في ديوانه: ٨١

(١٩٨) ينظر: معاني القرآن للفرّاء: ٢/٩٢، ومجاز القرآن: ١/٣٥٥.

(١٩٩) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/٢٥٥.

(٢٠٠) ينظر: زينة الفضلاء: ١٠٠، والاعتماد: ٤٤.

(٢٠١) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ١٩، وزينة الفضلاء: ٤٩.

(٢٠٢) ينظر: الاتباع: ٢٢، والقاموس (غضض).

(٢٠٣) ينظر: زينة الفضلاء: ٥٥.

والغَرَض[٢٠٤]: الهَدَف والطَّلب والقَصْد وبِطان البعير.

وغَرِضت به: سخرت، واليه: اشتقت[٢٠٥].

وغَضَارة[٢٠٦]: طراوة، وبالكسر: الإناء.

بنوغاضرة[٢٠٧]: قبيلة.

والغضون [٢٠٨]: التّثني والتكسُّر.

والتّغضُّن[٢٠٩]: التحريك والإمالة.

وكلب أغْضَفُ[٢١٠]، وبهِ غَضَف: استرخاء الأذنين.

والغَضَب[٢١١]، وامرأة غضبى، ولا يُقال: غَضْبانة.

والغامِض[٢١٢]: الخَفِيّ.

وغاضَ[٢١٣] الماء: غارَ ونقَصَ.

والغَيْضَة[٢١٤]: الأَجَمَة من الشَجر.

والغَضَنْفَر[٢١٥]: الأسد.

والغُضْروف[٢١٦]: كلّ عظم ليِّن، مثل رأس الكَتِف.

---

(٢٠٤) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ١٩، والقاموس(غرض).

(٢٠٥) ينظر: اللسان والتاج (غرض).

(٢٠٦) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ١٩.

(٢٠٧) الأصل: غضارة. والصواب ما أثبتنا.(ينظر اللسان والتاج: غضر).

(٢٠٨) ينظر: اللسان والتاج (غضن).

(٢٠٩) ينظر: اللسان والتاج (غضن).

(٢١٠) ينظر: القاموس (غضف).

(٢١١) ينظر: معرفة الضاد والظّاء: ٢٠.

(٢١٢) ينظر: معرفة الضاد والظّاء: ٢٠.

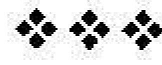
(٢١٣) ينظر: زينة الفضلاء: ٩٧، وفي القرآن الكريم: ﴿وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ﴾ (الرعد: ٨)، ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ (هود ٤٤)

(٢١٤) ينظر: معرفة الضاد والظّاء: ٢١.

(٢١٥) ينظر: زينة الفضلاء: ٧٧.

(٢١٦) والغرضوف. (اللسان والتاج: غرضف وغضرف).

وبَدَن غَضٌّ[٢١٧]: أي: ليِّنٌ ريّان.



الـفـاء

الفَضاء[٢١٨]: المُتّسع.

وفاضَ الماء يفيض[٢١٩]

وفَضَّ[٢٢٠] اللهُ فاهُ.

والفَضّ[٢٢١]: التفرُّق.

ودِرْعٌ فضفاضة[٢٢٢]: أي: واسعة.

والفِضّة[٢٢٣].

والفَرْض[٢٢٤].

والفُرْضَة[٢٢٥]: المَشْرَعَة.

والفَضْل[٢٢٦]: معروف.

وفَضَالة[٢٢٧]: اسم رجل.

وأبو الفَضْل: الفاضل.

والتّفويض[٢٢٨].

---

(٢١٧) ينظر: الإتباع: ٢٢.

(٢١٨) ينظر: معرفة الضاد والظّاء: ٢٧.

(٢١٩) ينظر: معرفة الضاد والظّاء: ٢٧.

(٢٢٠) ينظر: الإقناع: ١٥٥

(٢٢١) ينظر: الإقناع: ١٥٥، والقاموس (فضض).

(٢٢٢) ينظر: اللسان والتاج(فضض).

(٢٢٣) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٤.

(٢٢٤) ينظر: الوجوه والنظائر: ٥٨، ومعرفة الضاد والظاء: ٢٥.

(٢٢٥) ينظر: اللسان (فرض)، وفيه: فرضة النهر: مشرعته. وفي الأصل: المسرعة.

(٢٢٦) ينظر: الوجوه والنظائر: ٨٦، ومعرفة الضاد والظاء: ٢٦.

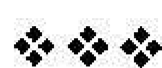
(٢٢٧) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٦.

(٢٢٨) ينظر: اللسان والتاج(فوض).

وقوم فَوْضَى[229] : متفرقون.

والفَضِيحة[230] : معروفة.

والفَضِيخ[231] : نبيذ البُسْر.



القاف

القريض[232] : معروف.

والقراضة[233] : من الذّهب.

والقَرْض[234] : معروف بجميع وجوهه وتصاريفه.

والقَضافة[235] : قِلّة اللّحم وخِفّة البدن.

والقَضيب[236] : بالجميع[237].

والقَضْب[238] : الرّطبة.

والقَبْض[239] : بالجميع.

وقَضَى[240] : بالجميع.

والقَيْض[241] : البيضة الفارغة.



---

(229) ينظر: القاموس (فوض).

(230) ينظر: اللسان والتاج(فضح).

(231) ينظر: اللسان والتاج(فضخ).

(232) ينظر: معرفة الضاد والظاء: 22.

(233) ينظر: اللسان و التاج (قرض).

(234) ينظر: معرفة الضاد والظاء: 22.

(235) ينظر: معرفة الضاد والظاء: 22.

(236) ينظر: معرفة الضاد والظاء: 22.

(237) أي بجميع وجوهه وتصاريفه.

(238) ينظر: زينة الفضلاء: 39. وفي القرآن الكريم: ﴿وَعِنَباً وَقَضْباً﴾ (عبس: 28).

(239) ينظر: معرفة الضاد والظاء: 22.

(240) ينظر: معرفة الضاد والظاء: 22.

(241) ينظر: زينة الفضلاء: 99.

والمقايضة(٢٤٢) : بالجميع.

﴿وَقَيَّضْنَا﴾(٢٤٣) : سَبَّبْنا.



الميم

المَحْض(٢٤٤) : الخالص.

والمخيض(٢٤٥) : {اللّبن} الّذي يُحَرَّكُ في إنائه.

وضَرَبها المخاض(٢٤٦) : تحرك الولد في بطنها عند الطلق والولادة.

والمَضْغ(٢٤٧) : بالجميع.

والمُضْغَةَ(٢٤٨) : {القطعة} من اللحم.

والمَضْمَضَة(٢٤٩).

ومَضَّ(٢٥٠) الكحلُ العين.

ولَبَن مَضِير(٢٥١) : شديد الحموضة.

وقيل(٢٥٢) : مُضر كان مولعًا بشُربه.

والمَضِيرة(٢٥٣) منه.

والمَوضون(٢٥٤) : المنضود المنسوج بعضه على بعض.

---

(٢٤٢) ينظر: اللسان و التاج (قيض).

(٢٤٣) فصلت: ٢٥.

(٢٤٤) ينظر: القاموس(محض).

(٢٤٥) ينظر: اللسان و التاج (مخض).

(٢٤٦) ينظر: زينة الفضلاء: ٤٤.

(٢٤٧) ينظر: اللسان و التاج (مضغ).

(٢٤٨) ينظر: زينة الفضلاء: ٤٧. وفي القرآن الكريم: ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً﴾(المؤمنون: ١٤).

(٢٤٩) ينظر: القاموس(مضض).

(٢٥٠) ينظر: زينة الفضلاء: ٩٩، والارتضاء: ١٤٥.

(٢٥١) ينظر: اللسان و التاج (مضر).

(٢٥٢) مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان. (اللسان: مضر).

(٢٥٣) طبيخ يتخذ من اللبن الماضر، أي: الذي يحذي اللسان.

(٢٥٤) ينظر: زينة الفضلاء: ٤١. وفي القرآن الكريم: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ (الواقعة: ١٥).

/٩٦ ب/ والمُضافرة(٢٥٥): المعاونة.

النــون

نَضَح[٢٥٦] الماء.

والنّواضح[٢٥٧] : الجِمال التي يُستقى عليها للزرع من البئر، من السّواني[٢٥٨]

والنُّهوض[٢٥٩] : بجميعه.

والنّواهِض[٢٦٠] من الطير : التي لا تطير، وتنهض أجنحتها من مكان إلى مكان.

و﴿نَضَّاخَتَانِ﴾[٢٦١] : فوّارتان.

والنَّضَر[٢٦٢] : الحُسْنُ.

والنّقض[٢٦٣] بجميعه.

والنِّضاج [٢٦٤] بجميعه.



وحيّة نَضْناض[٢٦٥]: تُخرجُ لسانَها.

ونَضَدت[٢٦٦] المتاعَ بعضَه على بعضٍ.

النَّضْر والنُّضار والنَّضير[٢٦٧] من الذّهب.

---

(٢٥٥) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٤

(٢٥٦) ينظر: زينة الفضلاء: ٥٩.

(٢٥٧) ينظر: اللسان والتاج(نضح).

(٢٥٨) جمع سانية، وهي الدّابّة بعينها التي تسنو سِنايةً وسِناوة وسُنُوًّا.(التهذيب بمحكم الترتيب: ٣٢٣).

(٢٥٩) ينظر: الاقتضاء: ١١٦.

(٢٦٠) ينظر: زينة الفضلاء: ٧٧.

(٢٦١) الرحمن: ٦٦، وينظر: تفسير البغوي: ٢٧٦/٤، وزينة الفضلاء: ٦٠.

(٢٦٢) ينظر: الاقتضاء: ٢٧، ومختصر في الفرق بين الضاد والظاء: ٥٤-٥٦.

(٢٦٣) ينظر: اللسان والتاج(نقض)

(٢٦٤) جمع نُضج. (اللسان: نضج).

(٢٦٥) ونضناضة. (اللسان والقاموس: نضض).

(٢٦٦) ينظر: زينة الفضلاء: ٤٠.

(٢٦٧) ينظر: الاعتماد: ٥٥، وما يكتب بالضاد والظاء: ق ٢٥.

وقدح نُضار[٢٦٨] : خشب صلب يكون بالغور.

والمناضلة [٢٦٩] بجميعه.

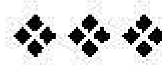
والنُّفْضة[٢٧٠] : الرِّعْدة.

والنّافِض[٢٧١] : الحُمَّى.

ونَضَب [٢٧٢] الماء ذهب في الأرض.

ونَضا[٢٧٣] عنه الثوب: نَزَعه.

والنِّضْو[٢٧٤]: المهزول، والنِّفضُ[٢٧٥] مِثْلُهُ، من الإبل.



الهاء

هَضَبَه[٢٧٦] : كَسَره.

والهَضّ[٢٧٧] والرّضّ[٢٧٨]: الدَّقّ.

والهَضْبَة[٢٧٩] : كلّ صخرة راسية ضخمة، وكلّ جبل من صخر. ويُجمع: هِضاب وهَضبات.

والهَضم[٢٨٠] : استمراء الطّعام.

(٢٦٨) ينظر: القاموس (نضر).

(٢٦٩) ينظر: اللسان والتاج(نضل).

(٢٧٠) ينظر: الاقتضاء: ١٤٣.

(٢٧١) ينظر: القاموس (نفض).

(٢٧٢) ينظر: اللسان والتاج(نضب).

(٢٧٣) ينظر: زينة الفضلاء: ٦٥.

(٢٧٤) ينظر: اللسان والتاج(نضا).

(٢٧٥) ينظر: اللسان والتاج (نفض).

(٢٧٦) لم أقف عليها في المعجمات. ينظر: اللسان والتاج (هضب).

(٢٧٧) ينظر: زينة الفضلاء: ٧٨.

(٢٧٨) ينظر: القاموس (رضض).

(٢٧٩) ينظر: الاقتضاء: ١٤٠، والقاموس (هضب).

(٢٨٠) ينظر: القاموس (هضم).

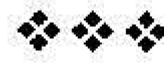
والهاضوم[٢٨١] : الجُوارِشْن.

والهَضْم[٢٨٢] : الكَشْح الدَّقيق.

وهَضَمني[٢٨٣] حقي : نَقَصني منه.

والهَيْض[٢٨٤] : كسر العَظْم، بجميعه.

والهَيْضَة[٢٨٥] : مِن الطّعام وكثرة الأكل: معروفة.



الـواو

وَميض[٢٨٦] البرق : لَمعانُهُ.

والوضائع[٢٨٧] : ما يُوضع على أرض الخراج من المقاطعة.

والوَضِيعة[٢٨٨] في التجارة: الخاسرة.

والوضوء[٢٨٩] : في الفتح والضّمّ.

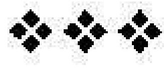


باب الظاء

الألف

الإلظاظ[٢٩٠] : الدّوام على الشيء والإلحاح. {وفي الحديث}:[٢٩١] (ألِظُّوا بياذا الجلال والإكرام).

أنعَظَ[٢٩٢] الرّجل: انتشر ذكرُه.



---

(٢٨١) ينظر: اللسان والتاج (هضم).

(٢٨٢) ينظر: الاقتضاء: ١٣٨.

(٢٨٣) ينظر: الاقتضاء: ١٣٨.

(٢٨٤) ينظر: اللسان والتاج (هيض).

(٢٨٥) ينظر: اللسان والتاج (هيض).

(٢٨٦) ينظر: زينة الفضلاء: ٧٥.

(٢٨٧) ينظر: اللسان والتاج (وضع).

(٢٨٨) ينظر: تهذيب اللغة: ٣/٧٤، ومعرفة الضاد والظاء: ١٦.

(٢٨٩) ينظر: الزاهر: ١/١٣١، وزينة الفضلاء: ٧٤.

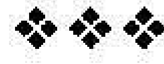
(٢٩٠) ينظر: الفرق بين الضاد والظاء: ١٢، وحصر حرف الظاء: ١٨٠. وحقه أنْ يكون في حرف اللام.

(٢٩١) ينظر: الفائق: ٣/٣١٧، والنهاية: ٤/٢٥٣.

(٢٩٢) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٩.

الباء

أمَة بَظْراء(٢٩٣). والبَظر: كلّ ما نتأ عن الجسد حتى الخاتم(٢٩٤). نظر عليّ، عليه السلام، في مسألة {فقال} لشُرَيح(٢٩٥): ما تقول(٢٩٦) فيها {أيّها} العبدُ الأبظَرُ؟ لنتوءٍ كان في شَفَتِهِ. وقال له: العبد، لعلّه أصابه سَبْيٌ في الجاهِليّة.

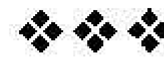


التـاء

تَشَظّى(٢٩٧) : تشقّق.

وتلَمّظ(٢٩٨) : أثر الأكل والشّرب وشبهه.

وتَلَظّى(٢٩٩) عليه : تَلَهّب وحرص.

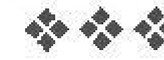


الجيم

عين جاحِظة(٣٠٠) : ناتئة.

وعمرو بن بحر الجاحظ(٣٠١): صاحب التّصانيف.

وكذا جَحْظَة(٣٠٢)، المعنى منه.



الحاء

الحَظُّ(٣٠٣) : النّصيب من الفضل والخير.

---

(٢٩٣) ينظر: اللسان والتاج (بظر).

(٢٩٤) ينظر: حصر حرف الظاء: ١٧٥، والارتضاء: ١٠٧.

(٢٩٥) القاضي شريح بن الحارث الكندي، ت نحو ٧٨هـ. (حلية الأولياء: ٤/١٣٢، وطبقات الحفاظ: ٢٠).

(٢٩٦) الأصل: قال. والصواب ما أثبتنا. والحديث في الفائق: ١/١١٨، والنهاية: ١/١٣٨.

(٢٩٧) ينظر: حصر حرف الظاء: ١٨٣، وقد ذكرها في حرف الشين، وهو الصواب.

(٢٩٨) ينظر: حصر حرف الظاء: ١٨٠، وقد ذكرها في حرف اللام، وهو الصواب.

(٢٩٩) ذكرها في حرف اللام، وهو الصواب.

(٣٠٠) ينظر: الفرق بين الضاد والظاء: ٢٨، وحصر حرف الظاء: ١٧٦.

(٣٠١) ينظر: الاقتضاء: ١٧١. وتوفي الجاحظ سنة ٢٥٥هـ (تاريخ بغداد: ١٤/١٢٤، ومعجم الأدباء: ٢١٠١).

(٣٠٢) وممن لقب به جحظة البرمكي، ت٣١٦هـ. (معجم الأدباء: ٢٠٧، والوافي: ٦/٢٨٦).

(٣٠٣) ينظر: الاقتضاء: ١٤٠، وزينة الفضلاء: ٩٨.

والحظِيرة[٣٠٤] : ما حُوِّطَ بحائط أو بغيره.

والحَظْر[٣٠٥] : المنع.

وكلّ شيءٍ يحجر شيئًا، فهو حِظارٌ لَهُ، كما أنّه حِجارٌ[٣٠٦].

/١٩٧أ/ الحنظل[٣٠٧].

وهو الحُنْظُبان[٣٠٨].

والحِنْظيان[٣٠٩].

واللَّحْظ[٣١٠] : النّظر بجميعه.

والحِفْظ[٣١١] : ضدّ النِّسيان.

والحَفَظَة[٣١٢] : جمع حَفِيظ.

والحُظْوة[٣١٣] : المنزلة الجليلة.

والحَظِيّ[٣١٤] : اسم السّابع [٣١٥] من العشر السّوابق من الخيل.

❖❖❖

الشين

الشِّظاظ[٣١٦]: اسم عود عُرَى الجوالقات.

---

(٣٠٤) ينظر: مختصر في الفرق بين الضاد والظاء: ٤٦، والارتضاء: ١١١.

(٣٠٥) ينظر: حصر حرف الظاء: ١٧٦، والاعتماد: ٣٠.

(٣٠٦) ينظر: اللسان والتاج(حظر).

(٣٠٧) ينظر: الروحة: ١/٧٨، والاقتضاء: ١٦٥.

(٣٠٨) وهو الحُنْظُب: ذكر الخنافس والجراد. (معرفة الضاد والظاء: ٢٩، واللسان: حنظب).

(٣٠٩) أي الفحاش: وروي بالخاء أيضًا. (اللسان والقاموس: حنظ).

(٣١٠) ينظر: حصر حرف الظاء: ١٨٠. والصواب أن تكون في حرف اللام.

(٣١١) ينظر: الاقتضاء: ١٦٧، والاعتماد: ٣١.

(٣١٢) ينظر: اللسان والتاج (حفظ).

(٣١٣) ينظر: الروحة: ١/٧٠، ومعرفة الضاد والظاء: ٣٠. وهي بضم الحاء وكسرها.

(٣١٤) ينظر: الزاهر: ١/٢٢٩، وشرح مقامات الحريري: ٣/١٥٠، وحلية الفرسان: ١٤٤، والمصباح المنير: ٢/٣٨٢.

(٣١٥) الأصل: الخامس، والصواب ما أثبتنا.

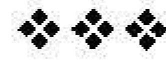
(٣١٦) ينظر: حصر حرف الظاء: ١٨٣. وزينة الفضلاء: ٨٦.

وشظِيَ يشظَى[٣١٧] : تشقّق.

وشَظِيّة، وشِظْيَة، وشظايا[٣١٨].

والشّيَظم[٣١٩] : اسم رجل، والطويل مِن كلّ شيءٍ.

والشُّواظ[٣٢٠] : الخالص من لهب النّار التي لا دخان فيها.



الظّاء

منها: الظَّلع[٣٢١]، ودابةٌ ظالع: غَمْزٌ {في المشي}.

والظَّعن[٣٢٢] : التّحول والسَّفر.

والظَّعينة[٣٢٣] : امرأة {في الهودج}.

وظلّ[٣٢٤] صائماً نهارَه، وبات يعمل كلّ الليل، وطفق لهما.

وَظَلِلْنا وظَلِلْنا، فَتْحًا وكَسْرًا، لغتان، كظَلْتم وظِلْتم[٣٢٥]

والظّل[٣٢٦] : ظِلّ ضحى الشمس.

وظَليل[٣٢٧] : دائم الظّلّ.

وما لا تطّلع عليه فظِلّ. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾[٣٢٨]: اللّيل. وما طَلَعتْ فزالت فَفَيْءٌ.

والظُّلّة[٣٢٩] : ما استظْلَلتَ به، وأظَلّكَ، وكان فَوْقَكَ.

---

(٣١٧) ينظر: حصر حرف الظاء: ١٨٣. والاقتضاء: ٩٤.

(٣١٨) ينظر: اللسان والتاج (شظي).

(٣١٩) ينظر: مختصر في الفرق بين الضاد والظاء: ٩٣.

(٣٢٠) ينظر: الظاءات في القرآن الكريم: ٤٦، وظاءات القرآن: ٢٧٢.

(٣٢١) ينظر: حصر حرف الظاء: ١٧٩. والاقتضاء: ٨١.

(٣٢٢) ينظر: الاقتضاء: ١٠١، والاعتضاد: ٤٢.

(٣٢٣) ينظر: الاقتضاء: ١٠١، والفرق بين الحروف الخمسة: ٢٤١.

(٣٢٤) ينظر: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: ١١١، واللسان والتاج(ظلل).

(٣٢٥) ينظر: واللسان والتاج(ظلل).

(٣٢٦) ينظر: حصر حرف الظاء: ١٧٨.

(٣٢٧) ينظر: الارتضاء: ١٢٨.

(٣٢٨) الفرقان: ٤٥.

(٣٢٩) ينظر: الارتضاء: ١٢٩.

وفلانٌ في ظِلِّ فُلانٍ[٣٣٠] : كأنه ألقى عليه ظِلَّهُ من قريبٍ.

والظِّلُّ الظَّليل : عبارة عن الجنَّة[٣٣١].

والظَّنّ[٣٣٢] مطلقا.

والظِّنَّة : التُّهْمة.

والظَّرْف[٣٣٣] : البزاعة والذّكاء.

والظَّرْف[٣٣٤]، فتحًا : وعاءُ كلّ شيءٍ.

وظَرْف المكان، وظَرْف الزّمان.

وظُفْر[٣٣٥] الإنسانِ وغيره، والجمع: أظفار. ويُقال: أُظفور وأظافير.

والظُّفُر[٣٣٦] : الجِلدة تلبثُ في العين، إذا لم تُقلع غشيت البصرَ كله.

والظَّفَر[٣٣٧] : الفوز بالمطلوب، بجميعه.

والظِّلْف[٣٣٨] : ظِلفُ البقرة وغيرها، وكفُّ النفس عمّا لا يجملُ بها.

والظُّلْم[٣٣٩] : وضعُ الشّيء في غير موضِعِه. ومنه[٣٤٠]: (مَنْ أشْبَه أباهُ فما ظَلَم)، إذْ قد وُضع في موضعه.

والظَّلْم[٣٤١]، فتحًا: الماء الذي يجري على الأسنان مِن الكوز، لا مِن الرِّيق.

والظَّلام[٣٤٢] : ظُلْمَة اللّيل، وهو ضدُّ النُّور.

---

(٣٣٠) ينظر: الارتضاء: ١٢٨، وفيه: أي تحت كنفه وحمايته.

(٣٣١) في قوله تعالى: ﴿وندخلهم ظلاً ظليلا﴾ (النساء: ٥٧).

(٣٣٢) ينظر: الوجوه والنظائر: ٢٣٢، وظاءات القرآن: ٢٧١.

(٣٣٣) ينظر: اللسان والتاج (ظرف)، وسهم الألحاظ: ٥١.

(٣٣٤) ينظر: مختصر في الفرق بين الضاد والظاء: ٣٢.

(٣٣٥) ينظر: المذكر والمؤنث لأبي حاتم: ١٢٣، مختصر في الفرق بين الضاد والظاء: ٣٤.

(٣٣٦) ينظر: التهذيب بمحكم الترتيب: ١٣٣، ومفيد ومبيد الهموم: ٦٢، والارتضاء: ١٢٢، وهي الظَّفرة أيضًا.

(٣٣٧) ينظر: حصر حرف الظاء: ١٧٨. والارتضاء: ١٢١

(٣٣٨) ينظر: مختصر في الفرق بين الضاد والظاء: ٧٧، والارتضاء: ١٢٥.

(٣٣٩) ينظر: حصر حرف الظاء: ١٧٨. وزينة الفضلاء: ٨٤.

(٣٤٠) ينظر: الأمثال لأبي عبيد: ١٤٥، ولأبي عكرمة: ٦٧، وجمهرة الأمثال: ٢/٨٢، وفصل المقال: ٨٥، ومجمع الأمثال: ٢/٣٦٥، والمستقصى: ٢/٣٥٢، والمدخل إلى تقويم اللسان: ٥٤٢.

(٣٤١) ينظر: معرفة الضاد و الظاء: ٣٢، والارتضاء: ١١٩.

(٣٤٢) ينظر: الاقتضاء: ١٥٣، ومختصر في الفرق بين الضاد والظاء: ٨٢.

والظَّلِيم[٣٤٣] : ذكر النَّعام، ويُجمع: ظُلْمان.

والظِّئر[٣٤٤] : المُرْضع.

والظَّبي[٣٤٥] : الغزال. والظَّبية: الأنثى. وفي القليل: ثلاثة أظبٍ. والكثير: الظِّبَاء.

والظُّبَا[٣٤٦] : حدُّ السّيوف، وظُبَة كلّ شيء: حدُّه.

والظَّمأ[٣٤٧] : العَطَش. وامرأة ظَمْأى: مثل عَطْشَى.

والظَّهْر[٣٤٨] : ضدُّ البطن، بجميعه.

والظُّهْر[٣٤٩] ضَمًّا : ساعة الزوال.

والظَّهيرة[٣٥٠] : نصف النهار.

والظَّهِير[٣٥١] : المُعِين، بجميعه.

وبينَ ظَهْرا نَيْهِم[٣٥٢] : بفتح النُّون، ليس إلاّ. ويُقال: /٩٧ب/ بينَ ظَهْرَيهم، بغيرِ نونٍ.

وظهرانُ كلِّ شيءٍ : وَسْطُهُ.



❖❖❖

العـين

عُكاظ[٣٥٣] : سوق في الجاهلية بمكّة، بالموسم بكُلّ سنة.

والعظيم[٣٥٤]، بجميعه.

---

(٣٤٣) ينظر: حصر حرف الظاء: ١٧٨. ومختصر في الفرق بين الضاد والظاء: ٨٢.

(٣٤٤) ينظر: حصر حرف الظاء: ١٧٩.وزينة الفضلاء: ٩٤.

(٣٤٥) ينظر: الاقتضاء: ١٦٩، والفرق بين الحروف الخمسة: ٢٤٨.

(٣٤٦) ينظر: الاقتضاء: ١٧٠، والارتضاء: ١٣٥.

(٣٤٧) ينظر: حصر حرف الظاء: ١٧٩.وزينة الفضلاء: ٨٣.

(٣٤٨) ينظر: الفرق بين الحروف الخمسة: ١٧١، والاعتماد: ٣٩.

(٣٤٩) ينظر: الارتضاء: ١٢٤، والقاموس (ظهر).

(٣٥٠) ينظر: مختصر في الفرق بين الضاد والظاء: ٤٠، والارتضاء: ١٢٤.

(٣٥١) ينظر: مختصر في الفرق بين الضاد والظاء: ٤٠، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ (سبأ: ٢١)

(٣٥٢) ينظر: الارتضاء: ١٢٤، والقاموس (ظهر).

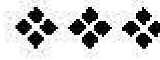
(٣٥٣) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٢٨، وزينة الفضلاء: ٩٢.

(٣٥٤) ينظر: الظاءات في القرآن الكريم: ٣٩-٤٠، وظاءات القرآن: ٢٦٥.

وعِظَة، وموعِظة(٣٥٥)، بجميعه.

والعَظاية(٣٥٦) : معروفة.

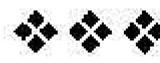
و{العِظْلِم}(٣٥٧) : النِّيل الذي يُصبغُ به، ويُسمَّى: الوَسْمَة(٣٥٨).



الغـين

الغيظ(٣٥٩) : غاظني فلانٌ، لا أغاظني.

والغِلْظَة(٣٦٠) : بجميعه.



الفـاء

الفظيع(٣٦١)، بجميعه : المُفْزِع.

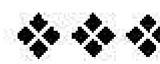
والفَظّ(٣٦٢) : الجافي، والكريه.

وفاظَ(٣٦٣) : قَضَى. أنْشَدَ الأَصْمعيّ(٣٦٤):

لا يَدْفِنونَ مِنْهم مَنْ فاظَا.

وفاظَتْ نَفسه.

وزَعَمَ غيرُه : فاضَتْ، هو بالضّاد، لا يُقال بالظّاء.



(٣٥٥) ينظر: الاقتضاء: ١٦٩، والفرق بين الحروف الخمسة: ١٨٣.

(٣٥٦) دُوَيْبَّة على خلقة سامّ أبرص. (معرفة الضاد والظاء: ١٨١، والاعتماد: ٤٠).

(٣٥٧) وهو العصفر. (الاقتضاء: ١٥٩، وحصر حرف الظاء: ١٨١، والاعتماد: ٤٠).

(٣٥٨) الأصل: الموسمة، وهو خطأ. ينظر: زينة الفضلاء: ٩٠، والقاموس (عظلم).

(٣٥٩) ينظر: حصر حرف الظاء: ١٨٣، والاعتماد: ٤٨.

(٣٦٠) ينظر: مختصر في الفرق بين الضاد و الظاء: ٩٧.

(٣٦١) ينظر: حصر حرف الظاء: ١٧٨.

(٣٦٢) ينظر: الارتضاء: ١٤٩.

(٣٦٣) ينظر: حصر حرف الظاء: ١٨٢، والاعتماد: ٥٠.

(٣٦٤) عبد الملك بن قريب، ت٢١٦هـ. (مراتب النحويين: ٤٦، وطبقات النحويين واللغويين: ١٦٧، وإنباه الرواة: ٢/١٩٧). والبيت لرؤبة في ديوانه المخطوط (ينظر: ديوان العجاج: ٢/٣٤٨)، وقد أخلّ به شعره المطبوع. وهو له أيضًا في الزاهر: ٢/٣٦٠.

القاف

القَرَظ[٢٦٥] : الدّباغ، {وهو} وَرَقُ السَّلَم.

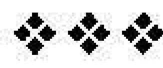
والقارِظ : الذي يجمعه، وذَهَبَ يقرظ، أيضًا منه.

وبنو قُرَيْظَة[٢٦٦] : حَيٌّ كانوا بالمدينة، مِن اليهود.

وقَرَّظ يُقَرِّظ تَقْرِيظًا[٢٦٧] : إذا مدح وزَيَّنَ.

فلانٌ يُقَرِّظ فلانًا : إذا مَدَحَه وزَيَّنَ أمْرَهُ.

والقَيظ[٢٦٨] : صميم الحَرِّ.



الكاف

كَظَّه ويكُظُّه[٢٦٩] : إذا أثقلَهُ. وأصْلُهُ مِن الامتلاء؛ أي: مِن كثرة الأكلِ.

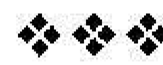
ويُقال [٢٧٠] : (عَلَتْهُ البِطْنَةُ وأخذَتْهُ الكِظَّةُ).

والكَظْم[٢٧١]، بجميعه: إمساك الحزن، فلا يُظهِر ولا يشكو.

ويقال لمخرج النَّفس من الأَنْف: الكَظَم[٢٧٢]

وتُسَمَّى الآبارُ[٢٧٣] المُخَرَقة بعضها إلى بعض: كِظامة[٢٧٤].

وموضع بالبادية يُقال له: كاظِمَة[٢٧٥].



(٢٦٥) ينظر: حصر حرف الظاء: ١٨٣، والاعتضاد: ٦٠.

(٢٦٦) ينظر: القاموس والتاج (قرظ).

(٢٦٧) ينظر: حصر حرف الظاء: ١٨٣. والارتضاء: ١٥١.

(٢٦٨) ينظر: حصر حرف الظاء: ١٨٣، وزينة الفضلاء: ٩٩.

(٢٦٩) ينظر: الفرق بين الضاد والظاء: ٢٩، والإقناع لما حوى تحت القناع: ١٥٦.

(٢٧٠) ينظر: اللسان (كظظ)، وفي الأصل: غلبته، وما أثبتناه من اللسان.

(٢٧١) ينظر: مختصر في الفرق بين الضاد والظاء: ٣٠، وحصر حرف الظاء: ١٧٩.

(٢٧٢) ينظر: مختصر في الفرق بين الضاد والظاء: ٨٩. وفي الأصل: الكظيم، وهو تحريف

(٢٧٣) الأصل: الآثار، وهو خطأ من الناسخ.

(٢٧٤) الأصل: الأصل: كاظمة، وهو خطأ من الناسخ.

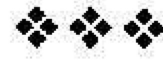
(٢٧٥) ينظر: معجم البلدان: ٤/ ٤٣٠.

الـلام

اللظى[٣٧٦]: اللَّهَبُ الخالص.

واللَّفظ[٣٧٧]: الكلام، الواحدة: لَفْظَة.

وتُسمَّى الدُّنيا: لافِظَة(٣٧٨).

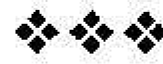


الميـم

مظنّة[٣٧٩] الشيء: معدنه.

والمنظرة[٣٨٠]: التي(٣٨١) يُشرَف منها.

{و} مَنْظَر[٣٨٢] بلا مَخْبَر.



النّـون

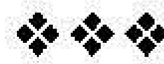
نَظُف[٣٨٣] الشّيء، بجميعه.

ونَظَم[٣٨٤] العِقْدَ، والشيءَ بعضه إلى بعض.

ويُقالُ : أفسدت النِّظام[٣٨٥].

والنَّظْم[٣٨٦] النَّثْر والشِّعْر. والنَّثْر: الكلامُ، فيه: السّجع والخُطب والتّجانس والتّطابق.

والنَّظر[٣٨٧] إلى الشيء، بجميعه



---

(٣٧٦) ينظر: شرح أبيات الداني الأربعة: ٦٩٠، وزينة الفضلاء: ٨٢.

(٣٧٧) ينظر: حصر حرف الظاء: ١٨٠، وزينة الفضلاء: ٩٥.

(٣٧٨) ينظر: اللسان والتاج(لفظ)

(٣٧٩) حقّه أن يكون في حرف الظاء، وقد ذكره المؤلف.

(٣٨٠) حقّه أن يكون في حرف النون.

(٣٨١) الأصل: الذي.

(٣٨٢) حقّه أن يكون في حرف النون.

(٣٨٣) ينظر: حصر حرف الظاء: ١٨١، والفرق بين الحروف الخمسة: ٢٤٦.

(٣٨٤) ينظر: الفرق بين الحروف الخمسة: ٢٤٦، والارتضاء: ١٤٦.

(٣٨٥) ينظر: اللسان والتاج (نظم)

(٣٨٦) ينظر: حصر حرف الظاء: ٦٥، والارتضاء: ١٤٦.

(٣٨٧) ينظر: الاقتضاء: ٢٨، والاعتضاد: ٥١.

الـواو

الوَظِيفة[٣٨٨]، بجميعهِ.

والوَظيف[٣٨٩]: لكلّ ذي أربع فوق الرسغ، والجمع: أَوْظِفَة.

والمواظَبَة[٣٩٠]، بجميعه: المُداوَمَة.



اليـاء

اليَقَظَة[٣٩١]: نقيض النّوم، بجميعه، والغَفْلَة.

ومنه: أبو اليَقْظان[٣٩٢].

ومن كلام العرب [٣٩٣].



---

(٣٨٨) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٣٣، وحصر حرف الظاء: ١٨٤.

(٣٨٩) ينظر: الاعتضاد: ٨٤.

(٣٩٠) ينظر: حصر حرف الظاء: ١٨٤، ومختصر في الفرق بين الضاد والظاء: ٩١.

(٣٩١) ينظر: معرفة الضاد والظاء: ٣١، وحصر حرف الظاء: ١٨٤.

(٣٩٢) من كنى الرجال، وكنية القنفذ. ينظر: مختصر في الفرق بين الضاد والظاء: ١٠٠.

(٣٩٣) هنا تنقطع المخطوطة.

- المصحف الشريف، رواية حفص عن عاصم.

(أ)

- الإتباع، لأبي الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي، تح. عز الدين التنوخي، دمشق، ١٣٨٠هـ -١٩٦١م.
- الارتضاء في الفرق بين الضّاد والظّاء، لأبي حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، تح. الشيخ محمد حسن آل ياسين، بغداد ١٣٨٠هـ -١٩٦١م. (نُشر مع: مختصر في الفرق بين الضّاد والظّاء لمحمد بن نشوان الحميري).
- الإرصاد في شرح المرصاد الفارق بين الظّاء والضاد، للجعبري، برهان الدين إبراهيم بن عمرن، مخطوط.
- الاعتضاد في الفرق بين الظّاء والضاد، لابن مالك الأندلسي، تح. د. حاتم صالح الضامن، بيروت، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- الأعلام، للزركلي، خير الدين، ت ١٩٧٦م، بيروت ١٩٩٠.
- الاقتضاء للفرق بين الذّال والضّاد والظّاء، لأبي عبد الله الدّاني، محمد بن أحمد بن سعود، ق٥ هـ، تح. د. علي حسين البواب، الرياض، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- الإقناع لما حوى تحت القناع، للمُطَرِّزي، ناصر بن عبد السيد، ت ٦١٠هـ. تح. د. محمد أحمد الدّالي، و د. سلامة عبد الله السويدي، الدوحة، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
- الأمثال، لأبي عبيد، القاسم بن سلام، ت ٢٢٤هـ، تح.د. عبد المجيد قطامش، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- إنباء الغمر بأنباء العُمر، لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، ت٨٥٢هـ، تح.د. حسن حبشي، القاهرة، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، لأبي اليمن العليمي، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد الحنبلي المقدسي، ت ٩٢٨هـ، المطبعة الوهيبية بمصر، ١٢٨٣هـ.

(ب)

- بدائع الزّهور في وقائع الدّهور، لابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي، ت بعد ٩٢٨هـ، تح. محمد مصطفى، القاهرة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(ت)

- تاج العروس، للزّبيدي، محمد مرتضى، ت١٢٠٥هـ، طبعة الكويت.
- تاريخ الأدب العربي، لبروكلمن، ت١٩٥٦م، الترجمة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م.
- تاريخ مدينة السلام (بغداد)، للخطيب البغدادي، أحمد بن علي، ت ٤٦٣ هـ، تح. د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠١م.
- تفسير البغوي (معالم التنزيل)، للبغوي، الحسين بن مسعود، ت ٥١٦ هـ، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- التهذيب بمحكم الترتيب، لابن شُهَيد الأندلسي، أحمد بن عبد الملك، ت ٤٢٦هـ، تح.د. حاتم صالح الضامن، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- تهذيب اللغة، للأزهري، محمد بن أحمد، ت ٣٧٠هـ، القاهرة، ١٩٦٤ ١٩٦٧-م.

(ح)

- **حصر حرف الظاء**، للخولاني، علي بن محمد بن ثابت، ت بعد ٤٨٥هـ، تح. د. حاتم صالح الضامن، بغداد، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م. (فرزة من مجلة المجمع العلمي العراقي م٤١ ج٢).
- **حلية الأولياء**، لأبي نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، ت ٤٣٠هـ، مط السعادة بمصر، ١٩٣٨م.

(د)

- **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**، لابن حجر العسقلاني، حيدر آباد الدكن، الهند ١٩٢٩-١٩٣١م.
- **ديوان رؤبة** (**مجموع أشعار العرب ج٣**)، تح. وليم بن الورد، لايبزك١٩٠٣م.

(ر)

- **الرَّوحة**، للجرباذقاني، مهذب الدين محمد بن الحسن، ت بعد ٣٧٤هـ، مصورة عن مخطوطة مكتبة الفاتح في استانبول.

(ز)

- **الزاهر في معاني كلمات الناس**، لابن الأنباري، أبوبكر محمد بن القاسم، ت ٣٢٨هـ، تح.د.حاتم صالح الضامن، بيروت١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- **زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء**، للأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد، ت ٥٧٧هـ، تح.د. رمضان عبد التواب، بيروت ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

(س)

- **سهم الألحاظ في وهم الألفاظ**، لابن الحنبلي، رضي الدين محمد بن إبراهيم، ت ٩٧١هـ، تح. د. حاتم صالح الضامن، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(ش)

- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، لابن العماد الحنبلي، عبد الحي، ت ١٠٨٩هـ، مكتبة القدسي بمصر، ١٤٥٠هـ.
- **شرح أبيات الدّاني الأربعة في أصول ظاءات القرآن**، لمؤلف مجهول، تح. د. حاتم صالح الضامن، دمشق، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م. (فصله من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، م ٦٩ ج٤).
- **شرح مقامات الحريري**: للشّريشي، أحمد بن عبد المؤمن، ت ٦٢٠هـ، تح. أبي الفضل، مط المدني بمصر، ١٩٧٣م.
- **الشعر والشعراء**، لابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، ت ٢٧٦هـ، تح. أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، ١٩٦٦م.

(ط)

- **طبقات الحفاظ**، للسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت ٩١١هـ، تح. علي محمد عمر، القاهرة، ١٩٧٣م.

(ظ)

- **الظاءات في القرآن الكريم**، لأبي عمرو الدّاني، عثمان بن سعيد، ت ٤٤٤هـ، تح. د. علي حسين البواب، الرياض، ١٤٠٦هـ -١٩٨٥م.

- **ظاءات القرآن الكريم**، للسرقوسي، سليمان بن أبي القاسم التميمي، ق٦ هـ، تح.د. حاتم صالح الضامن، بغداد ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م. (فرزة من مجلة المجمع العلمي العراقي م٤٠ج١).

(ع)

- **العين**، للخليل بن أحمد الفراهيدي، ت١٧٥هـ، تح.د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة في العراق ١٩٨٠م ١٩٨٥ -م.

(غ)

- **غاية المراد في معرفة إخراج الضاد**، لابن النجار، شمس الدين محمد بن احمد المقرئ الدمشقي، ت ٨٧٠هـ، تح. د. طه محسنن بغداد ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م. (مجلة المجع العلمي العراقي م٣٩ج٢).

- **غلط الضعفاء من الفقهاء**، لابن برِّيّ، عبد الله، ت ٥٨٢هـ، تح.د. حاتم صالح الضامن، بيروت، ١٤٠٩- ١٩٨٩م.

(ف)

- **الفائق في غريب الحديث**، للزمخشري، محمود بن عمر، ت ٥٣٨هـ، تح. البجاوي وأبي الفضل، البابي الحلبي بمصر، ١٩٧١م.
- **الفاخر**، للمفضل بن سلمة، ت ٢٩١هـ، تح. الطحاوي، مصر١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.
- **فتوح الوهاب ودلائل الطلاب إلى منازل الأحباب**، للهُذَباني، محمد بن موسى، ت ٨٥٨هـ، مصورة عن نسخة جستربيتي المرقمة٣٣٩٤.
- **الفرق بين الحروف الخمسة**، لابن السيد البطليوسي، عبد الله بن محمد، ت ٥٢١هـ، تح. عبد الله النّاصير، دمشق، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- **الفرق بين الضَاد والظاء**، للصاحب بن عباد، ت ٣٨٥ه، تح. الشيخ محمد حسن آل ياسين، بغداد، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.
- **فصل المقال في شرح كتاب الأمثال**، للبكري، عبد الله بن عبد العزيز، ت ٤٨٧هـ، تح. د إحسان عباس، ود. عبد المجيد عابدين، بيروت،١٣٩١هـ- ١٩٧١م.
- **الفرق بين الفرق**، للبغدادي، عبد القاهر بن طاهر، ت ٤٢٩هـ تح. محمد محيي الدين عبد الحميد، مط المدني بمصر،(لا. ت).

(ق)

- **القاموس المحيط**، للفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، ت٨١٧هـ مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- **قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدَخيل**، للمحبي، محمد الأمين بن فضل الله، ت١١١١هـ، تح. عثمان محمود الصيني، مكتبة التوبة، الرياض، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(ك)

- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، لحاجي خليفة، ت١٠٦٧هـ، استانبول، ١٣٦٠هـ - ١٩٤٠م.

- **الكواكب الدّريّة في تراجم السادة الصوفيّة**، للمُناوي، محمد عبد الرؤوف، ت١٠٣١هـ، تح. محمد أديب الجادر، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م.

(ل)

- **لسان العرب**، لابن منظور، محمد بن مكرم، ت ٧١١هـ، بيروت، ١٣٨٨هـ -١٩٦٨م.

(م)

- **ما اتفق لفظه واختلف معناه**، لأبي العميثل، عبد الله بن خليد، ت ٢٤٠هـ، تح محمود شاكر سعيد، السعودية ١٩٩١م.
- **ما يكتب بالضّاد والظاء والمعنى مختلف**، لابن فهد المكي، يحيى بن عمر بن محمد، ت ٨٨٥هـ، مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية المرقمة ٥٣٠ لغة تيمور.
- **مجمع الأمثال**، للميداني، أحمد بن محمد، ت ٥١٨هـ تح. د. جان عبد الله توما، دار صادر، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- **المحبر**، لابن حبيب، محمد، ت ٢٤٥هـ، تح. د. إيلزة لختن، حيدر آباد، الهند، ١٣٦١هـ- ١٩٤٢م.
- **مختصر في الفرق بين الضّاد والظاء**، للحميري م محمد بن نشوان، ت ٦١٠هـ. تح. الشيخ محمد حسن آل ياسين. (نشر مع كتاب الارتضاء).
- **المدخل إلى تقويم اللسان**، لابن هشام اللّخمي، محمد بن أحمد، ت ٥٧٧هـ، تح. د. حاتم صالح الضامن، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.
- **المذكر والمؤنث**، لأبي حاتم السِّجستاني، سهل بن محمد، ت ٢٥٥هـ، تح.د. حاتم صالح الضامن، بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م
- **المستقصى في أمثال العرب**، للزمخشري، حيدر آباد، ١٩٦٢م.
- **المصباح المنير، للفيومي**، أحمد بن محمد، ت ٧٧٠هـ، البابي الحلبي بمصر.
- **معجم الأدباء**، لياقوت الحموي، ت٦١٦هـ، تح. د. إحسان عباس، بيروت، ١٩٩٣م.
- **معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزَّبيدي**، لمحمود مصطفى الدّمياطي، القاهرة، ١٩٦٥م.
- **معجم البلدان**، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ -١٩٧٧م.
- معجم الشعراء، للمرزباني، محمد بن عمران، ت٣٨٤هـ، تح. عبد الستار أحمد فرّاج، البابي الحلبي بمصر، ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م.
- **معجم المؤلفين**، لكحالة، عمر رضا، ت ١٩٨٧م، مط الترقي بدمشق، ١٩٦١م.
- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار مطابع الشعب.
- **المعرَّب**، للجواليقي، موهوب بن أحمد، ت ٥٤٠هـ، تح. أحمد محمد شاكر، مط دار الكتب، مصر، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.
- **معرفة الضاد والظاء**، للصقلي، أبو الحسن علي بن أبي الفرج القيسي، ق٥هـ، تح. د. حاتم الضامن، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- **مقاتل الطالبيين**، لأبي الفرج الأصبهاني، علي بن الحسين، ت بعد ٣٦٢هـ، تح. أحمد صقر، مصر ١٩٤٩م.
- **مقالات الإسلاميين**، للأشعري، علي بن إسماعيل، ت ٣٣٩هـ، تح محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٥٠م.
- **الملل والنحل**، للشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، ت ٥٤٨هـ، تح. عبد العزيز محمد الوكيل، مصر ١٩٦٨م.

(ن)

- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد، ت ٦٠٦هـ تح الزاوي والطناحي، البابي الحلبي بمصر، ١٩٦٣م- ١٩٦٥م.

(هـ)

- **هدية العارفين**، لإسماعيل باشا، ت ١٣٣٩هـ، استانبول، ١٩٦٤م.

(و)

- **الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**، لهارون بن موسى، ت نحو ١٧٠هـ تح. د حاتم صالح الضامن، دار البشير، عمّان، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- **الوسيط في الأمثال**، للواحدي، علي بن أحمد، ت٤٦٨هـ، تح.د. عفيف عبد الرحمن، الكويت، ١٩٧٥م.
- **وفاق الاستعمال في الإعجام والإهمال**، لابن مالك الطائي، تح. شهاب الدين أبو عمرو، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

تم بحمد الله

